PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

الكتاب الذهبي

صلاح ذهني

جاء الخريف

صلاح ذهنى

● بدات حياة صلاح ذهنى الفنية وهو طالب فى المدارس الثانوية حين لخص لجريدة السياسة مسرحيات برنارد شو

● ظهرت أولى قصصه فى مجلة « الاسبوع » ثم انقطع فجاة عن كتابة القصة وانصرف لكتابة المقالات القصيرة وقد عرف بمقالاته فى جريدة الوادى التى كان يصدرها الدكتور طه حسين تحت عنوان « خواطر اليوم »

● فى عام ١٩٣٤ أصدر أول عمل أدبى له وهو مجموعة صور من الحياة الحكومية فى الارياف اسماه « الدرجة الثامنة »

● بدا حياته العملية حين فصل من كلية الحقوق قبل أن ينال شهادة الليسانس فالتحق بخدمة الحكومة وعمل كاتبا للسجن مدة عام أتيح له خلاله أن يدرس حياة طائفة اللباسين من المجرمين والخطاة الذين قست عليهم حياة الريف ودفعتهم للجريمة وقد ظهر أثر هذه الدراسة فى كثير من قصصه ٠

● انتقلت حياته الى محيط آخر حين نقل من الارياف الى القاهرة وعمل سكرتيرا لدار الاوبرا فاستطاع أن يواصل دراسته وحصل على شهادة الليسانس فى الآداب ولم ينقطع فى خلال هذه الفترة عن كتابة القصة ٠

● طاف بالشرق الاوسط ثم انتقل الى أوروبا فزار اغلب بلدانها وقد أثر ذلك فى أدبه فكانت قصصه الاخيرة على طابعها المصرى واضحة التأثر بالحياة الانسانية العالمية كما لمسها فى تجواله

● متزوج وله ثلاثة أولاد ٠٠ هوايته الاولى والاخيرة هى الموسيقى

● عمره الان اثنان واربعون عاما ٠

صلاح ذهني

جاء الخريف

الكتاب الذهبي

يصدره نادي القصة
العدد التاسع فبراير ١٩٥٣

(RECAP)

PJ7820
.H8J32

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR
32101 014069569

أراكان الخشبية

كان يجب ان يملأ نفسي شعور
الاشمئزاز ... ولكن القدر أراد
غير ما أردت ...

« أريد أن أذكر بالضبط ما حدث فى ذلك اليوم من ايام شهر يولية سنة ١٩٣٥ ، المكان الذى بدأت فيه القصة وكيف بدأت ؟ ان الذاكرة لا تسعفنى ، فبداية القصة غامضة ، والمكان نفسه قد غيرته الايام ، ولو ملكت عصا ساحر فمحوت ذلك الصف الانيق من اكشاك الاستحمام النظيفة ذات النظام الدقيق والتى تمتد على شاطىء البحر الآن ، ولو استطعت أن أحل مكانها تلك الاكشاك التى كان يقيمها الاهالى اذ ذاك كل حسب هواه وغناه ٠٠ بعضها حقير تاكل خشبه ،والبعض الاخر كبير زاهى الالوان كثير النقوش ٠

كان شاطىء البحر اذ ذاك كأنه معرض للطبقات ، وكانت ازياء الناس نفسها كازياء المهرجان ،وانى ليتملكنى الضحك الان وانا اتخيل نفسى بلباس البحر الذى اشتريته اذ ذاك وكنت ازهى به ٠كان مخططا باللونين الابيض والاحمر وكأننى احد نزلاء السجون الامريكية ٠٠ بل حين أتخيلها هى أيضا بلباس البحر العجيب من القطن الرخيص ٠٠ كان هذا اللباس أهم قطعة فى أثاث الكابين الذى كان يملكه صديقنا عبد السلام ٠ كان لباسا للطوارىء ٠٠ ما اكثر الطوارىء على شاطىء البحر فى حياة عزب يملك كشكا خشبيا للاستحمام !

ولاعد للقصة ٠٠

ـ القصة حيث اذكر لاحيث بدأت ٠ففى عصر احد الايام اقبلت سامية ، وكنا أربعة نجلس أمام الكابين فحيت الثلاثة الاخرين باسمائهم ٠٠ وحيتنى أنا بنفس التحية وان لم تعرف الاسم ، وارتاحت نفسى لبساطتها ، وجلسنا نتجاذب أطراف الحديث ، وعلى حين فجأة نهضت سامية تقول :

ـ ماحدش منكم ناوى ينزل البحر ٠٠ ؟

وصمت الثلاثة وادرت رأسى فى وجوههم فوجدتهم يرفضون جميعا فتحرك لسانى وقلت :

ـ أنا اذا لم يكن لديك مانع ٠٠

وضحكت ضحكة ساحرة وقالت :

ـ أنا .. واى مانع ! . . تفضل ..

وتفضلت فدخلت الكابين وخلعت ملابسى وارتديت لباس البحر المخطط وخرجت لكى اتلقى تعليقات الاصدقاء الثلاثة المضحة، وما لبثت ان دخلت هى ايضا الى الكابين وخرجت بعد دقائق ترتدى المايوه المتهدل كانه غضون فى جسد عجوز جاوزت المائة وجرت الى الماء . وسرت انا فى وقار الخجل حتى لحقت بها واخذنا نضرب فى الماء صامتين . وقالت سامية وهى تجمع خصلات شعرها خلف رأسها ..

ـ ان الماء لذيذ جدا فى ساعة الغروب .

واجبت وانا انظر الى جسدها البديع :

نقد شرب كل حرارة الشمس فى النهار ولم يفقدها بعد . قالت :

ـ انى احب دائما حمام الصباح الباكر وساعة الغروب .. ان البحر يكون هادئا ودافئا .. أما ساعة الضحى والظهر فانه يكون كحلقة السمك ..

ولفت نظرى تعبيرها الاخير فقلت :

ـ انت من الاسكندرية ؟

ـ لى فيها الان اربع سنوات .. انت من الاسكندرية ..

واجبت :

ـ ابدا ... سأعود بعد اسبوع واحد الى القاهرة ..

وقضينا نصف ساعة فى الماء وخرجنا فهرولت هى الى داخل الكابين وجلست أنا على مقعد خشبى حتى ارتدت ملابسها وعادت فدخلت بدورى .. وكنت اصلح رباط رقبتى امام المرآة حين دخل عبد السلام ليقول لى :

ـ سنترك لك مفتاح الكابين لاننا ذاهبون الى سيدى بشر ووجدتنى اجيب :

وسامية .. ؟ .. واسرع عبد السلام يجيب ضاحكا :

ـ متخافش ياعم .. سنتركها لك .. حلال عليك .. ان لدينا موعدا مع ثلاثة اقمار .

ـ تتركها لى .. لكننى ..

186199

ـ لكنك ماذا ؟ تصرف يا استاذ ·

ودعونى الان أقص عليكم كيف تصرفت ذلك المساء ··· جلست أنا وسامية امام الكابين نصف ساعة حتى أوشكت الشمس على المغيب ، وظل عقلى يبحث عن انطريقة المثلى لقضاء ليلة ممتعة وأعترف هنا أن ليالى الممتعة ، الى تلك الليلة لم تكن تتعدى سهرة على شاطىء النيل مع فتاة أحببتها ·· سهرة تمتد حتى الساعة العاشرة والنصف نؤوب بعدها الى منزلنا حتى برمت الفتاة بسهراتى وملتها فهجرتنى برسالة وداع رقيقة معتذرة أن أهلها اكتشفوا السر ، وعرفت بعد ذلك أنها هى التى اكتشفت السر ·· ان حبى نها لن يستطيع ان يجلب الى اذنيهاوجيدها تلك الحلى التى رأيتها تتحلى بها بعد ذلك بشهور فى صحبة شاب وارث يؤمن بالجدران الاربعة أكثر من ايمانى أنا بشاطىء النيل السعيد · ولمصادفة المحضة ان النيل لا يصل الى الاسكندرية ، وان سامية لم تقع فى نفسى موقع فتاتى الاولى التى كان يخيل الى كلما جلست معها انى فى حلم سعيد ··

ولذلك قلت ـ هل تمانعين فى أن نذهب الى السينما ؟

ـ لا أمانع لكن لاحظ شيئا ·· أريد أن أكون فى منزلى قبل منتصف الليل ··

وذهبت الى السينما واخترت بخبرتى فى خلوة العشاق البريئة مقعدين يتيمين فى أقصى الصالة يقعان بين المدخل وبين عمود ضخم من البناء · وأطفئت الانوار وبدأت قصة الشاشة واستمرت قصتنا فى فصلها الثانى · ومددت يدى فطوقت سامية فى حذر ورقة ·· وأعترف أن أهدافى اذ ذاك لم تكن تعدو الاحساس بخصر دافىء يشاركنى فى السهرة وبأننى لست وحيدا وانما أجلس الى فتاة ·· ولكننى لم أكد ألف يدى حولها حتى سحبت نفسها فى فزع قائلة :

ـ لا لا ·· هنا لا ··· يمسكونا بعدين ، خلينا اما نخرج من السينما ·· عندنا وقت لنصف الليل ·

وحددت هذه الجملة فى حديثها خطوط الفصل الثالث من قصة تلك الليلة ، فعندما انتهى العرض خرجنا وركبنا الترام الى حيث اقيم انا فى الفندق المتواضع ..وصعدت سامية معى درج الفندق دون أى تردد او خوف ،ودخلت معى الى حجرتى فى شجاعة كأنها تأتى أمرا عاديا من أمور حياتها العادية .. وكان يجب اذ ذاك أن يملأ رأسى شعور الاشمئزاز فقد عرفت بالضبط ما هو موضع سامية فى المجتمع ومن هى بالنسبة لاصدقائها ... ومن هى الان بالنسبة الى .. صيد ساعة لا أكثر ولا أقل .. وكان يجب ، اذا لم يملأنى الاشمئزاز أن يكف عقلى عن التفكير فيها وان أترك لحواسى ان تتمتع بذلك الغذاء الجسدى الناضج ... كان يجب هذا أو ذاك ... ولكن القدر اراد غير ما اردت ، واصر على ان يصنع من القصة القصيرة ذات الفصل الواحد الستار الذى ينزل قبل الختام حرصا على اذان الناس وأذواقهم النظيفة ..

اصر القدر على ان يصنع من هذه القصة المتداولة الحدوث، قصة طويلة ذات عدة فصول .. وتكون النتيجة هى مايحدث دائما حين يحاول المرء ان يجعل القصة القصيرة ذات الموضوع التافه قصة طويلة ذات أربعة فصول ... ان تتغير فصول القصة ، وان يتلف موضوعها وان تنتهى نهاية سخيفة .. لقد وقع القدر فى نفس الخطأ، اطال القصة فتعثرت فى الطريق .. بل تعثر بطلها نفسه الذى هو أنا وبدا فى الكثير من أجزائها أحمق غاية الحمق .. وجلست سامية على مقعد وجلست امامها اتأمل وجهها الوسيم وقد خلا من كل مسحة شر أو اثم .. لم تكن سامية قد أوغلت بعد فى عامها العشرين ومع ذلك فها هى أمامى امرأة .. وسالتها وأنا أشعل سيجارتى .

ـ هل انت متزوجة ؟

وأجابت دون تردد :

ـ أبدا .. لم اتزوج ..

ومرة اخرى رفض عقلى ان يشمئز ... بل لعله

زاد تسلطا على حواسى ..
ـ اهلك فى الاسكندرية ؟
واجابت :
ـ آه .. ولا ..
واصر عقلى على ان يضيع الوقت فى سماع القصة ... وفى توسيع فصولها .
ـ لا افهم .. هل تعنين انهم ماتوا ..
وفتحت بهذاالسؤال ستارالقصةعن مشهدمؤثر،فقد انهمرت دموع سامية .. وعلا نشيجها .. وطار من جو الغرفة آخر ظل للبهجة .. وقمت بدور الرجل النبيل فخففت عنها وأخذت أواسيها حتى جفت آخر دمعة ونطقت أول حرف من مأساة حياتها الدامية !! مأساة حياتها الدامية !! أليس هذا تعبيرا جميلا فى قصة يهز المشاعر ؟ وألم أصبح أنا ، بفضل سلطان عقلى على حواسى ، ممثلا تراجيديا يجيد ان يبكى ويبكى الجماهير ايضا ؟ الم اصبح شيئا آخر غير ذلك الشاب الذى صعد درج الفندق قافزالينعم بغذاء شهى لجسده الجائع ؟ شيئا نبيلا يسمع قصة دامية فتعجبه فيصر على ان يضع لها نهاية سعيدة ؟
وتملكتنى كبرياءالخالقالذى يصنع القصص وانااسمع ختام رواية سامية ،وقال عقلى لنفسى .ان القصة لم تنته. ولايمكن ابدا أن تنتهى قصة على هذا الشكل السخيف .. فتاة يغرر بها شاب فيجعلها تترك أهلها وتندفع فى هواه حتى لا تفرق بين جسدها وقلبها فاذا بالنذل (رأيى انا فى صديق سامية الاول) .. فاذا بالنذل يمضغها لحما ثم يلفظها عظما ؟ وتملكنى الزهو وأنا أتأمل عقلى وهو يلقى هذا السؤال فى تحد وبراعة .. وكانت نفسى أسلمت آخر رغبة لها فى قوام سامية وجسدها .. أسلمتها فى يأس لانها كانت شديدة الايمان بعقلى اذ ذاك .. وقلت لسامية ، بنفسى وعقلى ولسانى معا :
ـ لا يا سامية لا تسخطى هكذا على الحياة وعلى البشرية ليس كل الناس وحوشا كصديقك محيى .. لقد كنت صغيرة

وغرر بك .. أنا معك أنك لن تستطيعى العودة الى أهلك .. ولكنك أيضا لا يجب أن تستمرى فى هذه الحياة ..

ـ وكيف اعيش ؟

وما زلت أذكر الى الان أروع جملة نطقت بها على مسرح الحياة ، حين اجبت سامية فى حزم وعزم وتؤدة

ـ ستعيشين ، كما كان يجب ان تعيشى قبل ان يغرر بك النذل محيى ..

وطويت ستار هذا الفصل بيدى وأنا أطفىء نور حجرتى بعد أن أوصلت سامية الى منزلها وعدت الى حجرتى لانام هادئا مطمئن الضمير قرير العين .. ورفع الستار عن الفصل قبل الاخير ، وانا اؤكد انه قبل الاخير لكى اطمئنكم على ان الرواية لن تطول حتى يعلو تثاؤبكم وتتحرك أجسادكم فى قلق كأنها تدعونى لاختصر القصة .. انى لن أختصر القصة لانها ، من تلقاء نفسها أوشكت على النهاية ... ان ستار هذا الفصل يفتح فى شقة صغيرة بشارع ضيق من شوارع القاهرة التى يسميها الناس ، امتهانا لاصحابها ، حوارى وازقة . انه ليس زقاقا ضيقا وليس حارة حقيرة وانما هو شارع متواضع ، والشقة نفسها ثلاث حجرات . والاثاث هو نفس الاثاث الذى كان عندى قبل بداية القصة لم يزد عليه غير بضعة أوان وأدوات الزينة لامرأة ترضى من زينتها بالقليل وأنا وسامية وخادمة صغيرة فى هذه الشقة .. أنا وسامية زوجان ، دخلت هى بيت الزوجية لتمحو آثامها وتتطهر من ماضيها ، ودخلت انا بيت الزوجية لاضيف الى كتاب حياتى صفحة بيضاء اتقرب بها الى الله ، وما أجمل ان يصنع الانسان الخير ! وما أجمل ان يكون الزواج حسنة من الحسنات .. ومنة على الزوجة ... اليس ذلك فارقا كبيرا بينى وبين الكثيرين ؟ أن أعيش مع زوجة تشعر فى الصباح وفى المساء اننى لست زوجا فحسب وانما ملاك رحمة يأسو الجراح ؟

واستمر هذا الفصل بنفس منظره الذى سردته لكم عاما كاملا ... ويجب ان اعترف ان كل ما جد

على سامية هو حياة الشرف ، ان مواردى لم تكن لتسمح بأن تبدو سامية خيرا مما كانت من قبل ولا أن تأكل خيرا مماكانت تأكل .. كنا نذهب كل اسبوع مرة الى السينما ونتنزه بقية الايام على شاطىء النيل السعيد حيث أخرج لسانى لذكرى الفتاة التى أحببتها ذات يوم وأنا أقول :

ـ هربت منى لتنعمى بحياة الرذيلة ... وهاهى امرأة قد هربت من حياة الرذيلة لتحيا حياتى المتواضعة يا قصيرة النظر . أنها قد وجدت من يؤويها .. أما أنت فهل ستجدين يوما من يؤويك ؟

وكان قلبى يفيض بالفرح والسرور وانا لا اسمع جوابا على هذا السؤال .. وأحس بانزواء للهاربة المسكينة وفى خلال العام لم يحدث بينى وبين سامية أى خلاف وان كنت الحظ أحيانا وجومها وشرودها ،والحظ أحيانا أخرى نزعة كآبة تجعلها تقضى ساعات نزهتنا على شاطىء النيل ساكنة لا تتكلم .. وكنت اعلل ذلك دائما بأنه قلق السعيد على سعادته خوفا من أن تفلت يوما من بين يديه ، او ندم الخاطىء على خطئه الماضى يشتد وطأة كلما ازداد نقاء وطهارة .. ظل هذا تعليلى طوال الايام الاخيرة من عام زواجنا الاول حتى كان يوم عيد زواجنا فأردت أن أزيدها عطفا وقررت أن أحتفل بهذا اليوم .. قررت فيما بينى وبين نفسى ولم أقل شيئا .. وأخذت أفكر كيف أحتفل بعيد الزواج ، فخطر لى أول الامر أن أقيم وليمة صغيرة وأدعو اصحابى ليروا بعيونهم ما فعلت من مجد ... ولكنى استبعدت الخاطر لعدة أسباب فأعز أصدقائى بينهم عبد السلام وقد حل بيننا جفاء خفيف اصطنعته بنفسى لكى أبعد عن حياتى الجديدة ظلال الماضى المعتمة فى حياة سامية .. أما بقية الاصدقاء فقد أطالوا لسانهم فى زواجى واستهجنوا تصرفى ولن يقنعهم الطعام الجديد ولا السهرة اللطيفة بأنهم كانوا خاطئين ... ان ما سيقنعهم فعلا هو أن تمر على هذا الزواج سنوات يبدو فيها كأنه حصن متين ،وانتهيت الى رأى . ثوب جديد .. وسهرة رائعة ،هذا هو خير احتفال بزواجنا واحسن

هدية اقدمها لسامية ٠

واحضرت الثوب واخفيته حتى قبل الغـــــروب ٠٠٠ ودعوت سامية من المطبخ حيث كانت تعد العشاء وقلت بلهجة الآمر :

ـ اخلعى ثوبك هذا وارتدى هذا الثوب الجديد واســـتعدى للخروج بعد عشر دقائق ٠٠

وخرجنا الى الطريق واخذنا نتصفح الاعلانات وقلت :

ـ ما رأيك فى فيلم مصرى ٠٠

وقالت سامية بلهفة :

ـ لا مانع ٠٠ أنت تعرف انى لا أحب الافلام الافرنجية التى ترغمنى عليها كل اسبوع ٠

وسارعت بالضحك فأضاعت سحابة الضـــيق التى كانت توشك ان تجثم على صدرى فقد كنت اظنهـــــا الى اليوم سعيدة بسهرتنا الاسبوعية ٠٠٠ وابتعت تذاكر السينمـــا ودخلت انا وسامية حتى وصلنا الى الباب واذا بضـــوضاء شديدة وتصفيق وهتاف ٠٠ ووجدت عامل الباب يســـحب يده دون أن يأخذ التذاكر من يدى ثم يشير الينا أن نفســـح الطريق ٠٠ وصلنا انا وسامية الى احدالجانبين واذا بصفين من الشبان يفسحون الطريق للقادم العظيم ٠ وقلت لسامية قبل ان يتقدم موكب القادم ٠

ـ انه بلا شك وزير خطير او ٠٠٠

ولكنى لم اتم فقد بدأ أمامنا الوزير الخطير بطلعته البهية ٠ولم يكن وزيرا وانما حسناء ٠حسناء رائعة الفوام تخطر فى معطف من الفراء الابيض الناصع أخذت تخطـــر حتى أصبحت أمامنا ورأتها عيناى فى وضوح واستطعت خلال هالة الاناقه وبرغم شعرها المصفف كأنه سبائك الذهب ان أتبين الوجه وتنطلق من فمى صيحة ، تقابلها صيحة أخرى من ســـــامية ٠٠ وقلت لسامية وأنا لا أملك دهشتى بعد أن ابتعد موكب الحسناء ٠٠

ـ تعرفى دى مين ؟

وأجابت سامية بانفعال وبلهجة لعلى لم اسمعها منها قبل

ذلك اليوم :

ـ مين ؟ خديجة المفعوصة ·· اللى كانت ·

ووصفتها بأوصاف تتشابه مع اوصافها هى ـ حين عرفتها ـ واخذت تذكر زمالتهالها فترة من حياتها · حياتها الماضية التى طوتها وطهرتها فى بيت الزوجية ·· وكنت أنا أتوقع أن تجيب على سؤالى بأنها لا تعرفها فأقص عليها قصة حبى القديم مع هذه الحسناء حين كانت فتاة فيها كل جمال البراءة والصبا ·· تقنع بالنزهة على شاطىء النيل السعيد تكننى آثرت أن أسكت وأنا أدفن حديثى فى أعماق نفسى ، وسرت مع سامية حتى مقاعدنا التى وصلنا اليها بمشقة لانهماك الناس فى استقبال القادمة الحسناء بطلة الفيلم ··وصديقة المليونير · الذى يتربع على عرش من عروش الصناعة والمال، ولم اصفق أنا مع الجمهور ولم تصفق سامية ،وكانت لدينا اسبابنا القوية لهذا الاعراض عن تحية النجمة الفاتنة ،اما انا فقد كنت مؤمنا اشد الايمان بأن هذه النجمة اللامعة ·· كانت اعلى مكانا وهى تجلس الى جانبى على شاطىء النيل ·· وأما سامية ··· فلم أدرك ساعتها حقيقة مشاعرها ·· وانما ادركتها بعد ذلك بأيام ·ادركتها حين عدت الى المسكن ظهر احد الايام ولم يكن قد مضى شهر على عيد زواجنا فوجدت غدائى معدا وسامية قد غادرت المنزل بعد أن تركت لى رسالة قصيرة تطلب منى فيها انطلاق لانها ·· لم تعد تطيق هذه الحياة !

انكم تتحركون كأن القصة قد انتهت ولكنها لم تنته بعد فهذا هو الفصل قبل الاخير ، وهو أطول فصول القصة اذ أنه استغرق عاما ، اما الفصل الاخير فهو قصير جدا ،انه اقصر مما تتصورون · ولستأنا الذى ارفع عنه الستار · انذلك ليس عجيبا فى القصص القصيرة حين ندعى القدرة فنمد فصولها ونوسعها لنخلق منها قصة طويلة · فكثيرا ما يحصل أن نرتبك ونقف قبل النهاية حائرين حيرة أبطال القصة لا يدرون ماذا يفعلون ··· ان القدر نفسه يرفع الستار عن الفصل الاخير

ويحظى وحده باعجاب الجماهير ، أو سخطهم على حد سواء ..
ويرفعه ذات مساء من هذا الصيف .. أى بعد أربعة عشر عاما من بداية القصة .. وفى أحد الاكشاك الخشبية ، ليس على شاطىء البحر فقد أحانت يد الايام أكشاكه الحقيرة المتناثرة الى صف انيق .. ان الفصل الاخير فى كشك خشبى حقير فى الناحية الاخرى من الشاطىء عند الانفوشى ليس كشك استحمام .. وانما مسرح متواضع يؤمه الاطفال والرجال ليقزقزوا اللب ويتفرجوا على راقصة بدينة ورواية مضحكة ورواية محزنة أيضا يموت فيها كل الممثلين .. وفى هاتين الروايتين تظهر سامية فى دور صغير .

وسكت عبد الرؤوف .. ونهضنا لنستنشق الهواء .. ولاحت لنا من شرفة الشقة فى البناية المرتفعة فى ستانلى حيث يقيم عبد الرؤوف وأسرته . لاحت لنا سلسلة الاضواء الممتدة على الكورنيش حتى الناحية الاخرى من الشاطىء وقال عبد الرؤوف وهو يشير الى هناك :

ـ آه هناك يا استاذ .. سامية .. لقد عادت الى الكشك الخشبى الحقير . ما اعجب ما ينهى القدر بعض الاقاصيص !

وتحركت السفينة فى هدوء

كان زواجى بك سيكون مغامرة ..
أدمر فيها بيتا ولا اربح شـــيئا !

الفصول تمر بسرعة .. فيها كل احداث القصة الغرامية .. من النظرة الاولى الى اللقاء الاخير .. كل ما ينقص القصة ان يقف البطل مادا يديه الى الهواء فى حرارة ليقول :

ـ الوداع يا حبيبتى .. الوداع الى الابد ..

ثم ينزل الستار . ويصفق الجمهور .. او . تشير البطلة الى الباب وتصيح بالبطل الغادر فى صوت تشوبه غصبة العفاف الجريح قائلة :

ـ اخرج عليك اللعنة !

فيخرج البطل مطاطئا رأسه مشيعا من النظارة بلعنات تفوق لعنات البطلة . . . ولا يكاد ينفلت من الباب حتى تدوى القاعة بانتصفيق وصيحات الاعجاب .

ولكن هنا . لا البطل يتحرك للوداع .. ولا البطلة تتأهب لتشيعه باللعنة نحو الباب . ان ما يحدث فى قصتنا هذه كذلك الذى يحدث فى السينما حين تتوقف آلة العرض فجأة فتسكن حركة الكائنات على الشاشة وكأنها صعقت .. صعقت قبل الختام مباشرة ، واتخذ كل منها وضعا ثابتا لا معنى فيه ولا روح . . . اجل لقد توقفت آلة العرض فجأة قبل ختام القصة ... توقفت خمس سنوات كاملة ، وفى خمس سنوات كان يستعيد بين الحين والحين القصة من فصلها الاول الى ما قبيل الختام ، فاذا ما انتهى الى المنظر الاخير حار عقله وحاول أن يرسم فى خياله صورة للختام كما يجب ان يكون ..

هل يودع البطل البطلة الى الابد لانها خانت عهد هواه ؟ .. أو تشيع البطلة حبيبها الغادر باللعنة بعد أن نكث العهد ؟ لا هذا ولا ذاك .. ان القصة لم تصل الى الختام ..

كان المنظر الاخير . كما لايزال يذكر فى حجرة الطعام .. وكانوا خمسة يتناولون العشاء ، هو أحدهم ، وخرج وخرجوا بعد العشاء على أن تحادثه فى الغد بالتليفون فلم تتحدث فى الغد ولا بعد الغد .. بل ولم تكن فى القاهرة كلها طوال الشهر .. وعندما عادت لم يعلم بعودتها الا حين لقيها فى الطريق

مصادفة ، ومع انها كانت وحيدة وكان الطريق خاليا فلم تحاول أن تهدىء من سرعة سيارتها ، بل اومأت اليه ايماءة خفيفة وسارت ٠٠ وكأنه مجرد وجه تعرفه وفى ذلك المساء حدثها بالتليفون بدا حديثه بالعتاب ٠٠ عتاب الحبيب الذى يكون آخر من يعلم بسفر الحبيبة وعودتها من السفر ٠٠ وجرى حديثها سؤالا عن الصحة ٠٠ ووصفا لجمال الاسكندرية فى انشتاء ، وسردا لمشروعاتها المقبلة ، ومشروعاتها المقبلة كانت ترك السفر الى اوروبا وانشاء شركة تجارية وو ٠٠ مشروعات لم يكن فيها له أى دور ٠٠ حتى ولا دور المتفرج ٠٠ كانت مشروعاتها الى قبيل المنظر الاخير تقوم عليه وحده ٠٠ هو مدارها وهو لبها وهو هدفها ٠٠ واغلق التليفون وعرف ان شيئا قد حدث ٠٠

وظل ينتظر أياما ، ينتظر المنظر الاخير حيث يفترق العاشقان الى غير لقاء ٠٠ وطالت الايام شهورا ٠٠ ورآها خلال هذه الشهور أكثر من مرة ٠٠ لقيها مرة وجها لوجه وكانت تسير على قدميها ، فوقف أمامها ووقفت ٠٠٠ وقفت وقد أحس أنها كانت سوف تسير فى طريقها دون أن تحييه ٠٠ وبادلها انسلام وتحامل على كرامته وضغط على يدها بحرارة وقالت وهى تسحب يدها فى ابتسامة لا روح فيها ـ كيف أحوالك ٠٠ صحتك زى البمب كما ارى ٠

ونظرت فى ساعتها وقالت وهى تنقلب وكأنها تهرب ٠ ٠

ـ انا مسرورة لرؤيتك ٠٠

وابتلع اجابته لانها كانت قد مضت مسرعة ٠ ٠ ٠ لقيها بعد ذلك عشرات المرات ٠ ٠ ٠ فى المرات الاولى حيته بايماءة ٠٠ وفى المرات التالية اكتفت بأن لمعت فى عينيها ابتسامة وتكاسلت عن الايماء ٠٠٠ وبعد ذلك عرف كيف يجنب نفسه ، ويجنبها ، عناء الابتسام المتكلف ٠٠ كان يشيح رأسه كأن لم ير شيئا ، وعلى ذلك مرت الاعوام ٠ والف كلاهما أن يرى صاحبه وكأنه لا يعرفه ٠٠ أما هو فكان يحسها وكأنها عطر قوى كلما مرت به او عبر بها ٠٠ كان يحسها أحيانا قبل أن يراها ٠٠

دخل مرة احدى دور السينما ·· كان أمامه رهط من الناس قد تجمع عند سلم السينما يوشك ان يصعد ، وفي وسط هذا الجمع احسها تسير ·· لم ير وجهها · ولا حتى خصلات شعرها ·· مع ذلك فقد أحس وهو يخترق الجمع أنها فيه ·· وكانت فعلا توشك أن تصعد درج السلم ، وكانت بينه وبينها مسافة سرعان ما قصرت حتى وجدنفسه يسير حذاءها ··جنبا الى جنب ·· تماما كاحدى الصور التى يذكرها من قصتهما التى لم تتم ··· لقد دخل معها ذات يوم احدى دور السينما فى حفلة العرض الاولى ··دخل معها جنبا الى جنب ·· وجلس معها جنبا الى جنب ·· وكانت مغامرة لا يقدم عليها زوج لم يمض على زواجه عامان ·· كانت مغامرة بالنسبة لاى رجل يظهر معها ، فى مكان عام ·· هى بعينها وما يعرفه عنها المجتمع ·· رآه فى تلك الليلة شقيقه الاصغر وشقيقته ، وضحك شقيقه بعد ذلك بيومين حينما احتدت شقيقته فى عتابه قائلة :

ـ مالك ومال هذه المرأة ·· اتريد ان تلوث اسمك ؟ ما الذى يحدث عندما يراك الناس معها ؟

ضحك شقيقه وقال ساخرا ، وما أمر سخريته ··

ـ اما أنك مسرفة فى التشاؤم فذلك حق ·· لقد دعاها للسينما وقضى سهرة حمراء ·· ثم انتهى كل شىء ·· هل تظنينه سيصاحبها الى الابد ؟ · أى انسان يطيق (···) أكثر من ليلة ؟ هونى عليك يا اخت ، فالزوج مازال بخيروان شطح احيانا ··

لو عرف اخوه الى اى مدى كانت قصته معها قد وصلت ؟ · لو عرف ان السهرة الحمراء لم تكن فى قصته · ؟ ترى كيف كان يضحك ·· وبمن كان يسخر ؟؟

وانتهت درجات السلم ومرت بخاطره شتى الصور ·· أما هى فاتجهت يمينا الى مكانها دون أن تراه ، وأما هو فقد رأى الرواية تلك الليلة وقد اختلطت مناظرها بمناظر قصته معها ·· طالما رفع نظارته ومسح زجاجها ليرى ما على الشاشة فى وضوح ناسيا ان الضباب كان على عينيه وليس على زجاج منظاره ··فى

تلك الليلة بالذات عادت اليه حيرته فلم يأو الى فراشه وانما لجأ الى حجرة مكتبه وجلس يستعيد القصة الى ما قبيل الختام يستعيدها منذ رفع الستار ..

المنظر : مكتب الاستاذ وصفى عبد الحميد حيث كان يتمرن منذ اتم دراسة الحقوق .. يدخل الخادم معلنا قدوم سيدة تطلب لقاء الاستاذ وصفى فى الحاح ..

هو ـ ولم تسألنى أنا يا أبله ؟ ماذا قال لك الاستاذ ؟

الخادم ـ قال لى أنه أنكر وجوده على الزبائن جميعا .. وهددنى بالفصل ان دخلت أنا أو أحد الزبائن عليه فى مكتبه قبل الساعة التاسعة ..

هو ـ اذن تصرف ..

وتصرف الخادم .. ووجد نفسه وجها لوجه امامها . امام ماجده عبد الرؤوف .ماجدة التى رأى صورتها اليوم فقط فى حفلة جمعية رعاية اليتامى تتوسط رهطا من العظماء وهى تبيعهم الزهور بالجنيهات لصالح اليتامى... ماجدة التى ارتبط اسمها بعشرات القصص . خلال الاعوام القليلة الماضية .. قصص المغامرات المثيرة مع كبراء ونجوم المجتمع .. آخر هذه القصص كان حديث الناس منذ أسابيع . قصة هيام عبد اللطيف باشا سعد بها وكيف استعانت زوجته بانبوليس لتستخلصه من أنياب ماجدة وتخرجه من شقتها الانيقة بعد منتصف الليل .. فضيحة لم تنشرها الصحف لمركز عبد اللطيف باشا الخطير . ونشرتها السنة الناس لنفس السبب .. وجها لوجه أمام فتاة الغلاف لصفحة الاشاعات فى كتاب المجتمع .

وغلبه الارتباك وتمتم بألفاظ التحية المعتادة فى اضطراب وتحركت يداه تشيران الى المقعد ولكنها سألته فى عجلة :

ـ الاستاذ وصفى ليس موجودا الان . قال لى ذلك الخادم وان كانت سيارته تقف أمام باب العمارة ، لا يهمنى ذلك وانما أريد ان اكلفه بعمل .. انت تعرف انه محامى .

ولم يكن يعلم ولكنه اجاب :

ـ أعرف ذلك ..

قالت : ـ أريد أن يبعث انذارا لصاحب العمارة التى أقطن بها ·· هل من الضرورى أن أقابل الاستاذ لذلك ؟ ·· أظنك تستطيع أن تقوم لى بهذا العمل ··

ولم تنتظر اجابته وانما أخذت تشرح له ما تريد ·· وكتب لها صورة الانذار الذى تطلبه وأمر الخادم فحملـــه الى الكاتب ليكتبه على الالة الكاتبة ··

حدث كل ذلك فى أقل من نصف ساعة ·· ونهضت ماجدة وحيته شاكرة وانصرفت وبقى هو وحيدا ·· وحيدا مع بقـايا عطرها القوى يملأ رئتيه وصوتها العذب يملأ أذنيه ·· أمـا عقله فقد كان غارقا فى عشرات الافكار الغامضة ·· كان هـذا أول منظر ·· نستطيع أن نسميه النظرة الاولى ·· النظـــرة الشاردة لا تحمل معنى من معانى الحب كما يفهمه الشـعراء أو الكتاب ·· هو نفسه لم يكن يجرؤ أن يقول أنه أحبها ·· بل لعله ضحك لفكرة من افكاره الغامضة ··· فكرة قضاء ساعة مرحة مع ماجدة فى نزهة بالسيارة ،ان المنظر الثانى يحدث بعد ذلك بأيام ·· من المدهش أن يكون هذا المنظـر ·· هو نفس فكرته الغامضة التى ضحك منها !

أبواق السيارات ترسل اصواتها القوية من شارع قصر النيل وكأنها فى مباراة للازعاج · · · وهو يســـــــير وحده يتأمل واجهات المتاجر · · · وقف عنـــــد احداها يطيل النظر ، راقه رباط رقبة بديع فوقف يفكر فى المغامرة ، مغامرة شرائه وحمله الى المنزل ، وصوت زوجته وهى تقول فى عتاب « كرافتات تـانى ·· الا تشـــبع كرافتات ؟ » ويهـــم بالدخول ، ويرتفع صوت بوق سيارة ، يعلو على بقية الاصوات ويدوى بلا انقطاع وكأنه ينادى أحدا ·· يدير رأسه فيراهـا هى ·· ماجدة تضحك وقد وضعت يدها على عجلة القيادة وكفت عن اطلاق البوق وتصيح به وهى تضحك ·

ـ ماذا ؟ اذنك ثقيلة الى هذا الحد ··

ويقترب منها محييا ، ولعله اضطرب للمفاجأة ، فهى التى تكلمت ثانيا ـ ماذا تفعل فى هذا الشارع ؟

ـ لا شيء .. أقطع الوقت ..
ـ وأنا أيضا .. أقطع الوقت .. تعال ..
وتردد قائلا ـ قد تكونين ...
ـ أكون ماذا .. ليس لدى عمل . بل لعلى لا اعرف ماذا افعل بليلتى كلهـــا . . . تفضل يا اســـــتاذ . . . ربما وصلنا معا الى فكرة . .
فكرة ! .. ماذا لو جرؤ فعرض فكرته التى ضحك منهـا منذ ايام ؟ .. نزهة فى طريق الصحراء !
ـ فكرة رائعة .. وستقص على فى الطريق تاريخ حياتك .. لا أدرى لم أحب أن أعرف شيئا عنك .. ان هدوءك يثيرنى ..
هدوء ؟ وفى رأسه عشرات الافكار تصطرع وتتسابق كل منها يحاول أن يصل الى نطاق التنفيذ .. هدوء ؟ . وقلبه يكاد يخر تحت ضربات الفرح والانفعال الثائرة .. حمدا لله ان لم يجعل العقل والقلب من أطراف الجسم الظاهرة كاليد والعينين .. والا لرأت فى عقله . عشرات الافكار البيضاء ،والسوداء، على حد سواء .. بعضها يزين له ان يحيط خصرها بذراعيـه اذا ما أوغلت السيارة فى طريق الاهرام . ثم يلثم خدها فى رفق وأدب .. وحنان ، وبعضها يهمس له ساخرا بقبلة الخد قائـلا انها ابعد طريق الى قلب المرأة . ماذا لو لثم شفتيها . . لو بدا طفلا وتجاهل النار ؟ وأفكار أخرى سوداء .. تلك الفكـرة التى طردها فى عنف والسيارة قد شارفت نهاية شارع الهرم واوشكت ان تنحرف الى الصحراء .. هو يفعل ذلك ؟ . ينظر اليها فى خبث ويقول وقد أومأ برأسه ـ مالنا وللصحـراء .. دورى بالسيارة الى المدينة . الى شقتك الانيقة . نحتسى كأسا . أولا ، هو لا يشرب الخمر .. وثانيا ، هى .. سوف لا تقبل .. سوف تنظر اليه فى احتقار .. وسوف تدور بسيارتها فعلا وتنهب الطريق الى المدينة . وستقف حيث نقيته ، وستقذف به فى نظرة ازدراء قاسية دون ان تتكلم . هذا الاعتراض الثانى لو انه تهدم لجرف فى سبيله الاعتراض الاول .. لشرب حتى ثمل .. يالها من فكرة .. فكرة سوداء . . تهوم فوق صورتها

فى خياله .. ثم تستقر على عقله لحظة .. فيطردها فى عنف فتهوم من جديد . ثم تعود . ليطردها من جديد . وتضنيه مطاردتها فيستقر لحظة .. يخيل له فيها انها دارت بسيارتها. ووقفت السيارة امام دارها .. وهبطت وهى تدعوه فى دلال ويدخلان سويا .. وتقدم له كأسا .. ويشرب الكأس ويلثم الشفاه القانية و .. الثمن ! .. ثمن ساعة مرحة مع ماجدة .. وتفزع افكاره جميعا . وكأنها طيور صغيرة هبطت فوقها كف طير جارح . ويطرق اذنيه صوتها وهى تسأله :

ـ تعرف تسوق السيارة ؟ ويجيب ، وقد استراح من افكاره ، وهو يضحك

ـ لا ابدا .. اعرف ركوبها فقط ..

ـ مع انها سهلة جدا ..

ـ سهلة صحيح . . لكن لابد من سيارة ليقودها الانسان هذا هو الصعب فى الموضوع .

تقف السيارة .. ويقف المحرك ، وتمد يدها بعلبة السجائر وتقول وهى تشعل له

ـ حدثنى عن نفسك

وتنطفىء الولاعة مرتين قبل ان تشتعل سيجارته .. كانت يده تضطرب وانفاسه تلهث .. وكأنها كانت تطارد افكاره، ويقول نها وقد ملك عنان نفسه

انا .. محام تحت التمرين .. اعمل بمكتب الاستاذ وصفى منذ عامين وانال منه مكافأة شهرية عشرين جنيها عمرى وتقاطعه قائلة فى تهكم :

محضر تحقيق . ؟ عمرك ومرتبك . هذه معلومات تقدمها للخاطبة ... انا اسألك عن حياتك .. تفكيرك .. ماذا تقرأ وماذا تحب .

جالت بخاطره اذ ذاك مغامراته الصغيرة من قبل .. كان يكفى ان تأتى كلمة الحب على لسان فتاة لكى يهمس فى اذنها باعتراف صغير ويتلقى الجواب من شفتيها ،هل يقول لماجدة احبك انت ثم .. ثم ماذا ؟ هل هى احدى فتيات صباه اللائى

يستهويهن قبلة فتضرم نار انهوى وتحرق الحياء .. كم من القبل تذوقت شفتا ماجدة ؟

وانقذه من ذلك التيه الذى شردت فيه خواطره مرة اخرى صوتها الناعم .

ـ هل قرأت ديوان « م » الاخير .. ؟

واجاب دون تردد : « لقد قرأت بعض قصائده » لقد خرج فى هذا الديوان عن بعض تزمته وبدا انسانا رقيق الاحساس ... قصيدته « الموعد » مثلا ذكرتنى بشعر شللى .. هل قرأت هذه القصيدة قالت :

ـ وأعرف متى كتبها . .

قصة حبه المعروفة . ؟ انى اشك كثيرا فيما يشاع عنها . لا اشك فى انه احب .. ولكننى اشك فى انه احب « س » بالذات انها لا توحى بشىء . . .

واسرعت قائلة :

ـ لك انت ربما .. لكن له ، لقد كانت فى وقت ما كل وحيه ، غريبة اليس كذلك ؟ انت وامثالك من السذج لا يصدقون ان تكون مثل هذه المخلوقة التافهة مصدر وحى لشاعر ممتاز . لكن من قال ان ملهمات العباقرة كن دائما ذوات خطر ... اننا لم نر احداهن الا فى الثوب الذى خلعه عليها صاحبها

ووجد نفسه يقول :

ـ لو كنت ملهمته انت مثلا . ترى ماذا كان يضع فى الشعر

ربما كان لا يكتب قصيدة واحدة ..

أنت لا تلهمين ... أى مجنون قال هذا .. وكان متحمسا الى حد اضحكها ... اضحكها فترة عادت بعدها تقول :

ـ هل تنظم الشعر انت ؟ . وتنقصك الملهمة ؟ ..

ومن هنا يدخل هو وماجدة الى احداث القصة كان كل ما مضى مقدمات لكى تبدأ .. ما اكثر ما ضحك تلك الليلة من نفسه وما اشد ما خجل من خواطره وافكاره البيضاء والسوداء على حد سواء ! عادا من طريق الصحراء عند منتصف الليل .. لم يطوق خصرها بذراعيه . ولم يحتس معها كأسا فى شقتها الانيقة .

كل حصاده من متاع الاجساد قبلة حارة طبعها على يدها ..
ومع ذلك فما احس بانه يقبل يدا ، وانما يلثم اطراف محراب.
وتتوالى مناظر القصة .. كلها على نمط واحد ، يلقى ماجدة في المساء ويحدثها في الصباح بالتليفون يلقاها في شقتها فيقضيان الساعات يقرأان الكتب ويسمعان الموسيقى .. كانت تجلس الى اريكة وثيرة وقد استرخت كانها تحلم بينما جلس هو الى مقعد بجوارها يقرأ لها شعر الحب لعشرات الشعراء ، كانت تقول له :

ـ القاؤك يكسبه روحا ومعنى .. من المؤكد انك ستنظم شعرا عذبا يوما ما .

وكان يضحك قائلا :

ـ ربما .. هذا يتوقف عليك .. انت الهامي ذات يوم ان كتبت شيئا ..

وكان يحس وهو يقرأ لها شعر النجوى والضراعة ، انه لا يلقى نظم غيره .. كان يخيل له انه يتحدث عن نفسه .. يتكلم بالفاظه هو ، وكان ينتبه الى نفسه كلما انتهى من تلاوة الشعر فيجدها تحملق فيه ، او تحدق في الفضاء .. حتى هي كان يخيل لها انه يخاطبها ... وانه يبث نجواه هو اليها ، لا نجوى الشاعر لحبيبته ، وكان يخرجان احيانا الى الصحراء فتقف السيارة وينطلقان في الخلاء ، تخب اقدامهما في كثبان الرمال وتخوض افكارهما في خضم العواطف وتلوك السنتهما شتى الاحاديث . يتحدثان عن القدر وعن الناس وعن الحب .. تقص عليه طرفا من حياتها وما لقيت فيها من هناء وشقاء ، كل يوم كان يمزق قناعا من نفسها الغارقة في عشرات الاقنعة .. بدت له نفسها اخر الامر نفس فتاة تنطوي على احساس بالخير والشر والهناء والشقاء والحب والكراهية ، وخيل له ذات يوم انها .. ماجدة .. فتاة وليست كائنا من جنس غير البشر .. لها شفاه تلثم فتحس حرارة الحب .. وعينان تدمعان للاسى وتلمعان للفرح . . وعندئذ فقط وجد نفسه يتخلى عن دواوين الشعر .. ليناجيها

بلغته وكلماته وقد صب عليها قلبه من حرارته ماكساها روعة الشعر ٠

وقالت له يوما ، وهى تحدق فى الفضاء كأنهـــــا تسمع شعرا ٠

هل تحبنى حقا الى هذا الحد ؟

واجابها فى صدق :

ـ اجل يا ماجدة ٠ احبك منذ لقائنا الاول ٠ كل مافى الامر اننى كنت احسبك تمثالا جميلا من المعدن فلم ابح لك بالحب ٠ حتى تبينت لى انسانا يسعد ويشقى وله قلب ٠٠٠ انا اعرف ان حبى لك عبء يجب ان احتمله وحدى ٠٠ اعرف انه ليس فى حياتك فراغ املؤه ٠٠ لكننى مع ذلك احبك ٠

واطرقت ماجدة لحظة قالت بعدها ، وفى صوتها احساس وعاطفة

انت تعلم انى ارتاح اليك واحب ان اكون معك ٠ ليس حبك لى عبثا ٠٠ انه على العكس يبعث فى الامل ٠

وتصل القصة الى قمتها ذات يوم ٠ كانا يستمعان الى اغنية فى الراديو ، لحن جميل نظمه شاعر يصف حبه ويشكو فيه ، لا هجر المحبوب ولا وصاله ٠ وانما خلو هذا الحب من الهجر والوصل معا ، حتى ليتمنى على المحبوبة ان تقسو عليه ٠ ومدت ماجده يدها وخفضت من صوت الراديو وقالت فى امتعاض :

ـ لا احب هذا اللون من العلاقة ٠٠ انه كالماء الراكد ٠ أوثر عذاب الهجر على صقيع الركود ٠٠ افضل الف مرة ان احب انسانا فلا يحبنى ويهجرنى على ان اظل معلقة بخيط الشـــك أو الغموض ٠٠ انت ما رأيك ؟

وابتسم ابتسامة فهمتها وهو يقول :

ـ انا من رأيك ٠٠ لكن انت ٠ الاتحسين انك تتركين انسانا معلقا بهذا الخيط ٠٠ لو ان هذا الانسان ادرك مصيره

وامسكت بيده واخذت تربت عليها فى رقة ، ورفع يدها الى فمه ولثمها ٠ ثم سار بها حثيثا حتى استلقت على كتفه واحسها تلمس عنقه ٠ واحس بانفاسها تتردد دافئة فتحسس طريقه الى فمها وغاب فى قبلة طويلة ٠ قبلة رسم خلالها خطوط مستقبل جديد ٠

كانت قد استرخت على المقعد وكأنما شربت فى القبلة نفس الخمر فثملت .. اما هو فقد بعثت فيه مع النشوة نشاطا دب الى خياله .. وقال وفى صوته عزم :

ـ هل تتزوجيننى يا ماجدة ؟ أو ؟ ..

وأجابت وما زالت سكرى :

ـ أو ماذا ... اترى نفسك مازلت معلقا بخيط الغموض ؟

وشربا كأسا اخرى من نفس الرحيق وامتلأت رئتاه بعطرها العميق وتدفق الهوى فى شرايينه حارا كالدم واخذ يصب فى اذنيها الامانى ..

ـ لن اظل فى مكانى ياماجدة فى مكتب الاستاذوصفى .. لقد بدأت اكون لى عملا ، وسأفتح مكتبا خاصا بعد عام . . . سنبدأ معا حياة جديدة مشرقة . انت وانا متفقان فى مشاربنا . كلانا يقرأ كثيرا . كلانا يحب الادب .. اننا على الاقل لن نجوع ياماجدة فلدى ما ييسر لنا حياة طيبة .

ان هذا المنظر هو اقوى مناظر القصة ..

ظل يتكلم طويلا ، والقى دوره بمهارة فائقة وكأنما كان يستظهره منذ شهور وظلت ماجدة تستمع .. ترى هل نجح فى دور العاشق امام عاشقة محترفة ؟ وهل سمعت اذناها قبلا مثل هذا الاداء ؟ .. ان ما حدث بعد ذلك كشف عن مدى نجاحه ، اذ قبلت ماجدة الزواج منه ، لقد نجح فى ان يجعلها تنسى نفسها وتتكلم كفتاة يتفتح قلبها لنداء الحب، قالت له:

ـ وزوجتك ؟

اجابها على الفور :

ـ انها شابة ومازال امامها المستقبل وحين يحب الرجل المتزوج فمعنى ذلك ان زوجته لم تملأ فراغ حياته .. اتظنين انه فى استطاعة الرجل ان يحب اثنتين ؟

واخذت تسوق الاعتراضات . واخذ هو يحطمها واحدا واحدا . وراحت بعد ذلك تتخيل بيت الزوجية وماسوف يكون بيت الزوجية الذى ما عرفته قط ، هى التى ذاقت كل بيت عداه .. واتفقا على موعد للزواج بعد ثلاثة شهور، ولعله اطمأن منذ ذلك اليوم الى أنها لم تعد الغانية ماجدة ، بل أضحت خطيبته وان لم يعنيا

بأعلان الخطبة ·· لقد اعلن علاقتهما بعد ذلك سير هذه العلاقة ·· بدا يظهران سويا ويغشيان المطاعم ودور السينما وكثيرا ما كان يقابلان بعض أصدقاء ماجدة ·· كانت تومىء لبعضهم من بعيد ، وكانت تقدمه للبعض الاخر ·· وكان هذا البعض الاخر شعراء وفنانين من الشبان ·· وكان هو يعرف بعضهم من قبل ، كانت تقدمه كصديق وكان كلما سألها لماذا لا تنبئهم بالخبر تقول له ضاحكة :

ـ ولم التسرع سيعرفون النبأ فى حينه ··

وفى شقتها الانيقة كانت تجمعه واياها واصدقاءها من الادباء والشعراء سهرات رائعة يتحدثون فيها ويستمعون للموسيقى· ولا ينسى ذلك اليوم حين جاء صديقها الموسيقار (م) ، وقد تأبط نوتة لحن من وضعه وجلس يسمعهم اللحن بصوته الحنون وعيناه مسمرتان على وجه ماجدة حتى انتهى اللحن وصفق الجميع وصفق هو معهم وان كان قد أحس شيئا من الضيق ·· ضيق لم يخالجه شك حينذاك ، ضيق ضعيف انفرج مع صيحات الاعجاب والتصفيق باللحن والاغنية ·· وقال « س » وهو ممثل يستنفد قدرته الفنية فى التظاهر والتمثيل فى الحياة ·· قال وقد خفت موجة الاعجاب ··

ـ عرفنا أن اللحن من تأليفك ولكن من الذى وضع هذه الاغنية الجميلة ·· ويجيب الموسيقار ببساطة :

ـ الاغنية من تأليف صديقنا الشاعر « ع » لقد وضع الاغنية لماجدة وانا لحنتها لها ··انها من وحيها لحنا ،وغنائها لها· ·· ويصفق الجميع من جديد وقد توجهت أنظاره الى الشاعر (ع) الذى جلس فى حياء وقد اصطبغ وجهه بحمرة قانية ·· وكأنه عذراء تسمع حديث الحب لاول مرة ·· وصفق هو مع الجميع · وأحس بضيق أشد قسوة وظلا من ضيقه الاول ·· وكان مطلع الاغنية :

عرفتك فى ربيع عمرى ياريت العمر كله ربيع ··

ماذا بعد ان عرفها؟ ·لطالما سأل نفسه تلك الليلة وهو يتقلب على فراشه ذلك السؤال · وكان يجيئه الجواب يوما بعد يوم حتى تجمعت سطوره فى عبارة واحدة : ان ماجدة كانت وحيا

لاكثر من قصيدة ، وأكثر من شاعر ، وكانت الهاما لاكثر من رسام ومثال ، وكانت نغما لاكثر من لحن وموسيقار .. وهو ؟ .. هو الذى سوف يحظى يوما بهذا النبع لينهل منه الى الابد .. وكان هذا يعزيه ويبعث الى نفسه الراحة .. فلم يشك يوما ولم يسىء الظن .. حتى فى قرارة نفسه . وكان يقول لنفسه كلما خطر له خاطر سوء ولم تخدعنى ولا مأرب لها ولا هدف .. كل ذلك ضرائب الشهرة واللمعان .. قصة الفراش وهالة النور فى كل زمان ومكان .

حتى كان ذلك المنظر من القصة حين توقفت آلة العرض فوقف كل شىء وسكنت كل حركة . كانوا خمسة يسهرون عند ماجدة هو أحدهم وكان ذلك قبل موعد الزواج الذى حدداه بثلاثة أسابيع . بدت ماجدة تلك الليلة فى ثوبها الازرق رائعة .. وكلمة رائعة لا تكفى ، بدت شيئا أخطر من ان يمتلكه انسان أو يستأثر به حب واحد ، كانت أكثر من امرأة واحدة حتى لقد سأل نفسه سؤالا لم يستطع الجواب عليه ـ هل يقوى حبه وزواجه بها ، مهما كان قويا وسعيدا أن يضفى عليها ثوب امرأة الرجل الواحد فلا تشع روحها الا على حياته وحده ؟ ..

وأدار بصره حواليه اكثر من مرة فأحس بعجزه عن الجواب .. أو على الاصح بشكه فى أن يكون جوابه بالايجاب ... ها هم أولاء خمسة ومع ذلك فان ماجدة تسبغ عليهم جميعا ثوبا من البهجة وتشع بروحها عليهم ، وكان كلا منهم يحظى من السعادة أكثر مما يطيق ... وينتصف الليل وتمضى ساعاته الاولى وينصرف الجميع ويكون هو آخرهم .. يلثم يدها فى عمق ولا يكاد يفتح فمه حتى تقول له وهى تربت على يده :

ـ غدا . غدا سأحادثك بالتليفون ..

غدا ؟ لا غدا . ولا بعد غد .. وتسافر الى الاسكندرية وتعود . ويتبين ان قصة هواه قد وقفت عند ذلك المنظر دون أن تصل الى ختام قصص الهوى كما ألفتها الحياة .. أو ألفها الكتاب ... لم

يلتق البطل والبطلة فى قبلة لا فراق بعدها ... ولم يفترقا فى دمعة كبيرة يذوب فى حرارتها الحب ...

• • •

بعد خمس سنوات تتحرك آلة العرض فجأة أيضا ، فيتحرك كل شىء ويمر على شاشة الحياة آخر موقف من مواقف القصة ... موقف الوداع .. يودع البطل البطلة الى الابد . المنظر .. ميناء فينسيا ، والباخرة قد رست لتلتقط بعض الركاب العائدين الى مصر بعد رحلة الصيف فى أوروبا .

كان هو أحد هؤلاء العائدين ، وضع أمتعته فى مقصورته بالباخرة وخرج الى أحد الصالونات وجلس وحيدا يقلب فى نهم صحيفة مصرية اعطاه اياها احد الركاب من المصريين واعلن أحد ضباط السفينة أنها ستغادر الميناء فى الساعة العاشرة مساء .. وكانت هناك ساعتان باقيتان ،وكان الكثيرون من الركاب قد تفرقوا بين قاعة الطعام وصالونات الباخرة .. وقريبا من النار جلست جماعة من المصريين تقطع الوقت فى الحديث على رنين الكؤوس ،ورفع رأسه على ضحكة عالية .. ضحكة لم ينسها ولن ينساها .. ووجد ماجدة تتوسط تلك الجماعة والى جانبها صديقها المليونير الكهل آخر من ربطتها به الشائعات منذ عام . ورأته ماجدة ، وهزت رأسها تلك المرة فى تحية باسمه .. رد عليها سريعا وعاد ببصره الى صفحات الجريدة ،ومرت نصف ساعة بذل خلالها كل جهده لكيلا يرفع بصره عن الصحيفة ... كان كل ما يشغل فكره ليست أنباء الصحيفة وانما قصة ماجدة معه وكل ما سمعه عنها منذ افترقا الى الان ..

وارغمته حركة المقاعد ان ينظر من جديد الى مائدة ماجدة فوجد الجمع قد نهض ليحيى صديقها المليونير الذى سمع صوته يقول لماجدة « اننى متعب وسأذهب الى مقصورتى، قومى حين تسأمين حديث هؤلاء السادة » ... وتلتقى عيناه مرة ثانية بعينى ماجدة ويلمح فى عينيها ظل ابتسامة ... وتمر بضع دقائق فيهب من مكانه ويتجه الى

سطح السفينة ويقف مطلا عـــلى الميناء وقد انعكست عليـه الانوار وتمر بضع دقائق أخرى فيحس الى جانبه شيئا يتحرك فيلتفت فيرى ماجدة وحدها قد وقفت الى جانبه تتأمل الميناء ويشق سكوتهما صوت ماجدة :

ـ أما زلت حاقدا على ٠ ؟

ويصدمه السؤال فيرتبك ٠٠ يرتبك حتى يتعثر الاضطراب على شفتيه :

ـ أنا ٠٠ أنا أحقد عليك ؟ وتسارع قائلة :

ـ لا ٠ لا ٠٠٠ أعرف أنك غاضب منى ولك العذر ، لكن كان لابد أن أتركك هكذا معلقا ٠٠ ماذا كنت تنتظر أن أفعل ٠٠ وكان على وشك ان يجيبها ٠

ـ ان تلقى السطر الاخير فى القصة ٠٠

لكنها لم تتح له الفرصة اذ استطردت :

ـ كان زواجنا أمرا مضحكا ، كانت فترة ركود فى حيـاتى حين عرفتك ٠٠ ثم انى كنت اعجب بك ٠

وقال : ـ كما كنت تعجبين بالشاعر « ع » والموسيقار « م »

ـ تماما ٠٠ حتى حين حدثتنى عن الزواج ٠٠ فقبلت ٠٠

وكنت جادة حين قبلت ٠ كنت اظن انها فكرة رائعة ٠ ان تتزوج مثلى وتستقر ٠ حتى تبينت خطئى ٠ تبينت ان المغامرة سوف تكون فاشلة ٠ بالنسبة لى على الاقل ٠٠

وأجاب ساخرا :

ـ مؤكد ٠٠ الزواج من شاب ليس مليونيرا ٠ وليس كهلا ٠٠ و وقاطعته منفعلة :

ـ انت لا تفهمنى ٠٠ كنت تحبنى اليس كذلك ؟

وسكت ٠

ـ كنت تحبنى ٠٠ وكنت ستتزوجنى وتطلق زوجتك ٠٠ ثم تدخل حياتى ٠٠ حياتى كما هى ، أو أدخل حياتك ٠٠ كما هى ٠٠ الذى حدث انك انت دخلت حياتى ٠ وعشت فيها ٠ واحتملتها أياما و ٠٠٠ واعذرنى ان قلت لك ٠٠ لم أحس لحظة واحدة أن عاطفتى نحوك من القوة بحيث تخرجنى من هـــذه الحياة ٠٠ الى آخر يوم كنا فيه سألت نفسى ٠٠ هل أنا عـــلى

استعداد لان أتخلى عن كل شيء فى حياتى لادخل فى حياتك زوجة تغلق عليها جدران أربعة ؟ . وكان الجواب دائما لا .. معنى ذلك أن زواجى بك لن يكو نالا مغامرة ..

ـ مغامرة .. وهل تخشين المغامرات

ـ مغامرة ستدمر بيتك انت وحياتك انت .

ومضى فى سخريته :

ـ تدمر حياتى وبيتى .. وهل يزعجك تدمير بيت ؟ انت؟

وتملكها الغضب وقالت ثائرة :

ـ طبعا لا يزعجنى .. لكن أى بيت .. حين ادمر بيتا فأنى أختار البيت الذى أدمره .. واختاره بنفسى .. تكون أنقاضه تساوى شيئا .. لكن بيتك انت .. ماذا كانت تساوى أنقاضه ؟ . مغامرة ان خسر فيها غيرى فلن أربح فيها انا شيئا ذا قيمة ..

وكأنما احست بقسوتها فعادت تقول فى رقة :

ـ اعذر صراحتى .. لم اكن احب ان أواجهك بهذا لكن انت لا تريد أن تفهم

ـ بل فهمت يا ماجدة .. عز عليك ان تغامرى مغامرة صغيرة .. وعز عليك أيضا ان تكلفى خاطرك مشقة الرفض .. الرفض الصريح .. ولم يكن يكلفك شيئا أن تقولى لن أتزوجك لأننى لا أحبك الى الحد الذى أضحى فيه بحياتى اللاهية .

ـ أو أضحى فيه ببيتك انت على الاصح ..

ومرت فترة سادهما الصمت قطعها بعد ذلك صوت ماجدة وكأنما كانت تبكى :

ـ لو أنى قلت لك اذ ذاك انى لن أتزوجك لاننى لا أصلح لك .. ولان حياتى لو دخلت فيها فلن تجنى خيرا .. لاننى أحرص على بيتك الصغير .. فربما جعلك ذلك تبدو . . . وأنا أعرفك طيب القلب .. كمن يأسره النبل .. فتتمسك بى .. كنت استطيع ان ابدو لك بمظهر الفتاة النبيلة فتزيد تمسكابى وكنت أيضا أستطيع أن أكذب عليك فأزعم لك انى أحب غيرك . فأجرحك جرحا .. جرح الرجل يهزم فى قلبه وكرامته

.. لكننى آثرت أن أنسحب من حياتك دون ضجة .. آثرت أن أترك حبل هواك يرخيه الزمان .. لقدأخطأت مرة واحدة.. أتعرف متى ؟

كان غارقا فى الصمت فأجابت هى :

ـ حين دعوتك أول مرة لنزهة فى الصحراء .. كان أبعد ما أتخيله أن تحبنى وان ترى فى شيئا غير ما يراه الناس ..

وتحركت ماجدة الى مقصورتها .. وتحركت السفينة فى هدوء . بعيدا عن الشاطىء ...

صفحات من مذكراته

انها سعادتها عدوى الوحيد ان أبى
وامى يحرقان صبرى بخورا يجلب لها
السعادة ...

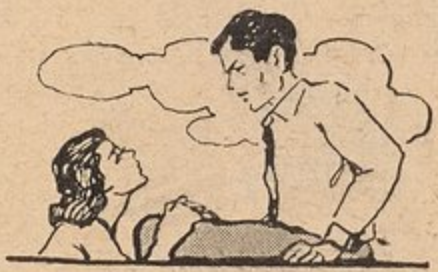

٢٠٠٢/٢٠٤٣

دعنى اقدمه لك أولا ·· انه ليس رجل اعمال خطير الشأن تتحرك لحركته دوائر المال والاعمال او تنخفض الاسعار أو ترتفع ·· ولا هو رجل فكر يوجه الرأى العام بآرائه ويميل بتفكيره حيث يريد ·· ولا هو اديب يمتشق قلمه فتتلقف المطبعة ما ينثال من هذا القلم ، لتنشره على الناس ··· انه ليس هذا ولا ذاك ولا الذى قبله ·· انه مجرد انسان عادى ولد فى القرن العشرين وما زال يعيش مع الاسف (وهذا تعبير مأخوذ من مذكراته) أما كيف ولد فان لذلك قصة دامية ··

لقد تعسرت ولادته على أمه فخرج بعملية جراحية الى الوجود وعادت هى ، بنفس العملية ، الى العدم ·· وكان ابوه يحب امه حبا يقرب من العبادة ، فكرهه هو لفعلته الشنعاء ، كراهية تقرب من الكفر ·· وليس تعبير « فعلته الشنعاء » من عندى ، انه تعبيره أيضا عن موت أمه بعد ولادته · انه يقول فى مذكراته ان اباه كان يناديه منذ بدأت أذناه تعيان الالفاظ قائلا ·· تعال يا قاتل امه ·· كل يا قاتل أمه ··واذا كانت القصص لا تنتهى بالولادة وانما تبدأ بها ، فلا بد ان تسير فى حياته منذ ذلك اليوم فتراه يكبر كما تكبر الاطفال حتى يبلغ التاسعة وعندئذ يتزوج ابوه من سيدة لها طفلة فى مثل عمره ويضاف الى حجرته سرير صغير كسريره تنام عليه اخته الجديدة ··

وكل التجديد الذى يطرأ على حياته منذ ذلك اليوم هو مولد عدو جديد هو السيدة والدة الاخت وزوجة الاب ··· ومنذ ذلك اليوم يبدأ كتابة مذكراته ·· لا يكتبها على الورق وانما ينقشها فى صفحة خياله حتى تمر خمس سنوات ويصل الى سن الرابعة عشرة فيدخل عليه ابوه ذات يوم حجرته ويدفع اليه بمفكرة كبيرة للعام الذى انصرم قائلا :

ـ خذ ·· بدلا من شراء كراريس · · حل واجبات الحساب فى هذه الاجندة ··

ولما كان يعرف نتيجة تنفيذ رغبة والده ، خمس ضربات بالعصا انرفيعة على باطن اليد . العقوبة الرسمية التى يفرضها مدرس الحساب لمن لا يحل الواجب بخط نظيف فى كراسة المدرسة ، فهو يؤثر السلامة ويتظاهر باجابة والده ولكنه لا ينفذها .. انه ينفرد بنفسه بعد ذلك فى الحجرة ويأخذ فى تقليب « الاجنده » ويلاحظ ان لكل يوم صفحة ويخطر له الهدف . الذى يحتفظ الناس من اجله بالمفكرات، لكى يكتبوا فى صفحة كل يوم ما حدث فيه .. او ليقيدوا مواعيد الايام المقبلة حتى لا ينسوها

ونحن الان .. هو والمفكرة والقراء حسب تعبير المذيعين . . . نحن الان فى عام ١٩٣٨ ، ٤ مارس ١٩٣٨ على وجه التحديد . . . والمفكرة هى مفكرة هدية من احدى شركات الادوية لرأس السنة عام ١٩٣٧ . . . وفى كل صفحة منها حكمة او قول مأثور وتحته اعلان عن احد ادوية الشركة .

انه سيبدأ كتابة هذه المذكرات من اليوم ...

لكن الاربعة عشر عاما التى مرت .. الا يحسن به ان يكتب لكن الاربعة عشر عاما التى مرت .. الا يحسن به ان يكتب ما يذكره عنها .. ان لديه صفحات المفكرة من أول يناير ١٩٣٧ الى ٤ مارس ١٩٣٧ فليجعل لكل شهر مضى من حياته صفحة. ان أجمل ما فى الماضى ، ماضى الطفولة ، انه ليس طويلا كالحاضر .. ان الانسان يستطيع ان يتمثله فى لحظة واحدة فى احساس سريع كالبرق .. احساس فرح او احساس حزين.. ولكنه لا يستطيع حتى أن يجعل لكل شهر من حياته صفحة من صفحات المفكرة، وذهنه الصغير يهديه الى حل ساذج ..ان أيام حياته الى اليوم ثلاثة .. يوم ولد ويوم تزوج أبوه .. ويوم جلس مع أخته .. أخته التى فرضها عليه القدر كما فرض عليه أن يكون طفلا بغير أم .. يوم جلس مع هذه الاخت .. على مائدة الطعام وأمامهما والده ووالدتها . وقالت زوجة أبيه ..

ـ بنتى الان ليست صغيرة وأريدها أن تنام وحدها فى حجرة أخرى . وأجاب أبوه :

ـ واذا كانت حجر المنزل محدودة فماذا نفعل ؟ وردت الزوجة ::

ـ أبدا نستطيع أن ننقل المكتب الى حجرته وننقلها الى الحجرة الثانية ونشترى لها دولابا ؟

ـ ومحمود الخدام . اين ينام ؟

وكانت هذه هى الجملة الوحيدة التى قالها على المائدة .. وكان الرد عليها .. رد والده الجاف :

ـ ينام معاك يا أخى ..

هذا يوم من أيام حياته أيضا . لا يقل أهمية فى نظره عن يوم زواج ابيه ولايوم ميلاده ، انه لا يعرف شيئاعن يوم ميلاده وذلك فهو يمسك بالقلم ويكتب فى الصفحة الاولى من المفكرة بعد أن يغير التاريخ « .. فى يوم من الايام ولدت ورفضت أمى أن تراني .. اغمضت عينيها عن الحياة فى الوقت الذى فتحت انا فيها عينى عليها . اننى لم ار شيئا ولم اعرف شيئا فى ذلك اليوم ... ومن المؤكد انه كان هناك صراخ وعويل كثير فقد كانت أمى محبوبة من أبى جدا ومن خالتى فاطمة .. وتقول خالتى فاطمة أن أمى كانت فى غاية الشوق لكى تراني فى الحياة وليس خطئى اننى لم أحقق لها هذه الامنية .. أبى يقول لى دائما « يا قاتل أمه » ومعنى ذلك انى قتلتها .. ان خالتى فاطمة تؤكد ان هذا لم يحدث وان الطبيب هو الذى قتل أمى . أنا أكره الاطباء من كل قلبى .. ولن اصبح طبيبا أبدا ... »

ثم يكتب عن اليوم الثانى ..

« خلع أبى الكرافتة السوداء التى لم أره يغيرها منذ وعيت ما حولى وحلق ذقنه بعد الغدا مرة ثانية مع أنه حلقها فى الصباح الباكر كعادته وطلب من خالتى فاطمة وهو خارج أن تعيد تنظيف حجرته ومنذ أيام كان قد أحضر أثاثا جديدا لهذه الغرفة . وعندما عاد ابى فى المساء كان البيت كله منيرا

وحضر معه ثلاث سيدات ورجلان وطفلة صغيرة ، ونامت الطفلة الصغيرة فى حجرتى منذ تلك الليلة .

ولم يجد ما يكتبه بعد ذلك عن هذا اليوم الا سطرا واحدا أضافه فى سذاجه ... « عرفت فى الصباح ان ابى قد اشترى لى اما جديدة .. » ، اما اليوم الثالث فقد بدأ كتابته باسهاب. كان لايزال يذكر تفاصيل ماحدث على المائدة فذكره بالحرف الواحد وملأ الصفحة وانتقل الى الصفحه التاليه . قال انه بكى تلك الليلة طويلا ولا يدرى لماذا .. وكان كلما نظر الى وجه محمود الخادم زاد فى بكائه .. انه لم يكن يحب اسماء ولكنه مع ذلك كان يحس فى نومها فى حجرته راحة . انهما متساويان .. أما اليوم فقد أصبح له زميل واحد .. هو محمود الخادم .. وختم حديثه عن ذلك اليوم قائلا :

« أصبحت وحدى منذ ذلك اليوم فى وسط أسرة تكرهنى»

وأغلق بعد ذلك كتاب مذكراته وكأنما اغلق هذا الماضى من حياته .. الاربعة عشر عاما فى أربع صفحات .. يا لها من فكرة جميلة ان توضع الحياة فى مثل هذا الحيز الصغير من صفحات « اجندة » قديمة .

واخذ منذ ذلك اليوم يكتب مذكراته ..

.. كل يوم كانت تتحول ساعات انتهار وساعات الليل الاولى الى بضعة سطور .. كتب فى آخر أبريل يقول :

« عادت أمى الى المنزل هى واسماء فى الساعة السابعة مساء وكنت أنا جالسا فى حجرتى أذاكر الجغرافيا ، وتقدمت أسماء منى وقالت :

« ألا ترى ثيابى الجديدة ! . ثياب الصيف ؟لقد جئنابها من عند الخياطة الان واشترينا لكل ثوب حذاء .. قم .. اترك ما بيدك وتعال اتفرج »

وتركت مكتبى وذهبت الى سريرى وكانت اسماء قد فكت اللفافات ونثرت ما فيها على السرير . . .

وأخذت أجيل بصرى .. ثلاثة أثواب بديعة من انقماش الثمين وثلاثة أزواج من الاحذية .. وشرائط.. وحقيبة يد. امسكت

جيدى ثوبا اتفرج عليه واذا بصوت أمى يصدمنى قائلا :

ـ انت مجنونة يا اسماء تضعين الثياب الجديدة على السرير القذر ،اجمعى ثيابك واذهبى الى حجرتك ·· ماذا يفهم هو من كل ذلك ·

وسارت اسماء وأمى ورفعت عينى وحاولت ان أصعدهما فى أركان الغرفة لامنع قطرات الدمع العالقة بأجفانى أن تسقط على الارض ·· فاصطدمت عيناى بمنظر لم تقو بعده على المقاومة · وانهارت الدموع ·· انه منظر بدلتى البنى الثقيلة التى أوشكت أن تتناسل ، ليس هناك أمل فى تغييرها ·· الا أن أعود لبدلتى الثانية الضيقة التى كان يجب أن تلقى فى صندوق القمامات ·· ان والدى طلب منى منذ أيام ان أغير بدلتى قائلا : «هو انت مادام عندك بدلة جديدة لازم تلبسها لغاية ماتدوب ؟ · لم لا تلبس بدلة اخرى »والدى يعرف جيدا أنه منذ عام لم يشتر لى بدلة ··

ان ذيل الصفحة التى كتب فيها مذكرات هذا اليوم تشوبه صفرة وكأنما سقطت عليه من قديم قطرات من العرق او الدموع

وينتهى العام ويغلق صفحات « الاجندة » ويكون قد تعود ان يسرد لهذا الصديق الصامت حوادث يومه ويمر يوم اول يناير عام ١٩٣٩ ويأتى مساؤه عليه وقد اوى الى فراشه وتدثر بالغطاء حتى وجهه قد غطاه ، وكانت تلك عادته لا يستطيع النوم فى النور او عارى الوجه ·· ويحس شيئا ينقصه ·· يحس انه فى حاجة الى أن يقص أخبار يومه على صفحات الورق البيض ، وينتابه القلق حتى ليخيل اليه انه لن ينام طالما لم يكتب سطور مذكرته ·· فينهض من فراشه ويمسك بورقة بيضاء ويكتب عليها ما حدث فى يومه ويضعها بعناية بين صفحات المفكرة القديمة ·· وفى الصباح فى طريقه الى المدرسة لا يشترى كعادته سندوتش الجبن الذى يفطر به وانما يدفع بثمنه فى ركن من أركان درج المكتب · ويكرر ذلك بضعة أيام يخرج منها بثمن مفكرة جديدة للعام الجديد ويقضى ليلة ينقل فيها الى صفحات

مفكرته الايام التى فاتته من العام ولا ينسى أن يسجل فى صدر المفكرة تحت فاتحة القرآن كيف استطاع ان يشترى هـذه المفكرة ٠٠ وما أسرع ما تمر الايام ٠٠ صفحات المفكرة تمتلىء بالحروف السود ٠ كصفحات قلبه تماما ٠٠ انه يرى فى هذا العام أياما سودا لا يستطيع مداد القلم أن يحاكيها ولا تستطيع السطور أن تحكيها ٠٠

كتب فى أمسية يوم من تلك الايام سطرا يقول فيه «تبينت اليوم عجز القلم والكلام عن التعبير فى بعض الاحيان ٠ أى كلام يستطيع أن يعبر عن مدى سخطى وتعاستى اليوم » ٠٠ ان قصة ذلك السخط وتلك التعاسة كما رواها قبل هـذا السطر هى اضطهاد جديد تلقاه من زوجة أبيه ، أمه كما كان يجب أن يسميها فى مذكراته ٠٠ كانت أجازة نصف العام بعد أيام ، وأعدت المدرسة رحلة الى الصعيد وجعلت رسم الاشتراك فيها للطلاب زهيدا هو جنيهان فقط وعرض الامر على أبيه فى حضور « أمه » فاذا بها وقبل ان ينطق ابوه بحرف ترد فى غلظة ٠٠

ـ لم يبق الا أن نتحمل مصاريف لهوك أيضا كأنه لايكفى مصروف المدرسة والطعام والكساء ٠٠ ان غيرك يوفر على أهله مصاريف المدرسة ٠٠

لو ان الاقتصاد كان قاعدة تتبعها الاسرة لما سقط ولما أحس التعاسة ٠٠ لكن ابوه فى نفس اليوم دفع الى اسـماء بسوار من الذهب قائلا وهو يضحك :

ـ حتى يحين موعد زفافك سيكون لديك مصوغات تجعلك غنية ٠٠

ان حادث الرحلة المدرسـية المرفوضـة والسوار الذهب الممنوح يتكرران فى صور شتى ٠ تمضى سـنوات ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ، ١٩٤١ وفى مفكرة كل منها مذكرات ايـام تفيض بأمثال هذه الحوادث وفى عام ١٩٤١ ٠ فى ٥ فبراير يكتب فى أسلوب رهيب ٠ « ان صفحات المفكرة اقل ايلاما من صفحات الذاكرة ٠٠ ما دامت المذكرة لا تقلبها يد ولا تقرؤها عين فهى صامتة تنطوى على ما فيها من ذكريات مريرة ٠٠ أما ذاكرتى فهى قاسية تميل الى الاحزان ٠ لاتكاد تمر بى لحظة تعسة حتى

تسارع هي فتنثر على بساط خيالي تعاسات العمر كله منذ عرفت الحياة .. وكأن كل همها ان تكسو انجو كله بالقلق. انها هذه الذاكرة التي لا ترحم تدفعني الى أفكار شريرة .. جعلتني اليوم اتمنى لو رأيت هؤلاء الثلاثة ابي وزوجته واسماء موتى موسدين التراب ، انى لا اتمنى ذلك الان . لا لانى اكرههم ولكن لاننى لا ارى فى الموت عذابا ... انى شخصيا أتمناه من حين الى حين »

وفى أواخر أيامء ام ١٩٤١ يخط سطورا .. سطورا لم يدرك مداها اذ ذاك وان كان قد ادركه بعد ان خرج من سلطانها الرهيب . كتب فى ذلك اليوم « كل ما ينالنى من أذى وما ألقاه من سوء معاملة وما أحرمه من مصروف او عطف . كل ذلك يذهب لكى يستحيل حنانا وخيرا وسخاء على اسماء. ان أبى وأمى يحرقان صباى بخورا يجلب لاسماء السعادة . ان أعدائى ليسوا هم أبى وأمى .. انها سعادة اسماء . عدوى الوحيد . لو استطعت ان احطم هذه السعادة وان اغرق هذه المخلوقة التى تقف سعادتها فى سبيل حياتى . لو استطعت ان اغرقها فى سيل من الشقاء لفعلت وانا غير نادم . ان ما يجعلنى اجن هو انها لا تحس ابدا بانها سر شقائى .. بل انها تحادثنى احيانا كما لو كنا صديقين !! »..

لقد حدث ذلك اكثر من مرة . حدث ان كان مغيظا مهتاجا ذات يوم لان امه اساءت اليه اساءة بالغة لانه مشط شعره بمشط اسماء .. وكان الامر تافها لولا انها ، امه او زوجة ابيه بتعبير اصح ، انتهزتها فرصة لتسيء اليه وتجرح من كبريائه وترميه بالقذارة كان مغيظا مهتاجا .. ولو نزل اليه فى تلك اللحظة ملاك او شيطان يأتمر بأمره ويسأله مايطلب .. لما طلب غير هلاك اسماء .انه يصف تلك اللحظة فى مذكراته قائلا : «وصعد الدم الى رأسى فلم ار شيئا ، وتملكتنى خواطر غريبة . نقلنى الغضب الى حالة أغماء لم افقد معها توازنى وانما فقدت صلتى بالعالم .. وخيل لى أن نجاتى معلقة بأن يهبط الى ملاك من السماء او يصعد الى شيطان من جوف الارض .. فاذا ماسألنى

أحدهما أو كلاهما عما أطلب لقلت دون تردد ·· قلت للشيطان خذ روحها الى أعماق الجحيم ·· وقلت للملاك اصعد برأسها وعلقها فى قمة شجرة ··· بل لقد خيل الى أن الملاك والشيطان قد التقيا بين يدى وأنى أهمس فعلا بأمرى الرهيب ·· ولعل شفتى قد تحركتا ببعض الالفاظ · لولا ان أفقت على صوت أسماء نفسها تهمس بى قائلة :

ـ لا يأخذك الغضب ·· انى آسفة خذ مشطى ومشط شعرك فى حجرتك ·· انى شخصيا لا أرى رأى ماما ·· انت لست قذرا ··

ولم يكن هناك احد غيرنا اذ ذاك فى الردهة بين حجرتى وحجرتها ، فمددت يدى وأخذت المشط وقذفت به فى كل قوتى الى الارض ونظرت اليها فى حقد ومشيت ·· ومع ذلك فاليوم بعد العشاء والليلة احدى الليالى التى نتعشى فيها جميعا على المائدة · ·وما اقل هذه الليالى !! بعد العشاء جاءت أسماء الى حجرتى بمشط أحمر اللون قائلة : خذ هذا المشط لك ·· ان عندى اكثر من مشط ·

وفكرت انا بعد ان خرجت كيف سخرت منى امها حين طلبت من ابى ثمن مشط ·· عندها هى اكثر من مشط ·· عندها كل شىء ولها المزيد اما انا فلا شىء ·· »

وتمضى مذكراته خلال عام ١٩٤١ هكذا ·· حافلة بالسخط والغضب ·· وبعشرات الافكار الشريرة نحو أسماء حتى قبيل نهاية العام ·· اذ يكتب فى ٩ ديسمبر مذكرة يومه مختصرة لا تعد بضعة سطور :

« توفى قريب لامى وسافرت هى وابى فى الصباح للعزاء وعندما جلسنا أنا وأسماء للعشاء خطرت لى فكرة رهيبة ·· بعثتها فى رأسى تلك الرقة التى تعاملنى بها اسماء والنظرات الخالية من الحقد التى تصوبها الى ··

« بعد العشاء جلست أتصفح أحد الكتب حتى كانت الساعة العاشرة ·· وكنت وحدى على مائدة الطعام حتى أحسست البرد فآثرت أن ادهب الى غرفتى ·· كان باب حجرة اسماء مفتوحا

وكانت مستلقية على الفراش تقرأ تحت ضوء المصباح المثبت فوق فراشها . لطالما تمنيت ان يكون لى مثل هذا المصباح فوق فراشى ولكننى لم اجرؤ على طلب ذلك ، وقالت اسماء حين مررت ببابها :

ـ هل كنت فى غرفة المائدة الى الان ؟

وتوقفت لاجيبها ، فراحت تسأل مرة ثانية :

ـ ماذا كنت تقرأ ؟

وولجت الباب واقتربت من فراشها فقالت وهى تشير الى حافة الفراش ..

ـ اجلس .

وتحدثنا زهاء الساعة .. كان الباب مفتوحا ومرت خالتى فاطمة ، فرأتنا نتسامر فقالت فى سذاجتها وهى تتصنع الجد:

ـ لا تطيلا السهر .. ان وراءك مدرستك فى الصباح

« .. عندما أويت الى غرفتى كانت فى رأسى أشياء كثيرة .. نفس أفكارى الحزينة كأشباح سوداء يخطر خلالها فى ثوب النوم الوردى قوام أسماء .. وفى خلال الاربعة أيام التى غابها الوالدان كانت مذكراته تحمل سطورا عن اسماء .. كان يذكر انهما جلسا يتحدثان بعد العشاء .. ثم يذكر خواطره التى تتنازع تفكيره .. ثم يتحدث عن أسماء .. وفى كل مرة يتكرر حديثه عن قوامها .. فى احدى الليالى نهضت من فراشها بثوب النوم لتحضر له من دولابها بضع قطع من الشكولاته .. لقد ختم مذكرته ذلك اليوم قائلا :

« وتبينت انى تركت قطعة الشكولاته على فراشها فقد كنت مستغرقا فى خواطر غريبة .. »

كان ذلك فى ١١ ديسمبر عام ٩٤١ وما اسرع ما تمر الايام بل الاعوام !!

انه الان قد اصبح رجلا وما تخلى عن عادته فى كتابة مذكراته ولكنه تخلى عن طابع هذه المذكرات . فلم تعد حديثا عن الحاضر وانما اضحت اصداء للماضى ... كان اذ ذاك يأوى الى مذكراته ليقص عليها ما حدث فى يومه .. اما اليوم فانه يأوى اليها

لتقص عليه ما حدث بالامس ٠٠ انه يجلس كل ليلة الى مكتبه فيضع امامه مفكرة اليوم ثم يفتح درج المكتب فيخرج مذكرات الاعوام الماضية ويقرأ ٠٠ يقرأ الساعات ويعود الى الماضى ٠٠ فاذا ما بدأ الكتابة كان حديثه استطرادا لهذا الماضى ٠٠٠ ثم يذكر اخر الامر انه لم يكتب شيئا عن يومه فيدون احداثه فى كلمات ثم يغلقها ليعود من جديد الى صفحات الماضى يقلبها ويعيش فيها ٠

دقات الساعة تسجل الواحدة بعد منتصف الليل وعينـــاه كليلتان لكثرة ما قرأ ، فينهض متثاقلا لا لينام ولكن ليقف الى جوار النافذة ٠٠ لا يعكر صفاء الجو غير سحائب دخان لفافته، وما اسرع ما تتلاشى هذه السحائب فى صفاء الجو وتستحيـل بدورها الى نقاء ٠٠ انه يفكر الان وهو يرقب سحائب الدخان وهى تتلاشى فى سحائب حياته هو ، ان فى حياته ايضا سحائب قاتمة تجثم على قلبه احيانا فيحس الضيق ٠٠ وهو يرزح الان تحت احداها ٠٠ بل لعلها اكبر هذه السحائب واشدها قتامة ووطأة ٠ لقد فرغ الان من قراءة مذكراته لعام ١٩٤٢ ٠

عام يود انه لو زال من حياته وما عرفه ابدا ٠٠ كل يوم من ايام هذا العام تفيض صفحة مذكراته بالحديث عن اسماء وعن لقائهما كل ليلة عندما تنام عيون الاسرة ٠

وفى احدى هذه المذكرات كتب سطرا ختم به صفحة يومه ٠ سطرا لم يتمه ٠٠ « آه لو رأت الام والوالد كيف كان الصنم الذى يعبدانه ويقدمان له القربان صباح مساء مرتميا تحت اقدامى غارقا فى لجة من الخجل والذل !! »

انه الان فى موقفه عند النافذة يستعيد ذكريات هذا اليـــوم فى اعماق خياله بعد ان استعادها فى صفحات مذكراته ٠٠ ليس هذا اليوم فحسب بل ما تلاه من ايام ، حتى دار العـــام وعرفت الام كيف مرغ هو فى الاوحال صنمها المعبود ٠

ليست المرأة اقدر انسان على اذاعة الفضائح فحسب وانما هى ايضا اقدر انسان على كتمانها ٠٠ لقد كتمت الام كل ما عرفت حتى عن الاب ، بل لعلها استحالت معه هو منذ ذلك اليوم الى

مخلوق رقيق تتلمس رضاه وتتكلف الابتسام كلما رأته ..
وعندما زفت اسماء بعد ذلك بشهور كانت الام هى التى اقترحت على الاب ان يشترى له ثوب سهرة فاخر يليق باخى العروس. ثوب السهرة الذى ارتداه ليلة الفرح ليسير متأبطا ذراع اسماء. اخته .. ليقودها الى بيت زوجها .

وتجثم السحابة فى شدة على قلبه فيذكر كيف احس بالضيق فى تلك الليلة ، ويذكر كيف خانه القلم فلم يستطع ان يكتب سطرا فى مذكراته عن مشاعره فى ذلك اليوم فلم يزد على قوله: « كان يوما مثيرا بكل ما حدث فيه .. ولقد بكيت عندما انتهى الفرح وعدت الى الدار لاحس فيه بانى وحيد انا وجريمتى تطالعنى فى كل ركن من اركان حجرتى » .

وتدق الساعة الثانية فيغادر مكانه من النافذة ويتجه الى مكتبه .. يفتح من جديد مذكراته ويحاول ان يكتب ، ويكتب عن الماضى ، عن ذلك العام الذى يتمنى اليوم لو لم يكن قد عرفه ابدا .. ويقول وهو يغالب التعب : «عذرى الوحيد الذى اخادع به نفسى الان انى كنت شابا دافق الصبا .. وكانت حسناء ريانة العود .. وكان الشيطان ثالثنا » .

ثم يضيف سطرا اخيرا : « وكنت احس بلذة غريبة وانا امتهن هذا القوام .. الذى يعبده كل من ابى وامى .. ويحرقان صبباى بخورا تحت اقدام سعادته .. كنت احاول جاهدا ان انكر هذه اللذة .. لكنها كانت تطغى على كل شىء .. بل لعلها كانت تتقدم كل لذة ..

صاب بين الخيرين

.. لقد خلق كلاهما للآخـــر ..
كان يريد أن يصـــــعد .. وكان
جسدها السلم لمجده !! ..

بعض القصص يبدأ حينما يرى رجل امرأة وينتهى عنـــدما يتزوج هذا الرجل المرأة ، او عندما يفترق كلاهما عن صاحبه . او عندما يموت احدهما ويعيش الاخر .

اما قصه الاستاذ عبد السميع فهى تبدأ بداية اخرى ، فهو لم ير سعدية حتى يحبها ويتزوجها .. وهى لم تره فتنصب حوله الشباك حتى يقع فى الفخ ... ان بعض المتشائمين يسمون الزواج فخا تموت فيه الفريسه ببطء وامهال .. او تعيش وقد كسرت اجنحتها فلا تكاد تشيل عن الفخ لتحلق .. حتى تهبط فيه ثانيا لتستقر .. ان الذى رأى عبد السميع افندى ، هـو المصور الفوتوغرافى الذى انتقط له صورة فى ردائه الكحلى الذى لا يرتديه الا ليله الجمعة عندما كان يذهب ليسهر مع اقرانه .

والذى رأى سعدية ايضا ، هو المصور الفوتوغرافى ، مصور اخر غير الذى رأى عبد السميع ، التقط لها صورة وهى فى ثوب قرمزى بدا فيه قوامها الطويل المنساب فى استقامة نحو قدمين عريضتين تناسبان هذا القوام .ويبدو ان كلا المصورين قـد فهم مهمته بكل دقة واداها بنجاح .. فقد راقت سعدية فى عين عبد السميع .. ورأت سعدية بدورها ان عبد السميع مقبول شكلا .

اما من ناحية الموضوع فقد كان المهر مرضيا لوالد سعدية ولم يكن مرهقا لعبد السميع اذا القينا نظرة على قائمة الجهاز الذى تكفل به والدا العروس ، كان الجهاز حجرة جلوس وحجرة نوم وحجرة مائدة مطبخا كاملا ، وكان المهر سبعين جنيها ، تكاد تكفى لشراء الجهاز ، أى أن سعدية ستكون فى داره ربحا دائما لم يدفع له مقابلا ، ربحا من اللحم الابيض الشهى الذى طالما داعب احلامه والذى طالما صحا من نومه فوجد نفســـه يطبق بيده على الوسادة متخيلا انها ذراع سمينة من نوع هذا اللحم ، وهكذا ... لم تكن هناك قصة ولا شبه قصة .. الى اللحظة التى احتوى فيها البيت الصغير بحى المنيرة ،عبد السميع وسعديه .

لم تكن هناك سوى عملية حسابية تقوم على بعد النظر كقيامها على الارقام تماما . ومن بعد النظر ان يستريح عبد السميع من هذه الاحلام الكاذبة التى تخيب ظنه كلما صحا من نومه .

ومن بعد النظر ايضا ان يدفع سبعين جنيها فيأخذ بما يعادلها اخشابا وموبليات .. ثم يكسب فوق ذلك قدرا شهيا من اللحم الابيض الدافىء .

ولنصف عبد السميع فنقرر انه كان الى يوم زواجه لا يعرف اللحم الدافىء الا احلاما سريعة لا تعدو نطاق خياله .. ولنصفه ايضا فنقول : ان الزواج لم يكن يعنى فى نظره غير ان تتحقق هذه الاحلام دون نفقات ، ولم يكن الزواج فى حسابه يعنى بداية قصة او نهايتها . ولم يكن فى نيته ان يكون الزواج بداية قصة .

ولنترك الان عشرين عاما تمر .. هى الزمن الذى استغرقته القصة لتشرف على نهايتها . ولنجلس خلف مائدة عبد السميع على المقهى . . ايه مائدة فالمقهى خال والساعة الرابعة بعد الظهر وكل شىء هادىء فى المدينة الكبيرة حتى نسمات الهواء قد هدأت فسكنت اوراق الشجرة التى تقوم عند حافة الرصيف كأنما استغرقت فى سبات عميق .

لقد جلس وحده يجرع فنجانا من القهوة ويدخن سيجارة . كل ما فى عبد السميع يدل على انه ثائر .. حركة يده العصبية ، نفثه لدخان سيجارته ، عدم استقراره على مقعده كأنما يريد ان يفعل شيئا ثم تمتمة شفتيه كأنما يحدث نفسه .

ترى ؟ ماذا يقول عبد السميع لنفسه ؟

اى شىء جد فى حياته ؟ حياته التى بناها كما اراد منذ عشرين عاما فجعله يأوى فى مثل هذه الساعة الى المقهى الخالى ؟ . اى شىء . ؟؟ وتسمع عبد السميع وهو يهمس لنفسه :

ـ مش معقول ، اى شىء هذا الذى لا يعقله عبد السميع ؟

ومع ذلك لم يقل شيئا غير هذه الكلمة .. وما عرفنا شيئا غير انه ثائر غاضب وان ثورته لا تعنى غير الاعتكاف فى مقهى خال ونفث الدخان فى عصبيه واضطراب ..

اما سعدية فهى اكثر صراحة ووضوحا . انها فى نفس هذه

الساعة تجلس فى حجرتها وعلى حافة السرير بالذات ، تتحدث بالتليفون ·· اى سرير ·· ليس السرير النحيل الذى كان قطعة من الاثاث يوم تزوجت عبد السميع ·· لقد اختفت الحجرات الثلاث وحجرة المطبخ ايضا ·· ان بيت عبد السميع ليس فيه الان من ذكريات زواجهما غير عبد السميع وسعدية ، انه ليس بيت الموظف المتواضع بحى المنيرة ، وانما هو الدار الفخمة الواسعة الانيقة بحى الزمالك ·

نستمع الى سعدية وهى تتحدث بالتليفون ·· ما زال لها قوامها ممتلئا ممشوقا ·· ولحمها ابيض كالعاج ·

الم اقل انها اكثر صراحة ووضوحا ؟· انها تقول ايضا ـ تقول فى التليفون لمن تحدثه :

مش معقول ؟

ولكنها تمضى بعد ذلك ··

ـ مذا يظن فى نفسه هذا الاحمق ؟ يأمـــــر وينهى ثم يقـــول لى انه ســـــيد البيت · · · وان له الحق فى ان يدعو من يشاء ··· وانا ليس لى الحق ··

وتستمع سعدية لمن تحدثه فى التليفون برهة ثم تقول :

ـ خرج غاضبا · ثم تتابع حديثها بعد لحظة ·

ـ لا شىء ، سوف يعود ·· كما عاد دائما ·· ليقبل رأسى·

وينتهى الحديث ·· لقد عرفنا على الاقل ان هناك خلافا بين عبد السميع وسعدية ·· انه يريد ان يدعو الى داره صديقا او اصدقاء وسعدية ترفض ·· او ربما ان سعديه هى التى تريد ان تدعو اصدقاء ··· وعبد السميع يرفض · وكلاهما يرى فيما يطلبه صاحبه امرا غير معقول · ثم لا تنتهى القصة ··· ففى الساعة السابعة من نفس اليوم ، وعلى مقهى اخر يجلس فريق من الموظفين ·· ونسمع اسم عبد السميع يتردد على السنتهم ، ويدور هذا الحديث :

ـ كاد عبد السميع بك اليوم يبطش ببيومى الفراش لسبب تافه ·

ـ لقد اصبح عبد السميع بك لا يطاق ·

ـ لازم الادارة مزعلاه ·

ـ وهو يقدر على زعلها ؟
ـ لو انه فعل شيئا اغضبها لنقلته الى اسوان .
ـ أو على الاقل لم يكن لينال درجة مدير عام « ا » ونم يمض على ترقيته شهور لدرجه مدير عام « ب » .
ثم يسودهم الصمت لحظة ويقول احدهم :
ـ هناك شيء يحيرني :
ـ ما هو ؟
ـ كيف يستطيع عبد السميع بك ان يوفق بين كل هـؤلاء الكبراء الذين يعرفهم مثلا ... ولكن لا داعى ...
ويرد اخر :
ـ مثلا ماذا ... لا تكن جبانا ...
ويتشجع المتحدث :
ـ هل يعرف مثلا فلان باشا ان خصمه وعدوه فلان باشا ، كان صديقا لعبد السميع ويتردد على داره قبله ؟
ويجيب احدهم :
ـ طبعا يعرف ... ولكن ما المانع .. انه يعرف اكثر من ذلك يعرف ان صداقته لعبد السميع مرهونة ببقائه فى الوزارة ولكن هل يضيع الفرصة ؟
ـ فرصة ؟ اية فرصة ؟
ـ فرصة انتمتع بصداقة عبد السميع بك واسرة عبدالسميع بك ..
ويضحك الجميع ..
ويسحب الليل ذيوله فى اعقاب الغروب وتكف الجماعة عن احاديث عبد السميع وتنهمك فى لعب النرد ومطالعة الصحف .
ونعود نحن الى بيت عبد السميع بك ... ان احدى حجرات البيت مضاءة وفيها يجلس عبد السميع بك وحده ليطالع الصحف ايضا . انه لا يتمتم بالاحتجاج ... ولا يعروه انفعال ... انه هادىء لا يبدو عليه الغضب وسعدية ليست معه . لقد جلست فى حجرتها مع صديقتها اعتدال ... ونسمع مرة اخرى اسم عبد السميع .
نسمعه مقرونا بشيء من السخرية .. ليس عبد السميع بك

كما يسميه اصحابنا على المقهى ... وانما ... سى عبد السميع
تقول سعدية لصديقتها :
ـ سى عبد السميع حيعمل راجل على اخـــر الزمن ...
تصـــورى انه بيعاتبنى لانى اقف كثـــيرا فى النافذة ...
وفي كل مرة اقف فيها يكون الشاب الساكن امامنـــــــا
واقفا بالمصادفة فى النافذة المقابلة .
وتقول صاحبتها فى خبث :
ـ صحيح بالمصادفة ؟ . وتضحك سعدية قائلة :
ـ انت شقية ؟
ـ من ؟
ـ محسن امين الساكن امامنا ؟
ـ عاجبك ؟
ـ شاب لطيف .. مش الخناشير بتوع عبد السميع ...
وتقول اعتدال وهى لا تقصد شيئا :
ـ على فكره مبروك لعبد السميع بك انترقية الجديدة
وتضحك سعدية قائلة :
ـ وماذا ينوبنى انا ؟ هو يترقى وياخذ درجات وعندما اطلب
منه سوارا كهذا الذى رأيته عند الجواهرجى يدعى انه مفلس
ونسمع جرس التليفون ... وتصمت سعدية وصديقتها .
ان الصوت الوحيد الذى نسمعه هو صوت عبد السميع ...
نسمعه يقول لمحدثه :
ـ الله يسلم معاليك يافندم ..
ـ لا والله مش خرجين .. اذا كان معاليك ما عندكش مانع
ما تشرف وننخرج من الدار سريعا .. قبل ان يشرف معـــالى
الوزير .
نخرج لنعود فى الصباح ... ان هناك مشادة قد ارتفـــع
فيها صوت الزوجين . عبد السميع يستنكر شيئا ويصيح ...!
ـ هل هذه اصول ؟ تتركينا مدعيه انك متعبة وتذهبين لحجرتك؟
ماذا يقول عنا الرجل ؟
ـ لا يقول شيئا يعرف اننى مريضة

ـ وانا الذى قلت له يتفضل بالحضور ؟
ـ جاء ليجلس مع صديقه لا معى انا
ـ هل تنتقمين منى ؟
ـ انا انتقم منك ؟ ولماذا ؟

ويصمت عبد السميع وقد فهم ٠٠ فهم انها انتقمت منه ومن المؤكد انه فهم ٠٠ لقد دخل حجرتها بعد دقائق فوجدها فى مكانها بالنافذة فخرج دون ان يقول شيئا ٠ ومن المؤكد انه فهم فما ان تمضى عشرة ايام حتى نسمع جلبة فى منزل عبد السميع بك ونرى الانوار تشع من كل الحجرات ٠٠ ولا نكاد نلج باب غرفه المائدة حتى نرى منظرا عجبا ٠

سعدية على رأس المائدة وعن يمينها فلان باشا وعن يسارها فلان باشا والى جانبها اعتدال وبعدها عبد السميع بك وبعد عبد السميع جلس الشاب ٠٠٠ ساكن الدار المقابلة ٠٠ محسن أمين !!

ذراع سعدية تلامس كتف فلان باشا، وعيناها تصافحان عيني محسن ٠٠٠ وعبد السميع ايضا ٠٠ انه يختلس نظرات ذليلة الى كتف اعتدال البيضاء ولا ترتبك انها تجلس بين فلان باشا وفلان باشا الاخر ، انخصمين اللدودين كما ظن اصحابنا الذين تحدثوا فى المقهى منذ ايام ٠٠ الخصمان اللذين يختلفان فى الرأى ويهاجم كل منهما سياسة الاخر ٠٠٠ هكذا ٠٠٠ على مائدة واحدة ٠

ومحسن الشاب الذى يقف فى النافذة وامامه سعدية في النافذة المقابلة تقف الساعات فى انتظار اللحظة التى يجرؤ فيها على فعل شىء غير التطلع ٠٠٠

لا شك ان عبد السميع قد فهم ٠٠ ان الذى لم يفهم هو فلان باشا حين يسأل :

ـ والاستاذ محسن بيشتغل فين ؟

وينظر عبدالسميع الى سعدية وكأنه يقول : «لست مسئولا» وتقبل سعدية التحدى فتجيب ٠

ـ محسن امين ابن خالة والدتى ٠٠٠ ويبدو ان الوحيد الذى

صدق هو عبد السميع .. لقد انفجرجت اساريره ونظر الى محسن فى ود وصفاء .. وفى الحق كان على عبد السميع بك ان يرضى ، ولو حده ، بهذه القرابة .

وسنرى محسن بعد ذلك فى بيت عبد السميع ، كما لوكان احد اقارب العائله المقربين فعلا . سنراه فى السهرات كلها . قاسما مشتركا فى مكانه من عينى سعدية .

وسنراه بعد ذلك عشرات المرات ، حينما لا يكون عبدالسميع بك فى المنزل بالضبط .. كالاقرباء المقربين ...

سنراه كثيرا .. ولكننا لن نثور كما سيثور عبد السميع بك ذات يوم . ثورة مكبوتة ذليلة كثوراته دائما .. تبدأ بسؤال كانه يتحسس به الطريق :

ـ لم اعد ارى محسن كثيرا ؟

وتجيب سعدية دون اكتراث .

ـ كان هنا هذا الصباح .

وسؤال اخر .. وتعليق على طريقة الاذكياء

ـ لكأنه يتجنب لقائى ؟

ولا تقل سعدية ذكاء ، وانما تزيد شجاعة .

ـ انه يأتى ليرانى انا لا ليراك

ولا معنى لان نشك فى ذكاء عبد السميع . انه يفهم ما ترمى اليه سعدية .

ويتراجع عبد السميع ... يتراجع فى عتاب رقيق :

ـ سعدية .. انك تسرعين فى الغضب .. اريد ان اقول :ماذا يظن الجيران ؟

وتضحك سعدية فى قسوة

ـ ما كانوا يظنونه بالامس ..

ونحن الى الان لم نسمع شيئا ، ان الجيران يتكلمون دائما . وفى هذه الساعة بالذات .. ساعة الصباح حيث يتهيأ الموظفون الى أعمالهم .. كان بعض الجيران يتكلمون :

كانت هناك مثلا سنية هانم ، التى تسكن فى الشقه المقابلة لشقة عبد السميع .. لقد وقفت سنية هانم الى جانب زوجها وهو

يرتدى ملابسه تقص عليه اطرافا من قصة جارهما عبدالسميع بك وزوجته والشاب محسن · اما انها ترى محسن كثيرا وهو يتردد على منزل عبد السميع فذلك امر نعرفه ·· ونعرف ايضا ان سعدية لا تبالى بزوجها · ولا بالجيران ايضا · لكنا لانعرف مثلا هذا الذى تقوله الان · بحيث جعل زوجها يتوقف من اصلاح ربطة عنقه · ويلتفت اليها سائلا فى دهشة ·

ـ هل وصل الامر الى هذا الحد ؟

ان سنية تؤكد له انه وصل ··لقد قالت سعدية لصديقتها اعتدال كل شىء وصارحتها بما انتوته وبما سوف تفعله ·

ولزوج سنية الحق فى ان تعروه الدهشة وان يشك فى بلوغ الامر الى هذا الحد ··

مرة اخرى ·· مش معقول!! مش معقول ولو ان اعتدال تقول ذلك ·

وفى الوقت الذى تروى فيه سنية لزوجها القصه وهو لا يعقلها ولا يصدقها ، تكون اعتدال ايضا ترويها كشاهد عيان ، ترويها للمرة العشرين على الاقل ·· لاحدى صديقاتها ·

ـ الم تسمعى باخر خبر ·· انه سر لن اقوله لك حتى تقسمى ألا تبوحى به لاحد ؟

وتقسم الصديقة ··· كما اقسمت هى من قبل لسعدية على حفظ السر ·· وتمضى اعتدال فى روايتها ·

ـ مش سعدية بتحب واحد تانى ·· وكأنما ترى الصديقة ان لا جديد فى الموضوع ولكن اعتدال تؤكد لها :

ـ بتحب صحيح ، بتحب واحد وسوف تترك عبد السميع زوجها من اجله ··· ستتزوجه هو ·

ـ هو ··· من هو ؟

ـ ولد صغير ساكن فى المنزل المقابل لمنزل سعدية ··اسمه محسن امين ، لقد قررت سعدية ان تطلق زوجها وتتزوجه هو ·

وتمضى اعتدال فى سرد تفصيلات القصة : النظرة فالسلام فالزيارة فى ساعات الصباح المتأخرة ··· وعشرات القصص من

هذا التقبيل .. ثم تنتهى بأن سعدية ستصارح عبد السميع اليوم وتطلب منه ان يطلقها ..

ترى ماذا يقول عبد السميع .. وما هو رأيه ؟

ونعود الى منزل عبد السميع لنرى كل شىء هادئا ،فى ساعات الظهيرة سعدية فى حجرتها تنعم برقاد لذيذ ،وعبد السميع فى حجرته يسحب انفاس الدخان من سيجار ضخم ... هادىء الاعصاب مسرورا بالحياة ،ومن سوء الحظ اننا لم نتقدم بضع دقائق .. لقد فاتنا اروع منظر فى القصة .. منظر سعدية وهى تطلب من عبد السميع ان يطلقها ... ولكن لا بأس .. سنروى سعدية لاعتدال هذا المنظر وما دار فيه من حوار بالتليفون ، ولنستمع نحن مع اعتدال .

ـ رجل ليس فى وجهه قطرة من الدم .. تصورى انى اقول له بالعربى المفتوح انى احب محسن وهو يحبنى وانى اريد ان يطلقنى لاتزوج محسن ، فيكون جوابه ببساطة ودون ان يثور: « ما تبقيش مجنونة » ثم ينسى الموضوع ويحدثنى عن رغبته فى دعوة فلان باشا الوزير السابق للعشاء لانه جاى وزير تانى فى الوزارة الجديدة . انت تذكرين فلان باشا هذا ،وتعلق اعتدال طبعا اذكره .. ليلة عيد ميلادك عندما سكر وحمله عبد السميع والحاجب الى منزله ..

ـ هو بالضبط .. سيعود وزيرا وعبد السميع يطمع فى ان يعينه مديرا لمصلحة كبيرة .. هذا المغفل ! اننى لاعمل لى الا ترقيته ..

ـ وبعدين ؟

وبعدين حاولت ان اجعله يتشاجر معى لاترك البيت فأخذ يتظرف معى ويمدح فى محسن وقال انه مستعد لان يطلقنى لو كان يعرف ان محسن يستطيع ان يفتح بيتا .. ثم بكى كالطفل وقال لى انه لم يتدخل فى شئونى ابدا واقسم لى ان محسن يضحك على وانه لن يتزوجنى ...

ـ تصورى المغفل .. يظن ان كل الرجال مثله عديمو الشرف

ـ وبعدين ؟

ـ وبعدين سأقابل محسن غدا صباحا وأصفع عبدالسميع صفعة لا يقوم منها . سأجعل محسن يكتب لى ورقة يتعهد فيها بالزواج منى ...

ـ واذا رفض عبد السميع ان يطلقك بعد ذلك ؟

ـ سأنغص عيشه وارغمه على طلاقى .. ولابد ان يكون المنظر شائقا .

ذلك المنظر الذى تقدم فيه سعدية لعبد السميع البرهان على ان محسن يحبها ويريد ان يتزوجها .

اى شعور بالمهانة سيحس به عبد السميع واى هزيمة ؟

ترى سيطلق سعدية ... ومتى سيطلقها ؟

يلقى السؤال عشرات المرات ..

يسأله زوج سنية لزوجته ... وتسأله سنية لاعتدال ...

وبعد اعتدال بأنها ستحمل النبأ بعد حين ... فهى مدعوه لتناول العشاء عند سعدية غدا ... وغدا سينتهى كل شىء .

ويمتلىء الصالون الانيق فى منزل عبد السميع بك بالضحكات فى مساء الغد ان فلان باشا منشرح الصدر رائق المزاج يبعث الفكاهات فيضج لها الجميع بالضحك . والجميع هم فلان باشا نفسه وهو اعلى الضاحكين صوتا لفكاهاته ثم عبد السميع بك . ثم سعديه ، ثم اعتدال .

ولن نستطيع ان نسأل اعتدال عن النبأ الان فقد وصلت متأخرة ودخلت على الفور الى الصالون .

ولن نستطيع ان ننتظر الى نهاية السهرة فقد ثمل فلان باشا واخذ يخلط بين سعدية واعتدال ويبدو ان اعتدال بدورها ثملت فظنت نفسها زوجة عبد السميع .. ويبدوانها نسيت وعدها بأن تحمل لنا الانباء وكانما احست اعتدال ... وهى تتثاءب فى فراشها فى صباح اليوم التالى بأنها نسيت شيئا هاما فهى تطلب سعدية بالتليفون لتسألها عن الخبر ولا تكاد تنتهى المحادثة ، ولا تكاد تمر بضع دقائق ، حتى نسمع سنية تروى لزوجها النبأ .

ـ لقد تشاجرت سعدية مع محسن لانه رفض ان يعدها

بالزواج ونصحها بان تظل مع زوجها
ويصلح زوج سنية رباط رقبته امام المرآة ويقول دون ان يدير رأسه
ـ هل كنت تظنين انه طلب منها الزواج ..
ـ لقد اشاعت سعديه انه طلب منها الزواج ..
ويمضى زوج سنيه فى احكام رباط رقبته ولا يعلق بشىء وتمضى سنيه فى الثرثرة ..
وفى نفس الوقت يجرع عبد السميع جرعة قوية من فنجان الشاى ولا تكاد تستقر فى جوفه حتى يقول لسعدية :
ـ عندما اعين مديرا للمصلحة ستكون لدينا سيارة تحت امرك .. سيارة لاندفع فيها مليما ... لاتصليح ... ولا بنزين .. المصلحة دى خيرها كتير قوى يا سعدية .
وتقول سعديه وهى تختلس النظر الى النافذة المقفلة ... نافذة غرفتها .
ـ المهم هو ان نغير هذا المنزل .. اظن ان مركزك لايسمح بان نسكن فى منزل حقير كهذا .
وفى حماسه وفرح يجيب عبد السميع
ـ المنزل ؟ سنغير كل شىء ياسعديه .. هل تعرفين فيم افكر الان ياسعديه ؟ انى افكر فى حالنا انا وانت لو انفصلنا لقد خلق كلانا للاخر ياسعديه .
ويخرج عبد السميع بك ذلك الصباح الى مقر عمله وقد علاه الانشراح وبدا فى وجهه الامتنان بالحياة .
اليست قصة عبد السميع بك ذات نهاية سعيدة !؟؟

قفص الدماء

.. انه الرجل .. الرجل الوحيد
الذى دافع عن حقـــه وأبى أن
يظلم .. فنصره الله ...

المكتب الصطير المتواضع فى انحجرة المتداعية الجدران

هنا يجب ان اعيش بضع سنوات حتى يأذن الله بأن يتغير مصيرى فأنتقل الى مكان اخر ٠

وربما كان المكان الاخر ٠٠٠ مكتبا اخر على نفس الصورة وفى حجرة اخرى على نفس الحال ٠

ولم لا ؟

اين يجب ان يكون كاتب السجن فى احد المراكز ، ان لم يكن فى حجرة نائية فى اقصى الممر فى بناء عتيق من مبانى المدينة انصغيرة التى يقوم فيها المركز ؟؟

كاتب سجن !!

اجل هذا هو العمل الحكومى الذى اسند الى عندما صدر قرار تعيينى موظفا فى الدرجة الثامنة بوزارة الداخلية ٠كاتب سجن عليه ان يستقبل المسجونين الجدد ويودع المسجونين الراحلين ٠ ويغمض عينيه عن المسجونين الذين لا يستقبلهم ولا يودعهم وانما يراهم يمرون تحت انفه داخلين الى السجن وخارجين منه ، دون ان يكونوا متهمين او محكوما عليهم ٠٠

ان سجن المركز هو الاستراحة ، الى ـ «رست هاوس» بين الحرية وبين حياة السجون ٠٠ وانا مدير هذه الاستراحة ٠٠ المدير الذى يشرف على راحة نزلائها ، لكن اى مدير ! مدير مغلول السلطةلا يملك حتىان يقبل من يريد اويرفض من لا يريد٠ بل لايملك حتى الحق فى ان يعرف عدد النزلاء ٠٠ او اسماء بعض النزلاء ٠ !!

وامامى دفتر ضخم ٠٠ دفتر السجن ٠٠٠ اقيد فيه اسماء النزلاء وتاريخ وصولهم ونوع جريمتهم ورقم قضيتهم ومدة بقائهم ومن اين جاءوا والى اين يذهبون والمفروض ، المفروض فقط ، ان كون عدد المقيدين فى الدفتر مطابقا لعدد الموجودين فى السجن ٠٠ اما الواقع فهو ان حجرة السجن تحتوى دائما على ضعف العدد الموجود بالدفاتر ٠٠ وكل من هؤلاء الزائدين يمثل مخالفة قانونية ٠٠٠ بعضهم قبض عليه ضابط المباحث

لاشتباهه فى شأنه ... وبعضهم افرجت عنه النيابة ولم يرق قرراها فى عين البوليس فخرج من السجن ... فى دفترى فقط وبقى فيه بجسمه ... فقط

وقد يختلف احد الحكام مع احد اتباعة فيلقى به الى السجن لكى « يتربى » ولم لا اليس السجن تاديبا وتهذيبا .

واذا عرفت عدد الحكام فى المركز فسوف تعرف عدد الذين يحتمل نزولهم ضيوفا على السجن .. ضيوفا غير رسميين ، ان الحكام يبدءون بالمأمور وينتهون عندمحروس . ومحروس هو الجندى النفر الذى يقف امام باب حجرة الافندية الكتبه... وانا منهم .

واياك ان تخطىء فى محروس كما اخطأت انا فى اول عهدى بالعمل ،لقدحسبت ان محروس يجلس على باب حجرة عملنا ليقوم بخدمتنا .. وعلى هذا الاساس ناديته لكى يقوم بتوصيل احد الملفات الى معاون البوليس

واسمع حوارنا انا ومحروس .

ـ وصل هذا الى معاون البوليس .

ـ أحسن توصله حضرتك .

ورفعت رأسى ويدى ما زالت ممدودة بالدوسيه فرأيت محروس واقفا لا يحمل وجهه اى معنى .. جامدا كاننى لم اقل شيئاولم يقل هو شيئا .

ـ ماذا يا محروس . ؟ الا تسمع الكلام ؟

ويستدير .. يمضى الى الباب كأنه لم يسمع فعلا الكلام. ونهضت من مكتبى منفعلا وزملائى ينظرون ، واتجهت الى المكتب الخشبى المتهالك فى اقصى الممر حيث يجلس الشاويش عبد ربه . ورفع عبد ربه عينيه وهو يقول دون ان يتحرك من مكانه.

ـ اهلا محمد افندى .. تلزم خدمه ؟

وبسطت شكواى من محروس وانتظرت لاسمع زئير الاسد مناديا محروس ليؤنبه على مافعل ولكننى سمعت تأنيبا لى أنا، اجل .. انبنى الشاويش عبد ربه فى اسلوب خبيث قائلا :

ـ نه حق يا محمد افندى .. ده عســـكرى غشيم ، افرض

وقعت ورقه من الملف ٠٠ من يكون مسئولا ؟ اوعى تديله ورق تانى ٠

وعدت بانفعالى وقد تحول الى ثورة جبانة ٠٠ ثورة لم تتجاوز جذب ادراج المكتب بعنف والقاء الملفات على اليمين وعلى الشمال وفتح علبة سجائرى فى عصبية ٠ ثورة المهزوم المغلوب الذى استنفد طاقة جهده فى الاحتجاج والشكوى ٠ ولمن غير الشاويش عبد ربه كنت سأشكو الجندى محروس ؟ ان المركز كله له سيد واحد هو الشاويش عبد ربه !!

وندع المأمور فى حاله ٠٠ انه نفسه حين يضيق بشىء لايملك الا ان يصيح ٠٠٠ يا شاويش عبد ربه !

ولن انسى حين سألت معاون البوليس ان يوقع على كشف السجن فى اول يوم تسلمت فيه العمل ، فاذا به ينادى عبد ربه ويسأله امامى عما اذا كان الكشف مضبوطا ام لا ٠٠ ثم يوقع بعد ان يجيبه عبد ربه بالايجاب ٠ واجل لن انسى ان ضابط المباحث قال لى يوما وهو يعرفنى بشئون المركز : ان الشاويش عبد ربه هو كل شىء فى المركز ٠٠٠ انه دولاب العمل !

لقد انبنى دولاب العمل وبرأ محروس ٠٠ وليس امامى الا الله ٠٠٠ والا ان احمل اوراقى بنفسى الى معاون البوليس وان افترض ان محروس على باب حجرتنا كاللوحة الموضوعة فوق رأس القاضى فى قاعة المحكمة وقد كتب عليها « العدل اساس الملك » ٠٠ ٠

ومع ذلك ٠٠ مع وجود محروس رمزا للحكومة ، كاللوحة على باب الحجرة ، ومع وجود عبدربه على المكتب الخشبى المتهالك فى اقصى الممر واشرافه منه على المركز كله بما فيه من حكام ومحكومين ٠٠٠ مع ذلك فقد كنت راضيا عن عملى ٠٠٠ وكان مبعث رضائى اننى كنت محوطا بجو صاف من صداقة اربعة زملاء يهونون على مشقة العمل ولا يكفون عن المزاح والضحك ٠ حتى ان ساعات العمل من كل يوم تمر قصيرة هينة ٠٠ انى اتخيل جهنم احيانا وليس فيها لهب ولا حرمان ٠٠ وانما فيها مجموعة من ثقلاء البشر ويسودها جو من الكراهية والحقد ٠

وعلى العكس اتخيل الجنة .. ثمارها وانهارها أرواحا مرحه صافية تفيض بالحب والبشر ...

كانت كل متاعب العمل تزول بنكتة رائعة يرسلها رياض افندى كاتب الضبط او قصة لطيفة من ذكريات الماضى يرويها عبد المسيح افندى ، او اغنية ساذجة يدندن بها السيد افندى كاتب القيودات فتتحرك يداه على ايقاعها وانا اختم البوستة واغلقها فى المظروفات ..

ثم كانت لدى ساعة اخرى اعيشها فى حياة الناس والريف، ساعة تسلم المسجونين الجدد والاستماع الى أقاصيص جرائمهم الصغيرة والكبيرة يروونها فى اقتضاب .. لا كجرائم بل اتهامات هم منها ابرياء ... بعضهم متهم بالسرقة .. بضعة كيزان من الذرة ... انه لم يسرقها لقد اشتراها ولكن سوء حظه هو الذى جعله يشترى نفس المقدار الذى سرق فى نفس اليوم .

وبعضهم شج رأس غريم له فى معركة .. انه لم يفعل شيئا ... لقد اخذ غريمه عصاه . وشج رأسه بيديه لكى يلقى عليه التهمة ..

وراء كل قصة تبدو حقيقة .. كنت احسها وارقبها .. مامن كوزمن اكواز الذرة او رأس من الرؤوس المشجوحة .. او صدر من الصدور التى نزف دمها الا وخلفه عدو ... ليس صاحب كيزان الذرة ولا الرأس المشجوج .. ولا الصدر النازف .. عدو اخرهو الفقر ، ماهوفى التنكر يلبس عشرات الثياب ويختفى ووراءه عشرات الاقنعة ... يختفى مرة فى صورة منجل تحصد به زراعة لم تثمر او سرقة تافهة او جرح غائر او نصل حاد .. فاذا اختفى هذا العدو فهناك عدو اخر لا يقل مهارة فى التنكر عن العدو الاول هو الجهل وضيق العقل .

ايمكن لغير الجهل ان يصور فى عقل الانسان ان تسميم جاموسة تحمل فى احشائها جنينا هو انتقام عادل من غريم ؟؟ الجهل والفقر يبعثان كل يوم بزبائن جدد ، املا بهم حجرة

السجن الصغيرة فى المركز . ولطالما وقفت مذهولا ، وانا اتخيل هذه الحجرة الصغيرة وهى تبتلع العشرات .. حتى ليخيل لى احيانا ان فيها سراديب لا اعرفها تتسرب فى حناياها هـذه المخلوقات ... والا فكيف لا تنفجر جنباتها بهذا العدد الكبير . وكيف يخرجون منها احياء .

ثم تأتى ايام لا يكون فيها غير سجين او سجينين . . . سجين اكاد استشعر وحشته فى هذا الظلام الدامس والليل الطـويل ... الليل الذى لا يقطعه غـير عواء كلب جائع او صوت الشاويش عبد ربه ...

وصوت عبد ربه لا ينقطع ما دام فى المركز .. انه يتكلم بصوت عال ويحيى بصوت عال ويتشاجر بصوت عال . فاذا ما خيم السكون فان عبد ربه يعز عليه ان تهدأ الدنيا .. ولهذا يرسل سعاله المدوى ، كأنه ينبه من غفل انه رابض فى المركز

ولا ادرى نم كرهت عبد ربه منذ اول يوم وطئت قدماى فيه ارض المركز ،لقد احسست ساعة ان حياتى بمناسبة قدومى ان الفاظ التحية التى قالها تحمل معانى غير التحيه ... لقد قال لى اذ ذاك ..

ـ انستنا يا محمد افندى .

واحسست انا انه يقول :

ـ لن نكون صديقين يا محمد افندى .. منظرك لايروقنى يا محمد افندى

وحتى يوم ان نصر محروس على وأعطـاه الحق فى ان يرفض طلبى ويعصى امرى .. احسست انى لا احقـد على محروس بقدر ما احقد عليه هو، ولربما كنت مخطئا فى احساسى ومتعسفا فى كراهيتى ومع ذلك فقد وصل الحال بينى وبينـه بعد ذلك بقليل الى ان يصارحنى واصارحه بهذه العواطف . كان ذلك فى صورة رأى ابداه اثر مناقشة بيننا على مسمع من زملائى فقد قال :

ـ انا مش عارف انت متقنزح على ايه يا محمد افندى .

واجبته انا بنفس البساطة التى توقح على بها .

ـ ولا انا ايضا ٠٠ انى لا اعرف لماذا استثقل دمك ياشاويش عبد ربه ٠

وكان كلانا يجهل السبب فى شعوره نحـــــو صاحبه اذ ذاك حتى جاءنى ذات يوم ما يبرر كراهيتى ٠٠٠ ثم توالت الانباء ٠٠ من ماسح الاحذيه ومن السجناء ومن بعض الزملاء٠

ان عبد ربه يسرق ويرتشى ويضرب السجناء الذين لايرشونه ولا يسمحون بان يسرقهم ٠ والويل للسجين الذى يفتح فمه ، حين يجرده عبد ربه مما فى جيبه ولا سيما اذا كان سجيناجديدا او الذى يزوره اقرباؤه فلا يجزلون لعبد ربه العطاء ٠٠٠ ان زيارة السجناء ممنوع ةولكن عبد ربه يبيحها ويحدد لها رسما والويل لمن يكتفى زواره بدفع الرسم وحده ٠ وكل من فى المركز يعرف ذلك ومع هذا فما من واحد تكلم ٠٠٠ ان عبد ربه لا يعمل لحسابه فقط ٠٠٠ انه يمثل هيئة الحكم وينوب عنها ورذائله تمثل رذائلهم مجتمعين ٠٠

ويقسم ماسح الاحذية على انه رآه بعينيه يقود قرويا من اقارب احد السجناء وهو يحمل صفيحة سمن الى بيت المأمور ٠ ويقسم بانه حمل على رأسه قفصا من الدجاج اوصله الى منزل معاون البوليس وكان عبد ربه هو الذى كلفه ذلك ٠

وعشرات القصص الاخرى ومن خلف كل قصة تبدو يد عبد ربه ، وقد حلقت فوق الجميع وتسلطت على الجميع ٠

ثم كان عبد ربه الى جانب ذلك كله ضخم الجثة قوة البنية سريع العدوان ، يرى فى قبضة يده حجة كافية تسكت كل لسان وتميت كل شكوى قبل ان تخرج من الافواه ٠

وهل هناك سجين لم يذق لكمه من يد عبد ربه او لسعة اليمة من عصاه ؟ لسعة واحدة !!

وانى لاذكر كيف رأيت بعينى احد السجناء عقب « بسطة صغيرة » وهو لا يكاد يقوى على السير بقدميه ٠ ان « البسطة » معناها بضع لسعات من عصا عبد ربه ينانها السجين اذا شكا امرا او طلب طلبا ولو جرعة ماء ٠ ان جواب عبد ربه على اى طلب كان ، مهما كان متواضعا : ـ انا عارفك يا مسجون يا مجرم

انت ... انت مشاغب لن ترجع حتى تنبسط !!
وينبسط المسجون حتى يكاد يموت من الانبساط .
والمسجون الوحيدالذى لم ينبسط برغم انه كان احق السجناء بالانبساط هو سيد عبد الغنى ...
وكان سيد عبد الغنى ملاحا من احدى قرى المركز جيء به مقبوضا عليه فى تهمة قتل شيخ الخفراء والقاء جثته فى الترعة . وتسلمت انا امر القبض ، ورفعت رأسى لارى الضيف الجديد فوجدت امامى شابا فى مقتبل العمر سليم البنية لا يقل جسمه رشاقه عن اى نجم من نجوم السينما الذين نراهم على الشاشة كان جلبابه نظيفا ووجهه نظيفا ،وبرغم جمود ملامحه وسكون وجهه عن اى تعبير ، فقد كانت عيناه تنطقان بكل معانى القوة والاعتداد .
وملأت خانات دفترى كما املانى هو بنفسه .. حتى رقم القضيه
سيد عبد الغنى ... فلاح ... سن ٣٢ سنة من قريه .. مركز . التهمة قتل . امر حبس رقم .. لمدة اربعة عشر يوما .
والقيت نظرة على امر الحبس فاذا بسيد لم يخطىء فى حرف واحد وقلت فى دعابة : لكأنك معتاد على القضايا يا سيد ؟
واجابنى فى صوت جاد لا خشونة فيه :
ـ هذه اول مرة اتهم فيها واحبس .
ـ اتكون اول مرة لك هى القتل ؟
ـ لم اقتل شيخ الخفراء لعنة الله عليه .
ـ اولا تستطيع ان تخفى عواطفك ... على الاقل لتبرر انكارك للتهمة ؟
واجابنى بنفس الجد والهدوء :
ـ ولم اخفى عواطفى ؟ لقد كنت اكرهه وتشاجرت معه قبل مقتله بيومين ... كنت اتمنى لو انى قتلته لكنه افلت من يدى .
ولم اعن بسؤال سيد عن تفصيلات قصته مع شيخ الخفراء وان كنت قد احسست انى اميل لتصديقه .. كان فى صوته

رنة تبعث على الثقة به ٠

ومضى سيد بصحبة الشاويش عبد ربه والحارس الذى احضره من النيابة الى السجن ٠٠٠ وانصرفت انا الى عملى

ومرت ايام كان سيد يذهب فى كل يوم بصحبة حارسه الى النيابه ويعود منها بعد التحقيق ٠٠٠ وكدت انسى كل شىء عنه ٠٠٠٠ حتى جاءنى بعد اسبوع ومعه حارسه وقدم الى الشاويش عبد ربه امرا بالافراج عن سيد عبد الغنى

ولا ادرى لم احسست بالارتياح ٠ كان الامر يتصل بانسان احبه ، واغلب الظن ان سيد نفسه قد لحظ ارتياحى ، فقد قال وانا أملأ خانات دفتر السجن :والله انازعلان يابيه علشان حاجه واحده ٠٠٠٠ اننى لن ارى وجه حضرتك تانى ٠

وقلت ضاحكا : لا اراك الله وجهى ياسيد ٠٠٠ اننى كماترى لا ارى غير السجناء ٠

واسلمت سيد ـ بعد ان اخرجته من السجن ـ فى دفترى فقط ـ الى الشاويش عبد ربه ليتولى تسليمه ماأودعه فى عهدته ويطلق سراحه ٠٠٠ وكنت اعرف مقدما ما سوف يحدث ـ لسوف يتخلى سيد عما تحويه حافظته من نقود ، وسوف يستولى عبد ربه على ساعته ان كانت لديه ساعة او خاتمه ان كان يملك خاتما جاء به الى المركز ٠٠٠

وربما قضى سيد ليلة اخرى فى السجن اذا لم يقدم لعبد ربه قربانا سخيا ٠وعبد ربه معذور اذا أبقاه ليلة اخرى ٠٠ انه يخشى عليه من انذهاب الى القرية بعد الغروب ٠٠ او لعل ضابط المباحث يحتاج اليه لاستيفاء بعض معلومات ٠

ان هناك الف حجة لحبس انسان برأته سلطة القضاء

وصح ما توقعته٠٠ فما كدت أطأ عتبة باب المركز فى الصباح حتى وجدت سيد عبد الغنى بقوامه الفارع ووجهه النظيف يخطر فى الممر الضيق متجها نحو الباب ٠

وبادرنى بصوته الجاد الصافى :

ـ صباح الخير يا بيه ٠٠٠ !

وقلت متصنعا الدهشة :

ـ ماذا ؟ هل جئت الى المركز ثانيا يا سيد ؟

واجابنى وفى صوته رنة دعابة :

ـ لم اكن قد غادرت المركز امس ، لقد قضيت ليلتى هنا فى ضيافة الشاويش عبد ربه !

وكادت شفتاى تفترقان عن ابتسامة خبيثة ، ولعل سيد قد لمح بعينيه بوادرها ·· فقد استطرد قائلا :

ـ حقك يابيه تسأل عنه ، لانه روح البيت مريض ، لقد اصيب بمغص شديد عقب صلاة الفجر · وتملكتنى الدهشة فما اظن ان فى الدنيا آلاما تستطيع ان تؤثر فى بطن الشاويش عبد ربه الضخم ····· واحسست ان هناك شيئا ـ فقلت لسيد :

ـ ولكن ماذا تفعل هنا الان ·· الم يطلق سراحك ؟

ـ انى انتظر معاون البوليس لاطالبه بحسابى

ـ حساب ؟ اى حساب ؟

ـ جنيه ونصف اخذهما الشاويش عبد ربه من حافظة نقودى حين دخلت السجن ، اشترى بهما خمسة ازواج دجاج بعث بها الى معاون البوليس

ـ ومن قال لك هذا ياسيد ـ الا تستحى ؟

ويبدو ان لهجتى فى عتابه لم تكن جادة فقد قال وهو يضحك

ـ لقد قال لى ذلك الشاويش عبد ربه ولم يكن يستطيع ان يكذب ·

ـ ماذا تعنى ؟ ـ تعال معى ··

وكان الوقت مبكرا ، اذ اننى اصل مرغما ـ قبل موعد العمل يوميا ـ بحكم سكناى فى القاهرة ومجيئى باول قطار ···

ووقف سيد يقص على ما حصل قائلا :

ـ لقد جئت الى هنا ومعى حافظة بها ثلاثة جنيهات سلمتها للشاويش عبد ربه ومعها ساعتى وختمى ··· وعندما افرجت عنى حضرتك امس ظننت انى سأخرج فحال سبيلى · فطلبت حافظتى وساعتى ، من الشاويش عبد ربه ، فاذا به يدفعنى امامه نحو باب السجن ، وهو يصيح بى وسط الجنود : ـ انت اصلك مشاغب ومجرم ·

وحاولت ان افهمه انى لست مجرما وان النيابة قد افرجت

عنى لهذا السبب فاذا به يتهمنى بالاجرام ، ثم يصفعنى على وجهى بيده الغليظة امام الجنود ـ ودخلت حجرة السجن وانا اكاد اجن من الغيظ وهو يصيح بى :

ـ اتفضل ـ اتفضل هنالغاية ماتعقل ٠ ، وقضيت الليلة ـ ولم يكن هناك غيرى فى السجن ـ حتى قبيل الفجر ـ فناديت على الشاويش عبد ربه ، فجاءنى أحد الجنود يسألنى ماذا أريد، فقلت له انى اريد الشاويش عبد ربه شخصيا ٠ وجاءنى الشاويش عبد ربه شخصيا وهو يفرك عينيه قائلا ـ عقلت يامجرم ياابن المجرمين ـ !

وتجاهلت السباب وملت على الشاويش عبد ربه متظاهرا بانى احدثه حديثا خاصا وفى صوت خافت ، وصرف عبد ربه الجندى المرافق له واقترب منى وجذبته الى داخل السجن ، واغلقت الباب ولكمته فى بطنه حتى عوى كالكلب وافرغت فى بدنه غيظ ليلة كاملة من الصفعات واللكمات ، وكأنما كان يخشى على سمعته فما ارتفع صوته الا عن انات مكتومة من الالم ، كل هذا وأنا أطالبه برد الساعة والثلاثة جنيهات حتى اقر لى بانه سيعطينى الساعه وجنيها ونصف فقط لانه اشترى بنصف المبلغ دجاجا لمعاون انبوليس

وسكت سيد وظللت برهة صامتا وقد غلبتنى الدهشة ثم قلت :

ـ لكن ؟ الم تكن تخشى ياسيد ان ينادى الجنود فيتغلبوا عليك ٠٠٠ ثم يوجهوا اليك تهمة جديدة ؟

واجاب سيد دون تردد :

ـ لقد قلت لعبد ربه وانا اكيل له الضربات ٠٠ انه ان صاح او اشتكى فسأقتله قريبا كما قتلت شيخ الخفراء وخرجت بريئا ، ولقد صدق الغبى التهمة ٠

ـ انك جرىء ياسيد ٠٠ كان من الممكن ان يعيدك انشاويش عبد ربه الى السجن وينتقم منك شر انتقام

فرد فى اعتداد :

ـ مستحيل يا بيه ٠٠٠ انه أجبن نوع ٠٠٠

هذا النوع الذى يصيح ويفتل شواربه ويعتز ببطنه الضخم ووظيفته الحكومية ... لقد فعل كما امرته بالضبط .. اعد لى ماء فتوضأت وصليت وهو واقف كالكلب ثم ودعنى حتى الباب بعد ان اعطانى ساعتى والجنيه والنصف ولقد ذهبت فافطرت فى مطعم الفول على رأس الشارع وجئت لانتظر معاون البوليس .

وقلت لسيد وهو يهم بالانصراف :

ـ اليس الاوفق ياسيد ان تنصرف وتنجو بجلدك وتنزل عن الجنيه والنصف الباقيين لك ؟

وراعنى جوابه ـ بنفس لهجته الجادة :

ـ ولماذا يابيه ؟ اينا الذى يتصدق على الاخر . انا امعاون البوليس ؟

ـ ربما كان عبد ربه كاذبا ياسيد ...

ـ قلت لك يابيه انه كان فى حالة لايستطيق معها أن يكذب..

وقص على سيد بعد بضعة اسابيع بقية القصة ـ حين لقيته فى القطار الذاهب الى مصر فترك مكانه وجاء يحيينى . . .

سألته ما حدث بينه وبين معاون البوليس، فأجابنى دون ان يتخلى عنه جده :

ـ لقد اعطانى الجنيه والنصف وهو يقول لى امام زملائه :

ـ ابقى هات لنا فراخ من دى تانى ياسيد ... بس السعر غالى قوى .. المره الجاية تبقى تنزل السعر شوية يا سيد ..

وامنت على كلامه ولم اشأ ان اقول له اننى لست تاجرا وانه ليس رجلا شريفا ...

ـ او كنت تريد ان تقول له ذلك ياسيد ؟

ـ ولماذا لا اقول له يابيه ؟ ماذا كان يستطيع ان يفعل معى أليس هناك قانون يعاقبه على ما فعل ؟

وغاردنى سيد عبد الغنى وعاد الى مكانه من القطار ...

سيد عبد الغنى الذى استطاع ان يخرج من السجن دون ان ينبسط ..... والذى استطاع ان يخرج من جيب حضرة معاون البوليس لاول مره ، ثمن الدجاج !!

كعكة في يد اليتيم

.. منتهى أمله .. بضـــع كعكات
لاطفاله .. وثوب لزوجته ...
وفي سبيل هذا الامل ... بذل
ما يملك من حياة ...

رشف سيد ماتبقى من كوب الشاى فى جرعة كبيرة ، ومال برأسه قليلا الى الوراء بضع دقائق ... ثم عاد الى العمل

وكأنما كان كوب الشاى والدقائق القليلة التى أراح فيها رأسه يوم عطلة كامل .. فقد أحس بنشاط وحيويه . كأنه لم يأكل منذ دقائق طعام أفطاره الجاف .. وكأنما كانت حبات الفول التى نخرها السوس قطعا من الشواء سهلة الهضم لذيذة المذاق .

واهوى سيد بالمطرقة على قطعة الجلد فاستوت . ومد يده الى كوز النشاء فالتقط باصبعه قطعة صغيرة اخذ يدهن الجلد بها حتى غطاها تماما ، ثم الصق فوقها القماش الابيض .. ثم نحاها بعيدا وسحب قطعة اخرى من الجلد ... واهوى بالمطرقة من جديد

وتكررت العملية .. كل واحدة منها تستغرق نفس الوقت، تهوى المطرقة وتمضى فترة سكون يسمع فيها حفيف يده تسوى النشاء على سطح الجلد ثم ... تهوى المطرقة من جديد ...

ومضت نصف ساعة .. وامتلأت المنضدة الطويلة امامه بقطع الجلد المبطنة بالقماش ،ودارت عين سيد فاحصة ما سوى من القطع ثم نهض الى عمل جديد ... وكان العمل الجديد اكثر تشويقا لمن يراه ..

كان وضع هذه القطع المتناثرة على قوالب الخشب فى شكل الاحذية ، وكان أقل سأما وانتظاما عن العمل الاول . وأكثر تعقيدا .

وكان يبدو لكل من يرى كل قطعة قد استوت على قالبها ان حذاء جديدا قد اوشك ان يكون ، وكان يبدو لسيد وحده فى كل قطعه ينتهى من الصاقها وتشكيلها على القالب ، شيئا آخر غير حذاء جديد .

كانت تبدو له بضعة قروش تخرج من جيب صاحب المصنع لتنصب فى جيبه هو ... وكان خياله يرسم لهذه القروش

مصيرها منذ الان . وقبل ان ينتهى الحذاء ...

وكان هذا المصير منتهى امله منذ ايام .. فيوم ان ينتهى من اعداد بضعة احذية فى ساعات الليل بعد الافطار .. يوم يستطيع ان يفعل ذلك فسوف يحقق آمالا كبارا .

ولو اننا اقتحمنا على سيد خلوته منذ بضع ليال ،وقبل ان يبدأ عمله الاضافى فى ساعات الليل فى المصنع ، خلوته الى زوجته فى الدار التى يسكنها ،وبعض الدور حجرة واحدة ، لوجدناه يحدث سنيه والعيال نيام قائلا :

ـ وماذا قالت فاطمه ؟

ـ قالت ابى تأخر وقد غالبنى النعاس .. هل ذهب ليأتى بالكعك ؟

ـ وماذا قلت لها انت ؟

ـ لم أقل شيئا وانما قال لها اخوها وهو يتثاءب ان الكعك يأتى فى آخر رمضان ... وكذلك الثياب الجديدة .

ويخلع سيد حـــــذاءه ثم يستلقى على الفراش ويمضى فى صمت عميق تقطعه سنية قائلة :

ـ انهما ليسا بحاجة الى ثياب .. سأصنع لفاطمة ثوبا من ثوبى القديم الازرق فما زال قماشه متينا ، أما حسن ..

ويقاطعها فى ضحكة حزينة :

ـ ستصنعين له بدلة من اى ثوب من اثوابك ؟

وتصمت سنية فى هذه المرة ويجيب سيد عنها قائلا :

ـ حتى ولو لم يكن هناك عيد بعد عشرين يوما يا سنيـة فان الولد والبنت فى حاجة الى ثيـــاب جديدة ولقد دبرت الامر .

وتنظر سنية ، عن غير قصد ، الى السوار الذهبى النحيل الباقى فى يدها من عشرة اساور كانت لديها ... ثم يتملكها الرعب . وتسترد أنفاسها على صوت سيد ..

ـ لقد طلب صاحب المصنع أن نعمل بنصف أجر كل ليلة بعد الافطار حتى السحور وبذلك ...

وتعاود سنية النظر الى السوار فى اطمئنان .. ويمضى هو

فى الحديث

ـ وبذلك سيكون لدى اذا واظبت على السهر بضعة جنيهات تكفى لكسوتهما ولشراء الكعك ..

ـ ها أنت ترين أن الله كريم يا سنية .

وينتهى بهما الحديث تلك الليلة من ليالى أول رمضان . ولو أننا عدنا اليهما بعد عدة ليال بعد منتصف الليل لوجدنا سيد قد تمدد على الفراش دون أن يخلع حذاءه هذه المرة ،لقد بلغ به التعب مداه ولقد راع سنية ما يلقاه من ضنى وما يكلف نفسه من جهد فهى تقول له :

ـ وماذا تنفعنا او تنفع العيال الثياب الجديدة ، وبأى شهية سيأكلون الكعك اذا سقطت انت مريضا على العيد .. هل هناك انسان يحتمل العمل من مشرق الشمس حتى منتصف الليل مثلك ؟

ويجيبها سيد وهو يتكلف الرضا ... لا عليك ولا على الاولاد .... ان العمل لا يمرض يا سنية وانما البطالة ... لست وحدى اذى أعمل ان هناك غيرى عشرات ، سوف تنسى هذا التعب عندما نقضم الكعك ونرى فاطمة وحسن يزهوان بالثياب الجديدة ... ويصمت لحظة ليعود .

ـ هل تحبين الكعك يا سنية ؟ انى لا أذكر انك طلبت منى الكعك مرة واحدة منذ تزوجنا . حتى قبل أن يأتى الاولاد كنت انا دائما الذى أذكر أن العيد قد قرب فاشترى لك الدقيق والسمن لتصنعيه .. وتطويهما الذكريات تلك الليلة .. ثم يغالب النعاس سنية وتنتاب سيد موجة من الارق تحمل معها عشرات الذكريات ..

ذكريات كلها تتصل بسنية . يذكر سيد ان سنية زفت اليه منذ عشر سنوات .. ويذكر انها ما طلبت منه خلال الاعوام العشرة شيئا لنفسها فى سنوات الحرب ، السنوات الحضر ، كان هو الذى يذكر دائما ما تحتاج اليه فيشتريه . كانت الدنيا اذ ذاك دنيا . كان يعمل بالجيش وكان يعول أمه وأخته عدا سنية ومع ذلك فقد كان لا يعانى ما يعانيه الان .

ما تغيرت موارده ولكن الدنيا هى التى تغيرت .. انه ليتحسر الان على أيام الحرب .. ثم يعود الى سنية .. لماذا لا تطلب شيئا لنفسها أبدا ؟ أهى لا تحتاج حقا الى ثياب ؟ .. أم هى تشفق به ؟ لو انه طاوعها فصنعت من ثوبها الازرق ثوبا لفاطمة فبماذا تخرج الى السوق وتزور أهلها ؟ هل عندها عدا هذا الثوب الازرق غير ثوب واحد آخر ؟

وتثور نفسه على نفسه وتمضى موجة الاعجاب بسنية الى منتهاها فيهم بخياله خاطر : ـ لابد أن أشترى ثوبا لسنية .. انها تستحق ثوبا جديدا ، ويرتطم خاطره الجديد ، بحقيقة تهبط على خياله كما يهبط الطير الجارح .. وتموت خواطره جميعا ، ويستسلم للنعاس ... ما من شك انه لن يستطيع أن يشترى ثوبا لسنية

ان قصارى ما يكسبه بعمله فى الليل من نقود لا يكاد يكفي الا ثياب طفليه وبضع أقات من الكعك .. ولن ترضى سنية ألا يكتسى العيال أو يحرموا من الكعك لتخطر هى فى ثوب جديد .

وها هو سيد حيث تركناه أول القصة يترجم ما انتجت يداه من أحذية جديدة الى أمتار فى ثياب العيال وأقراص من الكعك ...

ولقد انتصف الليل ـ ونهض سيد فجمع ما انتجت يداه ونحاه جانبا ، ورأى لاول مرة منذ بضع ساعات من حونه من زملاء .... ودبت فى الحجرة الحياة وغادر سيد وزملاؤه المصنع وطواه الظلام فى طريقه الى المنزل ، ونام الليل نوما هادئا لم تزعجه الخواطر ولا الاحلام ، وصحا فى الصباح نشيطا كأنه قضى ليلة كاملة فى فراش وثير .

وكانت فاطمة مازالت نائمة .. وكان حسن يلهو بقصاصات من الورق عند باب الحجرة فترك ما بيديه وهرع الى أبيه . وصحت فاطمة على صوت أبيها وهو يصف لحسن ثوب العيد الذى سوف يشتريه له بعد ساعات ويحدثه عن الكعك اللذيذ الذى سيفطرون به فى صباح العيد .

وأعاد سيد نفس الحديث لفاطمة .. ثم حانت منه التفاتة الى سنية فوجدها تنصت فى غبطة وفرح .. وكأنه سيشترى لها هى أيضا ثوبا ! وغادر سيد داره غارقا فى دنياه الفرحة وسار نحو المصنع وسبقت خواطره الساعات الباقية واستعرض فى خياله يومه الحافل .. سيمضى فى عمله حتى الثانية عشرة والنصف ثم ينهض مع زملائه فيجتازون الممر الضيق الموصل بين المصنع والمتجر فيقفون صفا أمام عبد السميع افندى الكاتب الذى ينادى كلا منهم باسمه .. انه دائما الرابع وسوف يتقدم فيقبض أجره كاملا ثم يقبض ثلاثة جنيهات أجره الاضافى ثم يعود من نفس الطريق حتى المصنع، وعند الباب سيجد هو وزملاؤه حنفى القهوجى واقفا فى الانتظار ليستقضيهم ثمن ما شربوه خلال الشهر من قهوة وشاى ونارجيلات ، وسيتكرر ما يحدث كل شهر ، سيطول النقاش بين حنفى وبين بعض زملاء سيد .. ان الخلاف يكون دائما حول بضعة فناجين من القهوة او اكواب من الشاى يضيفها حنفى زيادة على حسابهم او ينكرون هم أنهم اخذوها ، وانه ليعلم ان حنفى يضيف احيانا من عنده ، ولكنه يعلم ايضا أن بعض زملائه يصر على أن ينكر بضعة فناجين او أكواب ، ان الخلاف ينتهى دائما بان يتخلى حنفى عن نصف ما يضيف من مشروبات حتى ليبدو ان حنفى قد جرى على هذه السياسة والفها الجميع ... ولو ان حنفى طلب يوما حسابه المضبوط لخسر بضعة قروش ثمن المشروبات التى سوف ينكرها عملاؤه

ان سيد اسعد من كثير من زملائه .. انه لا يتعاطى غير كوب من الشاى عند انتصاف النهار .. اما هذا الشهر فهو قد صام رمضان ولن يدفع غير ثمن اكواب الشاى التى ارتشفها بعد الافطار خلال أسابيع ثلاثة ، انه أسعد من كثير منهم ايضا لان احدا غير حنفى لا ينتظره عند باب الخروج ..

لن ينتظره صبى البقال الذى ينتظر زميله عبد العال .. ولا المرابى الذى ينتظر مصطفى ليحصل منه على الفائدة الشهرية الفادحة لقرضه اليسير . ولن يجد امرأة تنتظر

نفقتها الشهرية وعلى كتفها طفل رضيع .. كما تنتظر مطلقة زميله رضوان خروج طليقها وقد علا صياحها وشكواها .. انه سيخرج مرفوع الرأس الى المتجر الصغير عند رأس الشارع فيشترى ثوبا جميلا لفاطمة ، قماش ثوب تخيطه لها سنية .. ثم يمضى بعد ذلك الى الحى القريب فيشترى حلة متواضعة لحسن .. ثم يذهب الى بائع الكعك فيشترى اقتين من الكعك لقد كانت سنية تصنع الكعك بيديها من قبل اما الان فانها لن تستطيع .. ان الحصول على دقيق صعب والحصول على بضعة ارطال من المسلى الصناعى اصعب من الحصول على الدقيق واصعب من الحصول على قدر من السكر .. ان سيد يتحسر على ايام الحرب الان ويذكر كم كان بطرا من الناس ان يصفوها بالغلاء والضيق ...

ثم يمضى سيد الى البيت فرحا بحمله الغالى .. انه سيحمل اماله الكبار خلال ثلاثة اسابيع من الضنى والسهر .. سيحمل البهجة الى اعز قلوب لدى قلبه . وتقف خواطر سيد عند اسرته المرحة بما يحمل لها من هناء . ويقف عند مدخل الشارع حيث يقوم المصنع ليتأمل واجهات المتاجر وقد فاضت بمعروضاتها الجميلة .. لسوف يشترى ثوب فاطمة من بين هذه المعروضات .. ثم يمضى ثانيا فى الطريق حتى يصل الى متجر الاحذية فيتمهل قليلا وينظر الى ما تزدان به واجهة المتجر من احذية انيقة لامعة . لقد اسهمت يداه فى صنع كل زوج من هذه الاحذية ولقد اختلط بكل زوج منها قطرات من عرقه وانفاسه .

وتحين منه التفاتة فيرى الثمن المكتوب على صنف من هذه الاحذية . ويلحظ شيئا لا يثير التفاته ولا يعنيه .. لقد تغير الثمن المكتوب عما كان عليه بالامس .. كان ثمن الزوج بالامس مائة وسبعين قرشا فاصبح اليوم مائتين وخمسين .

ويحاول عقله الصغير ان يجد لذلك سببا فلا يسعفه الادراك وانما يسعفه خاطر عابر ، فيشكر الله فى قلبه لان طفليه ليسا بحاجة الى احذية وتخترق عيناه زجاج الواجهة فى نظرة سريعة فيلمح عبد السميع افندى منهمكا فى اعداد اوراقه شأنه

كل أول شهر ، فيتملكه الفرح وينسى ارتفاع ثمن الاحذية ٠

وتمضى ساعات العمل ٠٠ وينتصف النهار ٠٠ وتدق الساعة دقتها مؤذنة بالنصف بعد الثانية عشرة ، وينهض سيد وينهض زملاؤه ويسيرون فى الممر الضيق نحو المتجر ويقفون صفا امام عبد السميع افندى ، ويأتى دور سيد فيقبض مرتبه فى لهفة ثم يقبض اجره الاضافى ، ليس ثلاثة جنيهات كما توقع وانما جنيهان وثمانون قرشا ٠٠ ويدرك سيد بعد حوار قصير مع عبد السميع افندى انه لم يخطىء الحساب وانما هى عشرون قرشا ٠٠ مجرد قروش قليلة خصمت فى سبيل ما دفعه صاحب المصنع لجمعية من جمعيات البر ٠٠٠

ولم يكن عبد السميع افندى كاذبا ٠٠ انه يضع امامه الصحيفة التى نشر فيها اسم صاحب المصنع وتبرعه الكريم ٠ وقد رأى سيد اسم صاحب المصنع سعينيه وليس له ان يشك فى دقة حساب عبد السميع افندى بعد ذلك ٠٠٠ انه يحمل ثروته راضيا ويخرج من الممر الضيق ليتهيأ للخروج

ويمضى ليحقق امانه الكبار ٠٠ ان العشرين قرشا ستؤثر قليلا فى ميزانيته لكنها لن تعصف بشىء مما انتواه ٠

ويقف سيد يقلب القماش الجميل فى متجر الاقمشة ، ويروقه احد اثواب القماش فيدقق فيه النظر ، وتمر بخياله صورة فاطمة وقد ارتدت ثوبا من هذا القماش ٠٠ ويسأل البائع عن الثمن ٠٠٠

ويذكر البائع رقما يتخاذل امامه سيد وتمتد يده بحثا ٠٠ عن قماش ارخص ويقول البائع وهو يقص الثوب ٠٠ ارخص قماش استطاعت نقود سيد ان تحتمله ٠٠

ـ كل شىء قد ارتفع ٠٠ العيد قد قرب وشذت الاسعار ٠

وتمر بخيال سيد صورة لم يعرها التفاتا فى الصباح ٠٠ لقد ارتفع ثمن الحذاء ايضا اليوم ٠ الحذاء الذى يصنعه هو وزملاؤه زاد ثمنه ثمانين قرشا ٠

وينقد البائع الثمن وينصرف ليشترى حلة لحسن ٠وتطرق سمعه مرة اخرى وهو ينقد البائع ثمن الحلة الصغيرة المتواضعة حديث السعر الذى ارتفع ، يقول له البائع :

ـ الدنيا عيد وكل شيء قد غلا ثمنه ·· كانت هذه الحلة اقل ثمنا منذ شهر واحد ·· بل منذ اسبوع واحد ·· ثم ارتفع ثمن كل شيء ·

وتبدو صورة واجهة المتجر ، متجر الاحذية ، واضحة لعيني سيد ··· الواجهة حيث ارتفع ثمن الحذاء بالامس فقط ·· ويحاول سيد ان يربط بين سعر الحذاء وسعر الثوب ··· وسعر الحلة الصغيرة المتواضعة ولكن عقله الصغير لا يمضى بعيدا ، انه يقف عند كلمة العيد ··· العيد هو الذى رفع الاسعار فطارت قروشه التى اجهد نفسه طوال ليالى رمضان من اجلها ·· ومع ذلك فقد نفذت هذه القروش ·· ولم يشتر الكعك بعد ·· الكعك الذى سألت عنه فاطمة ومناها بهحسن ذات ليلة ···

لو لم ترتفع الاسعار لما اعجزه ان يشترى الكعك ··كانت ستبقى معه القروش الثمانون ليشترى اقتين ونصفا منالكعك ثمانون قرشا هى كل ما يحتاج اليه ·· ويمضى عقله ثانيا فى خواطر سابحة · يمضى الى بائع الحلل الصغيرة ·· لقد اخذ منه هذا الرجل الثمانين قرشا ثمن الكعك ·· او هو بائع الثياب ·· الثياب الجميلة التى اشترى من ارخصها ثوبالفاطمة هو الذى غصبه الثمانين قرشا ·· ؟

أو ··· ؟

تمر بعقله صورة المتجر ·· متجر الاحذية من جديد ··· الاحذية التى صنعها بيديه هو وزملاؤه ·

الاحذية التى ارتفع سعر كل منها ثمانين قرشا ··الثمانين قرشا ثمن الكعك زوج واحد من الاحذية التى يصنعها ··· واقتان ونصف من الكعك ·· وعبثا حاول سيد ان يطرد الصورة ·· صورة زوج الاحذية واقات الكعك الضئيلة ·· عبثا حاول ان ينسى الورقة الصغيرة المثبتة فوق الحذاء الورقة التى رفعت ثمنه ·· ثمانين قرشا ·· اختلطت فىرأسه الصور ، وكان قدوصل الى بائع الكعك ، فالقى نظرة على الاقراص المتراصة فى كوم ضخم ·· وحاول ان يقف ولكن عقله رده فى سرعة فابتعدت قدماه وكانما خشى ان تغلبه

نزواته . وآب الى المنزل بحمله الصغير . . . توب فاطمة وحلة حسن وتلقاه الصغيران فى غبطة وفرح ومرت لحظات سعيدة افاق بعدها على صوت حسن ...

ـ وأين الكعك يا أبى ؟ .. والتقت عيناه بعينى سنيه .. وعلى غير قصد منها نظرت الى سوارها النحيل فى رعب ، ولم تفت سيد هذه المرة نظرتها ، ومرت لحظة اجاب بعدها سيد :

ـ غدا سآتيكم بالكعك ..

وخرج سيد بعد لحظات ميمما شطر المصنع .. وجلس بين زملائه يعمل فى صمت وكآبة .. ومرت ساعات النهار حتى الافطار بطيئة ثقيلة .. واخذ العمال ينصرفون مهرولين وظل سيد مكانه ... وسأله واحد منهم :

ـ ألا تذهب لتفطر فى بيتك يا سيد ؟

وقال سيد :

ـ لدى ستة ازواج اعدها على القوالب ولقد ضاعت منى ساعات الظهيرة ، سأفطر هنا فى المصنع

وانكفأ سيد على العمل ، وكأنه بقى فعلا لكى يعمل . . . ومرت ساعات الليل الاولى وانصرف معزملائه عند منتصف الليل .

وقالت سنيه وهى تفتح له الباب :

ـ متى تنتهى من هذا السهر المضنى ... اننا لا نريد كعكا واجاب سيد وفى صوته عزيمة رجل قادر :

ـ بل سآتيكم بالكعك غدا صباحا

ـ ومن اين تأتى به ولم يبق لديك غير مرتب الشهر ـ الن تدفع ايجار المنزل يا سيد ؟ ام نصوم شهرا اخر من اجل الكعك ؟

ـ لن نصوم يوما .. ونن تبيعى السوار يا سنية ..

ولم تسأل سنية ، وانما ارسلت عيناها عشرات الاسئلة :

ـ ولم يجب سيد وانما اغمض عينيه كأنما استسلم للرقاد وطال اغماضه وطالت يقظته . كأنه يرى بخياله شيئا لا يريد ان يراه بعينيه ومر الليل وجاء النهار

ووقف سيد وقد انتصف النهار يتلقى عشرات الاسئلة

ـ هل كسرت الصندوق الصغير يا سيد ؟
ـ كم كان فى الصندوق يا سيد ؟
ـ كم اخذت من النقود ؟
ويجيب سيد فى اضطراب .. وكأنه يكذب :
ـ كان الصندوق مغلقا ففتحته
ـ لست اعرف كم كان فى الصندوق
ـ اخذت ثمانين قرشا
ويصيح عبد السميع افندى :
ـ نعم اخذ ثمانين قرشا فقط ... هذا حق
ويتلقى سيد سؤالا اخر :
ـ ولكن لماذا لم تأخذ غير ثمانين قرشا ؟
ويجيب سيد :
ـ كنت محتاجا اليها ..
ـ لماذا ..
ويسكت سيد .. وتمر بخاطره صورة واجهة المتجر وصورة اكوام الكعك ويجيب سيد فى الحاح وكأنه يكذب :
ـ كنت محتاجا اليها ـ كنت محتاجا الى ثمانين قرشا .
وتمضى فترة صمت يقطعها صوت المحقق :
ـ اتعرف انك متهم بالسرقة يا سيد .. اين خبأت الثمانين قرشا . ؟
ويجيب سيد فى حسرة :
ـ انها هنا ... فى جيبى ..
ويمد يده فيخرج القروش الثمانين ويقدمها فى ذلة الى المحقق قائلا :
ـ كنت محتاجا اليها .. انها ثمانون قرشا فقط .
ـ اعرف ذلك يا سيد .. لكنا سنقبض عليك بتهمة السرقة مع ذلك ... لقد سرقت هذه الثمانين قرشا .
ويبكى سيد لاول مرة ... ويصيح فى حرارة وضراعة ، وكأنه لا يكذب :
ـ لم اسرق شيئا ... هذه الثمانون قرشا ... كنت محتاجا اليها .. ويطرق المحقق ثم يشيح برأسه كأنما لا يريد ان يرى وجه سيد .ويهب عبد الحميد واقفا ، ثم يمضى

فى الغرفة جيئة وذهابا ، ثم يقف فجأة ويقول :

ـ وهل كنت استطيع ان ارى وجه سيد وقد ارتسمت عليه مظاهر يأس هائل قاتل ، لقد احسست بحقارتى وانا اصدر امرى بالقبض عليه ... ما من واحد من زملاء سيد الا واقر بانه خير منهم جميعا ، وعبد السميع افندى كاتب المحل يقسم لى اغلظ الايمان انه برغم اعتراف سيد لا يصدق انه يسرق . ويصمت عبد الحميد مرة اخرى ثم يعود الى حديثه فى اضطراب .

ـ ومع ذلك فبين يدى قانون .. قانون يلقى بسيد الى السجن ولا يستطيع ان يفعل شيئا لصاحب المصنع وتاجر الثياب وتاجر حلل الاطفال الصغار . قانون لا يستطيع ان يجفف قطرة من دموع سنية وهى تروى لى كيف قضى سيد ثلاثة اسابيع يعمل ساعات الليل ليشترى ثياب العيال واقراص الكعك . قانون يأبى ان يضع مع سيد فى قفص الاتهام انسانا اخر ...

ويعود عبد الحميد الى كرسيه وقد هدأت ثورته يستطرد فى الحديث :

ـ لقد افرج عن سيد بضمان .. وخرج ليقضى العيد مع سنية وطفليه انهم لن يذوقوا الكعك فى العيد .. لقد ردت الثمانون قرشا لصاحب المصنع ... وبعد العيد .

ويعود عبد الحميد الى قلقه من جديد .

ـ بعد العيد . سأقف يوما لاتهم سيد بخيانة سيده .. وسرقة مصنعه .. وكسر صندوق صغير فيه نقود .. وسأطلب الحكم عليه بالسجن .. سوف اتكلم طويلا عن الشرف والامانة واكيل اللعنات على اللصوص والمعتدين .. ولكنى ..

ويعلو صوت عبد الحميد :

ـ ولكنى اقسم لكم .. لن يكون سيد هو الذى اقصده .. ان سيد قد يسجن وقد يحكم عليه مع وقف التنفيذ لكنه لن ينال شيئا من لعناتى ! وينظر عبد الحميد الى الفضاء ويخفت صوته وكأنه يهمس فى حلم :

ـ كم كان حكيما ذلك الذى صور العدالة فى صورة امرأة عمياء تحمل ميزانها .. انها لا تدرى احيانا اى معدن نفيس تشيل به احدى كفتيها وقد أثقلت الاخرى بالاوزار !!

طريق الصخور

ويل لمن تدفعه قدماه فى طريق
الشر .. انه طريق الصخور قد
أخفتها الرياحين والازهار . !!

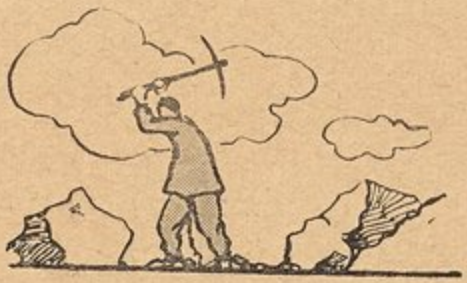

سار فى الركب الطويل مخترقا الحديقة الصغيرة نحو ميدان كفاحه الجديد .. الميدان الذى حكم عليه ان يعمل فيه منذ اليوم عشرة اعوام . .

واتسقت خطواته مع خطوات زملائه على نغمات قرقعة السلاسل الضخمة فقفزت الى خاطره صورة لا ينساها منذ صباه .. صورة خراف انقصاب وقد انتظمها حبل واحد دار حول اعناقها وانتهى طرفه بين يدى صبى صغير ذى نظرات شريرة ، تعلو ثوبه قطرات الدماء ..

لطالما سأل نفسه وهو صبى يسكن حى المذبح . ما لهذه الخراف تسير مطاطئة الرؤوس ؟ اتعرف هذه البهم الى اين تسير ؟

انه يسائل نفسه الان وهو يتأمل ما حوله ... عشرات الزملاء يسيرون الى جانبه وأمامه وخلفه مطاطئى الرؤوس كالخراف .. تنظمهم سلسلة واحدة تربطهم جميعا وكأنهم عقد هائل رهيب حباته كائنات بشرية تعسة قد كتب عليها الشقاء ، وبدلا من صبى الجزار بضعة جنود لا تنتهى عند ايديهم اطراف السلسلة الضخمة وانما يحملون بنادق قد ثبتت عليها الحراب تلمع تحت اشعة الشمس الساخنة وكأنها عيون صبى الجزار الشريرة ..

وسار الركب .. وانتهى أثر الحياة وبدا الجبل ساكنا كأنه انقبر ، وصاح الجند بكلام غير مفهوم تعرفه اسماع الخراف الذليلة ، فوقفوا جامدين ، وتقدم احد الجنود فنزع السلسلة الثقيلة التى تربط القيود فانفرط العقد واحسوا جميعا بشىء من انراحة وحركوا اقدامهم كأنهم يحسون الحرية .. ودوى رنين انقيود كانه صهيل الخيل فأعادهم الى صوابهم ..وادرك كل منهم مرة اخرى انه مسجون ، اما هو فقد ادرك شيئا جديدا .. شيئا يدركه لاول مرة فى يومه الاول من حياته الجديدة .. ادرك انه لم يكن حالما خلال الايام الماضية ... وادرك ان رحمة الله لن تكون فى المعجزة التى كانت تصورها

له خيالاته ، لن تحدث المعجزة فيعفو عنه القضاء ... انه محكوم عليه بالسجن مع الشغل الشاق ١٠ سنوات ، وسيقضى مدة العقوبة ، ولن تكون رحمة الله الا فى ان يعتاد حياته الجديدة

وانتفض جسده وكأنه يسمع الحكم عليه لاول مرة ،واهتز القيد فحرك السلسلة الثقيلة التى تصل بين قدميه ، وعكر رنينها السكون الرهيب ، وكان قائد الحرس قد بدأ يصدر أوامره . والتفت القائد ممتعضا وقال فى ثورة :

ـ انت يا مستجد .. قف معتدلا والا .. ؟

وعرف ما سوف يحدث لو انه لم يقف معتدلا بعد دقائق. حين دوت صرخة مريعة من زميله المجاور ، والتفت فوجد الجندى يركله فى عنف بأعقاب بندقيته .. وحمد الله لانه اطاع الامر ، واصدر قائد الحرس امره الثانى ، فتفرق الركب فى سرعة وكأنه يعرف اهدافه .. اما هو فقد وقف جامدا فى مكانه لا يعرف ما يفعل ، وتقدم منه احد الجنود قائلا فى غلظة :

ـ وانت يا مستجد تقطع من هنا .. طوالى الى الشرق ..

وسار بخطى متئدة الى حيث اشار الجندى .. ورفع معوله، وهوى على الصخر .. وندت عن الصخر شظايا ضئيلة تناثرت ذات اليمين وذات الشمال .. وضج الجنود بالضحك واقترب احدهم منه واراه كيف يقطع الصخر ..

وهوت ضربات معوله بعد ذلك فى نظام وعناية ، واخذ يقطع الصخر متجها الى الشرق .. واختلطت قطرات عرقه المتصبب بزبد فمه اللاهث ، واحس انه سيموت قبل ان تنتهى ساعات العمل ، وفى اللحظة التى انطلقت فيها الصفارة مؤذنة بانتهاء ساعات العمل كان قد غلبه الاعياء .. كان يتحرك وكأنه فاقد الوعى ، كان كل ما يشعره بانه فى عداد الاحياء رنين السلاسل الثقيلة فى اقدامه واقدام زملائه الذى يصل الى اذنيه كأنه حفيف اغصان .

وجلس يستريح ، وعاد اليه وعيه واسترد حواسه رويدا رويدا .. وجد نفسه يجلس على صخرة وامامه وعاء طعامه ،

وامتد بصره الى الامام ٠٠ الى الشرق ! حيث اشار الحارس ٠٠
ورأت عيناه الافق البعيد حيث يلتقى الجبل بالسماء ٠
ان هذا الافق لا يمثل نهاية الشرق ٠ ان الصخر يمضى بعد هذا الافق الى لا نهاية ٠ !

هل تصل ضربات معوله الى هذا الحد الذى تمثله لهعيناه؟ هل يصل يوما الى هذا الافق ويعرف ما وراءه من حياة ؟ام ان اجله سينتهى قبل ان يفرغ من قطع الصخر حتى الافق البعيد ؟

وتعبت عيناه من التحديق امامه ٠٠ فاغلقهما واخذيغوص فى اعماق نفسه يستنهض ذكريات ما مر به حتى اليوم ٠٠ ومر بأعوام حياتى الاولى سريعا وقفز خياله الىماضيه القريب منذ اربعة اعوام الدار الهادئة الجميلة فى شارع الحلمية حيث يقيم هو وزوجته ٠٠ وغص حلقه وهو يزدرد طعامه الجاف ٠٠ كأن شبح خديجة زوجته لم يعبر فى حياته من قبل ، وكأنه مر مع طعامه الجاف فى حلقه

يالخديجة من قسوته هو ؟ ترى ماذا تفعل الان ؟

وعادت ذكرياته ٠٠ وقف امام المرآة يرتدى ثيابه بعناية ، ووقفت خلفه خديجة تزيل ما علق بثوبه من غبار ، واستدار ليرى وجهها فاخذت تصلح من رباط رقبته وهى تقول :

ـ دائما لا تحكم وضع رباط رقبتك ٠٠ ما هكذا يفعل الشبان ٠٠ الى اين ستذهب الان ؟

وأجابها :

ـ كالمعتاد ٠٠ صالون عم محمود لاحلق ذقنى ، ثم الى المكتب ساعة ، ثم الى النادى

ـ لتلعب الطاولة

ـ لالعب الطاولة ٠٠ ثم اكون هنا فى العاشرة ٠٠العاشرة تماما ٠

ـ وغدا ٠٠ لا صالون عم محمود ولا مكتب ولا طاولة ٠ ٠ غدا الخميس ٠

ـ غدا نذهب الى السينما ٠٠ ساحلق ذقنى ظهرا قبل

عودتى الى المنزل .. غدا انا تحت امرك .

ويغادر الدار بعد هذا الحديث .. وتشيعه خديجة حتى الباب ويمضى فى الطريق ليجد عم محمود جالسا امام حانوته يدخن نارجيلته وامامه كوب الشاى ، ويرمقه من بعيد كما يرمقه كل يوم فيجده كما هو كل يوم . جالسا فى اطمئنان وراحة يعب دخان النارجيلة حتى يمتلىء صدره ثم ينفثه فى هدوء واشراق ، ثم يمد يده فيرشف رشفة من كوب الشاى.

لطالما حسد عم محمود ولطالما فكر فيه ككائن يعيش بين الاحياء ! كان يسأله أحيانا :

ـ كيف الحال يا عم محمود ؟ باين عليك مبسوط النهارده ؟

ولم يكن يسمع منه غير هذا الجواب :

ـ رضا .. مبسوط النهارده .. وكل يوم يا استاذ .. كل شىء ولله الحمد .

ويضع مبسم النارجيلة ليرفع يده الى فمه ويقبلها فى حرارة ظهرا لبطن ! .

كان يسأل نفسه أحيانا ، ما الذى يعجب هذا الكائن الحى فى هذا الوجود المضطرب . ؟ كيف يعيش وما من شىء يشغله ؟

سأله مرة بعد أن أعياه سؤال نفسه :

ـ انت غنى يا عم محمود ؟

وأجابه الرجل فى ابتهاج :

ـ الا غنى يا أستاذ .. طبعا غنى ولله الحمد ..

ـ أعنى عندك ملك مثلا ؟

ـ عندى الدكان .. وعندى بضع أمواس .. وعندى زبائن كحضرتك .. الحمد لله !

وعرف أنه لن يصل الى جواب من الرجل فعاد يسأل نفسه .. أين يعيش هذا الرجل من الحياة حتى لا يحس بضغطها وكفاحها ومشاغلها . اتراه يعيش على هامشها فلا يحس بما تنطوى عليه من مرارة وشقاء ؟

انه هو مثلا سعيد بلا شك .. موفق بلا شك .. لديه

زوجته خديجة التى يحبها وتحبه وتدير له منزله كأحسن ما تدير زوجة منزل الزوجية .. وعنده وظيفته يجنى منها مرتبا لا بأس به يقوم بشئونه وشئون بيته .. ولكنه مع ذلك لا يعدم ساعات من النهار والليل يفكر فيها وتشغله هموم الحياة .. يشغله أمر مستقبله فيفكر متى يزيد مرتبه ويحس بحاجته الدائمة الى أن يزيد هذا المرتب ليرتفع بمستوى حياته قليلا ، ويشغل باله ما سوف تتمخض عنه الايام .. لسوف تلد له خديجة أولادا ولسوف تزيد تكاليفه وتكثر أعباؤه .. ولسوف .. ولسوف ..

ويتمتم دون أن يسمعه أحد :

ـ مستحيل !! أيمكن أن يعيش انسان بغير هموم ولا أفكار فى عالم تصطرع فيه حتى الهوام ؟ هذا الرجل قد منحه الله نعيما اخر .. نعيم من خلت رؤوسهم من عقل يفكر ؟ .

ثم يرى عم محمود فى جلسته .. جلسته الهادئة يعب انفاس نارجيلته فى شغف ويرشف الشاى فى لذة فيراجع نفسه قائلا :

ـ ومع ذلك فما فى تصرفاته شيء يدل على أنه غير عاقل .. انه لا يخطيء أبدا !

ويقترب من الحانوت وينهض عم محمود لتحيته ويصحبه الى داخل الحانوت ويبدأ فى مزاولة عمله فى نشاط وخفة .. خفة الشاب لا تثاقل الشيخ الذى غزا الشيب شاربه وداعبت خطوط العمر بشرته فى عنف وقسوة .. فى ذلك اليوم دخل الى الحانوت وجلس مكانه وشرع عم محمود يحلق ذقنه ، ودخل فى تلك اللحظة عبد المجيد بك الشاب المرح الذى لايكف عن الدعابة .

كان يعرف عبد المجيد هذا فقد لقيه أكثر من مرة فى حانوت عم محمود .. كان شابا أنيقا وسيما كثير الحديث عن مغامراته وغزواته وكلها فى ميدان المقامرة والنساء . وكان قد تعود أن يبادله الدعابة بأن يسأله عن مغامراته فيغضب عم محمود ويعلن عن غضبه بتأنيب عبد المجيد بك فى رقة كلما

روى مغامرة قائلا :

ـ حرام عليك يا عبد المجيد بك ٠٠ أليس لك نساء ٠٠٠ الله يهديك !

ويمضى عبد المجيد فى سرد مغامراته ضاحكا من عتاب عم محمود فاذا ما انتهى من حلاقة ذقنه قال وهو يضحك فى مرح:

ـ عم محمود اصله راجل طيب ٠٠ مش عايش فى الدنيا !

وكانت هذه الجملة تجد صداها دائما فى نفسه هو ٠٠الذى طالما حيره أمر عم محمود ٠٠ انه رجل لا يعيش فى الدنيا ٠

وبدأ عم محمود ينثر على وجهه قطرات الكولونيا ، وقال عبد المجيد :

ـ أتعرفون كم ربحت اليوم ؟ سبعين جنيها ٠٠ بعشرين قرشا !

ومر عم محمود بهذا الخبر وكأنه لم يسمعه ، أما هو فقد سأل فى اهتمام :

ـ فى المقامرة ؟

ـ أبدا ٠٠ فى سباق الخيل يا استاذ ٠٠ عشرون قرشا فقط جاءتنى بسبعين جنيها ؟

وعلق محمود فى استخفاف :

ـ وغيرك ؟ كم خسر ؟

وقال عبد المجيد فى تهكم :

ـ كم خسر ؟ ما كنت أخسره أنا لو لم اربح ٠٠ العشرين قرشا ٠٠

كان قد أتم حلاقة ذقنه وترك مكانه لعبد المجيد الذى استطرد فى الحديث :

ـ غدا الاحد مثلا٠٠ لدى اسماء أربعة جياد فوزها مضمون ٠٠ لو انها ربحت لجاءت بثروة ٠ فاذا لم تربح كم تكون الخسارة عشرين قرشا ؟ ٠٠ خمسين ؟ ٠٠ هل هذا مبلغ يبكى عليه المرء ؟

ونظر الى عبد المجيد متسائلا :

ـ ستلعب عليها طبعا ؟

وأجاب عبد المجيد :

ـ بكل تأكيد .. مع ذلك فانى أعطيك اسماءها وعندما تربح اذكرنى بالخير ..

ومضى فى طريقه الى مكتبه وفى يده ورقة كتب عليها اسماء الجياد الاربعة .. وكم فكر خلال الساعة التى قضاها فى مكتبه فى تلك الورقة . بل لعله أخرجها أكثر من مرة وقرأ أسماء الجياد ، وعندما ذهب الى النادى سخط على ما قضاه من أيام يلعب النرد ويجرب حظه فى القروش وأنصاف القروش الوهمية التى كان يراهن بها أصدقاءه فى اللعب ، وسأل أحد أصدقائه وكان من المترددين على سباق الخيل عن الطريقة التى يراهن بها الناس ، وأعطاه صديقه عنوان مكتب للمراهنة وأوصاه أن يراهن على جياد أخرى ان أراد المراهنة ، ساخرا من فكرة احتمال فوز أحد الجياد الاربعة التى يحمل اسماءها ..

انه ليذكر ما داعبه من أحلام تلك الليلة .. لقد حلم أنه عثر على كنز ثمين فى صندوق من الذهب وانه اشترى لزوجته خديجة ثيابا فاخرة واشترى قصرا له حديقة غناء . وصحا من نومه وما زالت فى رأسه صورة من الحلم السعيد . صحا مبتهجا وارتدى ملابسه مسرعا وهرع الى دكان عم محمود .. كان الرجل قد فتح حانوته وأخذ يراقب صبيه وهو ينظف أثاثه وتلقاه محمود بالترحيب وسلسلة من التمنيات الطيبة ، ودعاه لكى يشاركه فى شاى الصباح ، ولكنه اعتذر بعمله ومد يده فى جيبه فأخرج الورقة وتحسس محفظة نقوده فتبين أنه نسيها فى البيت فمد يده بالورقة نعم محمود ، وسأل محمود فى حيرة وقد أمسك بالورقة :

ـ ماذا أفعل بها ؟ ..

قال ..

بخمسين قرشا تدفعها مناصفة . فلقد نسيت حافظة نقودى فى البيت ..

لقد نسيت حافظة نقودى فى البيت ..

وقال محمود ..

ـ لا عليك من نسيان الحافظة . لكنى أنا لا أراهن أبدا !!
ـ اذن ادفع خمسين قرشا وساعطيها لك بعد الظهر ؟
وحاول عم محمود أن يثنيه عن عزمه ، واساءهو انظن بهذه المحاولة .. ظنه يضن بهذا القرض الضئيل الذى سيرده اليه بعد ساعات . وسكت محمود على مضض ووعد بأن ينفذ له ما أراد ..

وجلس فى مساء اليوم التالى يتناول العشاء مع خديجة فى مطعم أنيق ويقص عليها ما حدث وقالت خديجة :
ـ أما كان يجدر بك وقد ربحت مائتين وخمسين جنيها أن تعطى لمحمود هذا جنيهين على الاقل ؟ ألم يقرضك ثمن تذكرة الرهان ؟
وأجابها محتدا :
ـ هذا رجل معتوه .. لقد كنت حائرا فى أمره منذ مدة أما اليوم فقد أدركت أنه مغفل كبير يرفس النعمة بقدميه .. لقد عرفت أن الجياد قد ربحت قبل أن أراه ومع ذلك فقد سألته ان كان يشاركنى فى التذكرة فرفض رفضا باتا وألححت عليه ممنيا اليه بالربح ولكنه رفض .. رفض المعتوه وقال فى حزم « ولو قلت لى أنها ربحت ألف جنيه وسألتنى بعد ذلك ان أشاركك الربح لرفضت أيضا . ! »
وسكت لحظة ونظر الى خديجه مستطردا :
ـ ان ما غاظنى من هذا المعتوه انه لم يبد أى اهتمام حتى بعد أن صارحته بأن التذكرة قد ربحت مائتين وخمسين جنيها بل قال فى برود « ربنا يكفيك شرهم » وحاولت أن أعطيه خمسة جنيهات فرفض وكاننى أمد يدى بجمرة من النار قائلا : « لا يا استاذ اعطنى الخمسين قرشا وغيرها لا اقبل مليما »
ان الايام لتمر سريعا .. خمسة ايام مرت كالحلم منذ ربح الرهان ويأتى يوم السبت ، ويتناول غداءه مسرعا ودون أن يخلع ثيابه ، وتسأله خديجة عن سر عجلته فيجيبها فى اقتضاب :
ـ حتى لا يفوتنى أول شوط لقد أعطانى عبد المجيد جوادين

مضمونين فى الشوط الاول ..

ويمضى الشوط الاول .. والثانى .. وتتابع الاشواط .. اشواط يوم السبت .. والاحد .. اشواط موسم السباق كله .. وينتقل الموسم الى الاسكندرية فيجرى خلف الجياد الى الاسكندرية .. ان بينه وبينها ثأرا .. انه يربح مرة ويخسر مرات .. يقول لنفسه كلما خسر مرة .. « اولم نربح مائتين وخمسين جنيها ؟ » يا لهمن جشع ان نفزع من خسارة قروش ! كان يمر بين اليوم واليوم ليحلق ذقنه مرة عند عم محمود ولكنه لم يجرؤ ان يحدثه بالمرة ، كان يجلس واجما .. وكان عم محمود يحلق له فى تقزز وكأنه يقوم بواجب ثقيل .. ثم قل تردده على عم محمود وأخذ يحلق فى صالون اخر .. صالون انيق لا يحس فيه ما يحس به من ضيق حين تهبط يد عم محمود بالموسى على ذقنه ..

وتعود الجياد الى القاهرة ويعود معها همه الى القاهرة ، وتتابع الجرى خلف حظه وامامه ولكنها لا تجرى مع هذا الحظ أبدا . وتقول خديجة ذات يوم وهى تغالب الدمع ؟

ـ أما آن لك أن تهدأ ؟ لقد اعدت للجياد ما ربحته منها .. وأعطيتها هناءنا وراحتنا .. الا تتركنا هذه الجياد الان ؟

ويسكت ولا يجيب فتعود خديجة وقد غلبها الدمع فاختلط نحيبها بصوتها الكسير .

ـ سخرت من عم محمود حين دعا الله ان يجنبك شر ما ربحت . الا ترى انه كان ينطق بالغيب ؟ اتريد ان نبيع متاعنا ؟ . لم يبق لديك مما ربحت ولا مما ادخرت شيء ! ..

وينتفض جسمه لخاطر يمر برأسه ، وعندما يمضى فى الطريق يحمد الله لان خديجة لم تعرف بعد .. لم تعرف انه ارتهن أغلى متاع لديها .. سوارها الذهبى الذى حملته معها من بيت أبيها ..

ويتملكه عزم قوى ان يستعيد السوار بأى ثمن ... ويجلس فى المساء الى مائدة الميسر فى أحد النوادى الليلية وقد عقد العزم على أن يستعيد السوار .. ويخرج مع ساعات الليل

الاخيرة الى الشوارع الساكنة وقد امتلأ رأسه بصرخات عاوية في ذل وكأنه كلب جريح لا يملك غير العواء ·· ولا يغمض له جفن حتى الصباح ···

وتبدأ مغامرته الاخيرة ذات يوم ·· وتنتهي عندما يتقدم منه رئيسه الطيب القلب باكيا بعد ذلك اليوم بشهور ··

ـ انت تفعل ذلك ؟ تسرق وتختلس وتزور ؟ لماذا فعلت ذلك ؟

ويبكي رئيسه الطيب القلب بدمع منهمر ، أما هو فلا يجد في مآقيه دمعة ·· لقد استحالت دموعه قطرات من اللهب تتساقط على قلبه ·

ويدوي في اذنيه الساعة وهو بين الصخور صوت وكيل النيابة وهو يسرد قائمة اتهامه · اختلس مالا ·· وزور أوراقا ·· وسرق مفتاح الخزانة من رئيسه واستولى على مبلغ ضخم مما فيها ··

كاد يصرخ اذ ذاك قائلا :

ـ فعلت ذلك لالعب بهذا المبلغ واسترد ما اختلست وأعيد ما سرقت وأفك عن سوار زوجتي خديجة المرهون ··

كاد يصرخ لولا أن رأى وجه خديجة المحتقن وقد جحظت عيناها وأتلفها الحزن ·· عند ذلك فقط عدل عن الكلام وسكت سكوت المقر بذنبه وتمنى على الله أن يؤمن القضاء بجرمه وان لا تنازعه فيه رأفة ··

وعندما نطق القاضي بالحكم كان ينظر الى وجه خديجة وعيناه غارقتان في الدموع ·· فما انتهى القاضي حتى هرعت خديجة اليه باكية ، أما هو فقد أدار وجهه · وكأنه أداره عن الحياة · وأدار وجهه عن الجياة فعلا منذ تلك اللحظة ··

ولم يعد الى الجياة الا اليوم حين سار في الركب يحدوه رنين السلاسل ·· عاد ليبدأها في طريق جديد لن يرى فيه وجه خديجة ·· ولن يسمع فيه صوت عم محمود ·· ذلك الرجل المعتوه الذي يبسم للحياة ويعب منها الراحة كما يعب من نارجيلته انفاس الدخان ··

وعلا صوت الجند بالعودة الى العمل · وقرقعت السلاسل وارتفعت المعاول وهوت الضربات على الصخر · ورن فى اذنه صوت الحارس وهو يزمجر ··

ـ انت يا مستجد ! انت نائم ؟ هل آتى لاوقظك ؟

ودفع معوله فى سرعة وخوف ·· وأخذ يحطم الصخر ·· الى الشرق !!

عنوان القصيد

لم يكن مجنـونا .. وانما
كان قد سئم منطق العقلاء ..
وتصرفات العقلاء ..

عندما تسير فى طريق الصحراء عند منتصف الليل وفى ليلة من ليالى الشتاء فأنت أحد ثلاثة ، اما عاشق يحمل عشيقته فى جوف السيارة ويبحث عن مكان لا تصل اليه أقدام رجل البوليس ، واما مسافر الى الاسكندرية يريد ان يدرك عملا فى الصباح ، واما مجنون يضرب فى الارض بغير هدف ! ..

وليس المجانين هم الذين يعملون أعمالا تشذ عن عرف الناس وانما هم أيضا هؤلاء الذين يتمتعون بحريتهم كما لا يتمتع الناس !

انه هو بلا شك واحد من هؤلاء ، لقد خرج من بيته فى الساعة الحادية عشرة ، بعد نصف ساعة من خروج سعدية .. نصف ساعة قضاها ممسكا بسماعة التليفون يعتذر لاخته عن اخلافه موعده معها وكانت قد دعته للغداء ظهر ذلك اليوم .. وكان فى منزله فى الساعة الواحدة ظهرا مرتديا ملابسه يتهيأ للذهاب الى الموعد حيث ملأت خياشيمه رائحة صنف لذيذ يحبه من الطعام فجرى نحو المطبخ فوجد الطباخ مشغولا بتذوق هذا الصنف .. فسأله لم يعد هذا الصنف ولمن يعده فأجابه بأنه هو الذى طلبه .. واذا به يتجه الى غرفته ويخلع ملابسه ويغمض عينيه لحظة كعادته كلما أراد ان يعدل عن تنفيذ أمر من الامور ، ثم يتجه الى غرفة المائدة ويتناول الغداء .. يأكل حتى يشبع فينهض من المائدة لكى يشرب سيجارته على الفراش وينام حتى السابعة موعده مع سعدية .. كل ذلك دون ان يفكر فى أن يعتذر لاخته عن موعد الغداء ، معتمدا على أنها تعرفه جيدا .. وهى تعرفه بلا شك ، الى الحد الذى يجعلها لا تغضب وتظل تترقب عودة التليفون الى الحياة لكى تعاتبه .. كما عاتبته مئات المرات وكما سوف تعاتبه دائما ..

مجنون !! حتى هى أخته تختم حديثها معه دائما بهذا الوصف الذى يحمل فى طياته كل اعتذار عن سخافاته . وما أكثر هذه السخافات ! .

مجنون ! .. يهبط فى الساعة الحادية عشرة فى ليلة من

ليالى الشتاء الباردة فيخرج السيارة من « الجاراج » وينطلق بها فى سرعة وكأنه كان صادقا حين قال لاخته فى التليفون منذ لحظة انه على موعد هام فى الجيزة ، ولكنه لا يقف عند الجيزة وانما يمضى فى شارع الاهرام ثم ينحرف فى طريق الصحراء نحو الاسكندرية ويوغل فى الطريق مسافة بعيدة ثم يتوقف عند المنعطف المرتفع وينزل من السيارة ويقف على حافة المرتفع ثم يملأ رئتيه بالهواء البارد فى ارتياح وكأنه يعب من نسيم ربيع ضوعته رائحة الزهر ..

وينفث الهواء بعد أن يدفئه كأنه ينفث دخان لفافة من التبغ الجيد فى رضا وغبطة ..

مجنون !! من رآه على هذه الحالة لاقسم أنه مجنون . ومن سبر أغوار نفسه وهو فى موقفه هذا وعرف اين تذهب خواطره الساعة لادرك أنه مجنون يفترض أغرب الخيالات ، ثم لا تلبث خيالاته التى يفرضها أن تخرج حديثا فى جوف الليل البارد .. حديثا هامسا وكأنه يحدث أشباحا تنصت للحديث ..

ـ تجربة بديعة .. لقد نجحت .. ليس الموت كريها كما يزعمون ..

وكأن الاشباح تسأله فهو يجيب :

ـ لم لم أذهب الى انقرافة نفسها ؟ .. لسبب بسيط هو أنى حى فعلا . وربما خفت .. حى بين الاموات ، هنا قفر وهناك قفر وظلام وظلام ، وبعد عن الحياة وبعد عن الحياة .. الفارق الوحيد هو أنى حى .. فاذا متنا يا نفس فلن يجدعلينا شىء .. لا شك أن التجربة قد نجحت فلنعد الان الى عالم الاحياء !

وينطلق ثانيا بأقصى سرعة تستطيعها السيارة ، ينطلق الى داره ويندفع الى غرفة مكتبه ليفتح كتاب مذكراته ويكتب ..

« الليلة فى الساعة الحادية عشرة خرجت من دارى وذهبت الى مكان ناء فى جوف الصحراء يغمره الظلام وتلتطم فيه ريح الليل الباردة فى أشد ليالى الشتاء زمهريرا .. مكان خلا من الحياة حتى أحسست فيه كل ما فى العدم من برودة وجفاف ..

واستنشقت أنفاسا من هوائه لاعرف كيف يكون طعم الموت ، فآمنت بأن الموت ليس شيئا كريها كمايزعمون ،لو ان الانسان قد ضمن بين قبور انداده مثل هذا الهدوء والامن الذى أحسسته فى جوف الصحراء ٠ أكبر كارثة تحدث لنا لو ان الناس يحتفظون ببعض صفاتهم بعد الموت ٠٠ اذن لانقلب العدم جحيما ٠٠ أقصد دنيا ثانية !

ويغلق المجنون مذكراته وينام ٠٠

وليس صحيحا أن تكون تصرفات المجانين دائما عفو الخاطر ودون مبرر وبلا مناسبة ، وليس صحيحا كذلك بالنسبة لصاحبنا ان يوصف بالشذوذ المطلق ، انه شاذ فعلا ، ولكن هناك منطقا يربط بين تصرفاته ، فى تصرفه مع أخته مثلا كان هناك منطق ، وفى رحلته الغريبة بالليل كان هناك منطق ولنصطلح على تسمية منطقه هذا بمنطق المجانين ، كما يسميه هو نفسه كلما ألح عليه انسان بالعتاب ٠ انه يقول دائما ٠٠

« سئمت منطق العقلاء ٠٠ وانا الان مرتاح جدا لمنطقى الجديد ، منطق المجانين »

ولنعد الى حوادث يومه لنرى خلالها منطقه العجيب ، ان أخته مثلا تدعوه للغداء مرتين تقريبا كل اسبوع ، وفى كل مرة تدعوه تنسى أنها دعت شقيقها وحده ، فتعد طعاما يكفى عشرة وحوش مفترسة قد جاعت اسبوعا كاملا ، وآية البر بالاخ عندها أن يأكل الاخ كما تأكل عشرة وحوش مفترسة ، لانه مسكين يعيش وحده ويسىء الطباخ تغذيته ، وحجتها الدائمة أن الطعام لا يضر أحدا حتى زوجها ٠٠ زوجها البدين الذى يأكل وكأن له فى كل شريان معدة قائمة بذاتها تهضم الطعام وكرش احتياطى للاحتفاظ بما يزيد عن الحاجة ، ان زوج اخته هذا لم يشك مرضا طوال حياته ، الا مرض ضيق الملابس الذى يعتريه كل شهر تقريبا ٠٠

فى هذا اليوم بالذات كان هو يشكو ألم الامعاء الذى يعاوده بين الحين والاخر ومع ذلك فقد تناسى آلامه حين ملأت خياشيمه رائحة طبق الخرشوف ذى الصلصلة البيضاء ٠ الخرشوف الذى

أوصاه طبيبه بأن يأكله فكان أول طبيب يصف طعاما يحبه المريض ، ولذلك آثر السلامة وفر من المعركة ، معركة الطعام عند اخته التى تخسر فيها معدته دائما بعد ان ترغم على احتمال كل الجولات ، ولم يتكلم بالتليفون لانه يؤمن ايمانا تاما تؤيده شواهد الماضى أنه أضعف من أن يقاوم توسلات اخته · وكم من مرة هزمت ارادته امام هذه التوسلات ، ولقد رفع سماعة التليفون طوال الساعات الثلاث التى قضتها سعدية معه لانه كان يعرف غرام سعدية بتفتيش جيوبه والعبث بأوراقه وكثرة استلطافها لحاجاته الخاصة ولم يكن هناك فرصة لتعبث بحجرته أكثر من تلك التى تسنح لو انه نهض الى غرفة مكتبه ليرد على التليفون ، وثرثر مع أخته كعادتهما ·· تلك الثرثرة التى تطول أحيانا أكثر من نصف ساعة ، وبقى بعد ذلك ان جرس التليفون يحلو له دائما أن يزعجه خلال جلساته الخاصة ، ولذلك كان يؤثر دائما كلما زاره صديق او صديقة ان يرفع سماعة التليفون ··

أما رحلة المساء فقد بدأت قصتها فى صباح ذلك اليوم نفسه حين فتح صحيفة الصباح فصدمه نعى صديقه « م » ··· ذلك الشاب المرح الفياض بالحياة والبهجة والذى كانت حياته أبعد ما تكون عن السكون والموت · ان « م » لم يمرض ولم يشك ·· كان معه بالامس الى الساعة الثامنة مساء وغادره ليذهب للقاء بعض أصدقائه ولمشاهدة احدى روايات السينما ·· وعندما أمسك بالتليفون ليستفسر عما حدث اجابته زوجته الغارقة فى المصاب بأنه ذهب الى السينما بعد أن تعشى ولكنه أحس بألم فنقلوه من السينما وصعدت روحه الى الله بينما كان جسده يهبط درج السلم ·· تعشى كالاحياء وتخلت معدته عن عملية الهضم لدود القبر ! ما أفظع ذلك !

ولعل ذلك كان سببا ، لا يدريه هو ، فى أن يؤثر طبق الخرشوف المسلوق على أطباق أخته الدسمة ·· ليست انسينما أمرا ضروريا لكى يموت الانسان اثر اكلة !

ومع ذلك فقد حزن على « م » وجره الحزن عليه الى تخيل

الموت لا حقيقة واقعة فحسب وانما حقيقة سهلة .. واذا كان الناس لا ينتقلون من دار الى دار ، فى الحياة الدنيا ، دون أن يعاينوا الدار الجديدة ويتبينوا ما سوف يحسونه بين جدرانها من راحة وأمن ، فمن العقل والمنطق ، أن يعاين هو الدار التى سيسكنها بعد عمر من التصعب الحكم على مدى طوله بعداختراع السكتة القلبية ، المرض الذى لا يحمل أى مخترع من مخترعات جيلنا السعيد طابع السرعة مثله ..

انه ليس خيرا من « م » ، وفرص الاكلات الدسمة أمامه أوسع ، لذلك تخيل انه تغدى عند اخته .. ثم شرب بضع كؤوس مع سعدية ، ثم وافته المنية فانتقل فى تلك الليلة الباردة الى انذار الاخرة ، فذهب الى ما يشبه الدار الاخرة .. الصحراء فى جوف الليل البارد والهواء يعصف والكائنات رمل وحصى وأشباح تصنعها دوامات الهواء ، والاصوات همهمة أرواح عابرة فى الجو ! هل تكون الدار التى ستضم جسده غير هذه ؟

وعاد مطمئن النفس قرير العين وخط بيده فى مذكراته اقرارا بأنه لا يخشى الموت ، ونام ملء جفنه يحلم بالحياة . واستيقظ فى الصباح ليعاود سخافاته من جديد ..

ولكن سخافة هذا اليوم فاقت فى غرابتها كل ما صنع منذ سنين .. حتى لتقرب أن تكون تصرف عقلاء .

فاجأه جرس التليفون وهو يزدرد طعام افطاره المتواضع .. كسرات الخبز المحمص فى كوب اللبن وفنجان القهوة الكبير .

ورفع السماعة وسمع صوت سعدية تسأله ما سوف يفعل فى يومه وفى صوتها مظهر الاضطراب والاهتمام .. ومنذ بضعة شهور عرف سعدية وعرف معها حاجتها الدائمة الى المال ووسائلها الطريفة للحصول عليه .. وليس الشوق الذى يدفعها لمحادثته فى الصباح الباكر ، ولن ينقذه من يومه الا الاعتذار بالغياب عن البيت والقاهرة بأكملها ان استطاع ..

وأجاب سعدية على الفور انه مسافر بعد ساعة .. وقالت سعدية :

ـ الى أين ؟ ..

وأوشك أن يقول متأثرا بالليلة الماضية ، الى الدار الاخرة، لولا ان قالت سعدية مستدركة ؟

ـ رايح العزبة ؟

وأحس بالخطر الذى توقعه .. وترجمت خواطره العزبة الى المزروعات ، والمزروعات الى ايجار ، والايجار الى مال .. وأخيرا وصل الى سعدية .. وقال دون ان يدرك ما يقول :

ـ لا أبدا . عمى توفى بالاسكندرية وسأسافر اليوم وقد أمكث بضعة أيام ..

وكانت أمامه صحيفة الصباح فقلبها بسرعة ووضع عينيه على صحيفة الوفيات ليتخير عمه من بين الراحلين .. ولحسن الحظ وجد وجيها اسكندرانيا بين الموتى .. وتحفز لجواب السؤال القادم .. ستسأل هى «مكتوب فى الجرنال» فيجيبها بسرعة ويتأثر .. « أى نعم فى راس العمود الثانى » .. ثم تقول : ولكن اسمك غير موجود .. فيقول بنفس التأثر ... « كان بين أبى وبين عمى خلاف وقد محا الموت أسباب العداوة » ..

ولم تسأل سعدية ، وانما عزته فى رقة وأغلقت التليفون لتعطيه الفرصة للبكاء .. وازدرد هو بقية طعامه واحتسى فنجان القهوة وارتدى ملابسه بسرعة وطوى أحد بيجاماته وفوطة وجه وآنة الحلاقة ووضعها فى حقيبته الصغيرة ونادى خادمه لكى ينبئه أنه سيسافر ويعود بعد يوم او يومين .

وكان الخادم ، كسعدية ، يؤثر معرفة الاسرار بيده لا بلسانه .. فلم يسأله الى اين ، وانما اكتفى بأن يتمنى له سلامة السفر والعودة فى صوت عال ، بينما تمنى على الله فى صوت منخفض أن تطول الرحلة .. ان بيوت العزاب أخصب عش غرام للخدم المتزوجين !

وحمل الحقيبة ومضى يضرب فى الطريق وسأل نفسه الى أين ؟ وقال عقله ، عقل المجنون :

ـ تذهب الى الاسكندرية لتقدم واجب العزاء فى عمنا الحنون.

.. انى أحب الصدق كما تعلم ! ..

وقال لعقله :

ـ وكما تعلم انت ليس لنا عم مات بالاسكندرية ؟

ـ فلم لا يكون نصف الصدق .. نذهب الى الاسكندرية ، اليس جميلا أن نرى الاسكندرية فى الشتاء ؟

ووجد نفسه فى المحطة وأمام شباك التذاكر ويده ممدودة بالنقود .. ساهما كأنه لا يعرف اين يذهب وصاح عامل التذاكر :

ـ افندم .. ؟

وأجابه طالبا تذكرة لاسكندرية وصاح العامل مرة ثانية

ـ اولى او ثانية ؟

وفتح فمه ليجيب لكنه لمح ساعدا ابيض كأنه ذراع تمثال من المرمر يمتد امام عينيه ويناول العامل ورقتين من فئة الجنيه قائلا :

ـ تذكرة اولى لاسكندرية من فضلك

واجاب عندئذ :

ـ وانا كمان ... تذكرة اولى لاسكندرية

وصوب وجهه من الساعد الى الكتف ليرى الوجه والعينين، .. عينين ترمقانه فى غضب لطريقته فى طلب تذكرة السفر ونظرته الجريئة ، وضحكته البلهاء .

وكانت ضحكته البلهاء احدى سخافاته ايضا .. يطلقها دائما فى وجه كل امرأة ينظر اليها .. ليست ابتسامة الذى يرى شيئا لطيفا ، ولكنها ضحكة الذى يرى شيئا يثير الضحك

وانسحبت صاحبة اليد مسرعة وتكاسل هو برهة احصى خلالها باقى النقود الذى رده اليه عامل التذاكر .. وسار بجوار القطار واخذ ينظر من نوافذه ليرى اين تجلس ، فأعياه البحث واخيرا وجد مقصورة خالية فاسرع اليها ، وجلس يطالع صحيفة الصباح ولفت نظره من جديد نعى ذلك الشخص الذى قرر أن يصطنعه عما لينقذ نفسه من سعدية .. وقرأ النعى بتأن وعناية فعرف ان لهذا العم الذى مات أقارب منهم أطباء

ومحامون .. ومنهم ايضا احد زملائه فى الكلية واصدقائه بعد التخرج ، صديق كل الفرق بينه وبينه انه هو اثر ان يشتغل بالقراءة ـ حتى لا يزيد ثروته .. بينما اشتغل هذا الصديق بالمحاماه .. لسوف تكون مجاملة لذيذة عندما يذهب الى مأتم عمه .. فيعزى الصديق .

وكان يوشك أن يقرأ عنوان البيت حيث يقام السرادق ، حين صدمته قدم تفسح لنفسها الطريق .. ورفع رأسه ورآها تجلس فى المقعد المقابل دون ان تنظر اليه ، بل لعلها نظرت اليه وعرفته ولهذا اتخذت هذا التصرف الجاف ..

وجلست وفتحت كتابا واخذت تتصفحه دون ان تتغير ملامح وجهها الجافة .. وقال متحديا ومتصنعا الجد :

ـ عندما يصدم الناس المهذبون اقدام غيرهم يعتذرون .. خصوصا اذا كان المصدومة قدمه مثلى .. غارقا فى الصدمات!

وتصنع التأثر .. ولم ترفع راسها عن الكتاب .. ومرت فترة قال بعدها :

ـ صدمتان فى اليوم الواحد . هذا لا يحتمل !!

ورفعت رأسها ببطء وقالت ووجهها محتفظ بتجهمه :

ـ لا تعنى بالطبع وقفتك انسخيفة فى شباك التذاكر .لقد مددت يدى بلطف . .

وقال على الفور :

ـ بلطف ورشاقة .. لا يمكن ان تعد هذه صدمه ..لااعنى ذلك مطلقا .. قد اكون وقفت بسخافة كما تقولين ، لكن لو عرفت اى تعس انا منذ هذا الصباح لالتمست لى العذر.. تصورى انسانا يفقد عمه الحبيب فى غمضة عين ؟؟

ورفعت رأسها وقد عرتها الدهشة .

ـ انت ايضا ؟ مات نك عم ؟ اليوم ؟

ـ اجل .. وفى الاسكندرية . تصورى ! . عمى الذى ربانى بعد ابى .. ابر انسان بى فى هذا الوجود .. يموت دون ان اراه . كان فى احسن صحة .. حتى اول امس كان يحدثنى بالتليفون ثم .. اقرئى .. لا أكاد أصدق عينى ..دعينى اسمع

لربما صدقت ٠

وتناولت الصحيفة من يده حيث يشير ٠٠ ورأت النعى فرفعت رأسها الى وجهه وقد مرت بشفتيها حركة عصبية :

ـ التمس منك خدمة ٠٠ اقرئى لى الخبر ٠٠ النعى فقط ٠ هل صحيح انه مات ٠٠ وتناولت الصحيفة وقالت فى اسى :

ـ معذرة اذا اصبت بالجنون ٠٠ لكن البقية فى حياتك ٠٠ هذا هو حال الدنيا ٠

وتريد ان تعود الى كتابها لولا أن يستمر هو فى الحديث ٠ ويتحدث عن عمه الحبيب ويمضى فى الذكريات وكأنه يقرأ فى كتاب ٠٠ يسعفه خياله بصور عشرات الحوادث ، حوادث البر والاشفاق والحنان التى لم تحدث له فينسبها لعمه ٠ ٠ وتستمع هى لهذا الحديث وتفهم منه انه فلان ٠٠ المحامى الذى ورد اسمه فى النعى قبل كل الاسماء ٠٠ احب ابناء الاخ الى المتوفى ٠٠ ويقف الحديث الحزين وتبدأ احاديث اخرى تبدأ من عنوان الكتاب الذى تقرأه هى ويتشعب نحو عشرات الكتب والكتاب ٠٠ وينسى هو عمه المائت وتنسى هى ان له عما قد مات ، ويتضاحكان اكثر من مرة ويمضى الوقت سريعا ويصل القطار الى الاسكندرية وينزلان سويا حتى باب الخروج ويقول وقد عاود الظهور بمظهر من فقد عمه منذ ساعات ٠

ـ الى اين تذهبين ٠ ٠ربما استطيع توصيلك ؟

وتقول له عنوانا ولكنها تعتذر له عن ظروفه قائلة فى اغراء:

ـ لكنك ربما لا تسلك نفس الطريق ٠٠ ثم انك مضطر للذهاب لمنزل عمك ٠٠

ويقاطعها ملحا وفى اصرار :

ـ انك فى نفس طريقى تفضلى ٠٠

وينادى سيارة ، وتركب هى اولا ٠٠ ويلحظ ان متاعها كمتاعه تماما ، مجرد حقيبة صغيرة ، فيحاول ان يحملها ولكنها تقول متضاحكة :

ـ انك تحمل هموما فضلا عن حقيبتك

وتسير السيارة بعد ان تلقى بالعنوان للسائق ، وتميل السيارة يمينا ويسارا وتنحرف الى شارع ضيق وتقف فجأة، ولا يحاول هو ان ينظر الى ما حواليه وانما ينظر الى وجهها الضاحك فى بلاهة كوجهه تماما .. هل نسيت انه حزين . وتجمع حقيبتها ومجلاتها ويحاول ان يسبقها للنزول فترده قائلة :

ـ لا .. ربما رآك احد .

وتمد يدها لتصافحه بينما تهبط من السيارة قائلة :

ـ ربما رآك اولاد عمك .. انه كما ترى ، منزل عمك ! ! رحمه الله ، انه عمى ايضا ؟

وتهرول نحو الباب ويحملق هو فيرى حركة فى الشارع . وسرادقا ينصب، ويرى أقدامها تخطر صاعدة السلم حتى تختفى وتبدو غيرها هابطة ..

ويتنبه هو فيفتح الصحيفة ويقرأ مرة اخرى نعى العم الحبيب حتى يصل الى العنوان .. ويتبين كيف فاته ان يعرف اين مات عمه ومن اين يشيع جثمانه العزيز .. ولو انه قرأ لاختار عما اخر ..

فى طريقه الى القاهرة لا يكاد يصل الى طنطا حتى يهبط من القطار مسرعا الى مكتب التلغراف ليبعث ببرقية لصديقه ابن العم العزيز .. ابن العم الحقيقى يعزيه فى مصابه .. ببرقية يبدؤها قائلا : « اعزيكم .. » ثم يخطر له تعبير ادق فيمزق البرقية الاولى ويبدأ الثانية هكذا . « اعزيكم والاسرة فردا فردا .. » ويستمر فى الكتابة حتى يملأ صفحة البرقية بعبارات الرحمة والعزاء وعندما يصعد الى القطار مرة ثانية يقول لعقله المجنون .

ـ اظننا قد عزينا فاحسنا العزاء .. كانت هذه رغبتك .. هل امنت الان بأن منطقك هو منطق المجانين . ؟ويرتمى عقله فى اعياء .

ويقرأ هو من جديد خبر النعى فى رأس العمود الثانى من صحيفة الصباح ويقف بصره لحظة .. عند عنوان الفقيد . !!

الجواد الذى خسر

كان فى الميدان كالجـــواد
العجـــوز لم يكـد يســير
خطوات .. حتى لهث !!

المقدمة القصيرة التى تسبق هذه القصة هى انه كان صديقا للسيدة افكار منذ خمسة عشر عاما ٠٠ وقد نشأت صداقتهما فى وقت كانت فيه افكار غانية حسناء يتهافت على جمالها عشرات الشبان الاغنياء والصعاليك على حد سواء ٠

وكان احسن ما تميزت به افكار هو قدرتها العجيبة على الاحتفاظ بالمعجبين بهاوترتيبهم حسب أهميتهم بحيث لايحس واحد منهم ان هناك سواه فى افق حياتها ٠٠ هذا فيما يختص بالاغنياء ٠

اما الصعاليك فكانت افكار حريصة عليهم ايضا ٠٠حريصة على ان تبقى ما بينها وبينهم من مودة مع تعديل بسيط كانت تجريه بنفسها ٠

كان كل منهم يبدأ عاشقا متيما مشبوب العواطف وينتهى صديقا هادئا ٠٠ صديقا فخورا بانه موضع سر افكار ومستشارها الامين ٠

وكانت افكار تبتكر المشاكل والمتاعب ٠٠ المشاكل والمتاعب الوهمية لكل من هؤلاء الاصدقاء ٠٠ فاذا ما اختلت بواحد منهم فتحت له صدرها وقلبها واخذت تبسط له مشاكلها ومتاعبها طالبة اليه النصح والرأى لانه ـ اى واحد منهم ـ موضع سرها وليس لها غيره تسأله الرأى ٠٠

وكان هو احد هؤلاء ٠٠ الصعاليك ٠٠

عندما عرفها كان طالبا بالسنة النهائية بكلية التجارة ،ولم يكن وحده بل كانوا ثلاثة وقعوا فى هواها دفعة واحدة وفى يوم واحد ٠ احدهم شاعر والثانى رسام وهو ثالثهم ٠٠ وكانت الليلة عيد ميلاد افكار وقد دعاهم صديق من زملاء الدراسة الاغنياء ٠٠ كان يقوم بدور الممول فى حياة افكار اذ ذاك ٠ ٠

وقدمهم هذا الصديق اليها ٠٠ قدم اليها الشاعر قائلا وهو يضحك :

ـ هاك واحدا أقدر منى على وصف جمالك ٠٠ ثم قدم اليها

الرسام قائلا :

ـ اذا اردت صورة تنكرية فعليك ان تجلسى امامه بضع ساعات

ثم قدمه هو .. باسمه مجردا ..

ونظرت الى الشاعر وقالت :

ايمكن ان يكون فى الحياة اجمل من قصيدة رائعة ؟ اننى اعبد الشعر ثم عطفت على الرسام وقالت :

ـ كانت امنية حياتى ان اصبح رسامه

ثم نظرت اليه هو فى حنان وقالت :

ـ لا ادرى ... ولكن فى وجهك شىء اعرفه .. انك لست غريبا عنى .

وانتهت حفلة عيد الميلاد وخرجوا ثلاثتهم وساروا على النيل ساعة ونصف ساعة حتى ظهرت خيوط الفجر ..

وكان حديثهم الثلاثة ... عن افكار .

ولم يمض اسبوع حتى كان الشاعر قد نظم فيها اكثر من قصيدة وحتى كان الرسام قد بدأ يرسمها .. وحتى كان هو قد ادخر ثمن صندوق فاخر من انحلوى قدمه اليها ..

وما زال الشاعر صديقا لها حتى اليوم ينظم فى كل عيد من اعياد ميلادها قصيدة .. والرسام .. على كل جدار من جدران دارها تجد اثرا من اثاره وان كان هو قد هجر مصر واقام فى اوروبا .

أما هو فما كان يمر شهر الا ويزورها ليشرب بصحبتها فنجانا من القهوة ويثرثر معها فى شتى الموضوعات .. حتى كثرت شواغله وزادت اعماله فاصبح يراها بين الحين والحين والصداقة باقية .

هذه هى المقدمة القصيرة للقصة .. وهى قصيرة فى حساب الصفحات طويلة فى حساب الزمان .

لقد سلخت هذه المقدمة خمسة عشر عاما .. ان لكل مقدمة حواشى وهوامش .. الهامش الوحيد الذى يهم فى قصته هو انه كان لافكار ابنة ولدتها قبل أن يعرفها هو وأصدقاؤها

وعشاقها جميعا ولم تظهر الا منذ سنوات قليلة · عندما استقرت افكار فى الفيلا الانيقة التى بنتها على شاطىء النيل·

وهو يذكر اول مرة رأى فيها ابنة افكار · كان يزورها كعادته فاذا بها تنادى سامية ·· ودخلت سامية ، صبية فى العاشرة او الثانية عشرة على أكثر تقدير ·· دخلت فحيته فى حياء · ولم يكن بحاجة ليعرف انها قريبة لافكار فقد كانت فى وجهها صورة من افكار يتدفق منها جمال الطفولة المتأخرة ولكنه فوجىء حين قالت افكار ·

ـ سامية ·· بنتى ·· لعلك لم ترها من قبل ·· وعرف انها ابنتها وليست قريبتها فحسب ·· وعرف ايضا انها كانت عند ابيها طوال طفولتها ولكنه لم يعرف لم جاءت لتقيم مع امها وقد كان المعقول ان تقضى طفولتها مع امها ثم تذهب لابيها عندما تكبر ·

لقد رأى ساميه بعد ذلك مرارا ولكنه ما اعارها من التفاته اكثر مما يعير طفله او حيوانا صغيرا اليفا فى المنزل ··

ان ساميه هى الهامش الوحيد الذى يقفز من مقدمة القصة ليتوسط المنظر الاول فيها ·· ولولا انه يحتفظ لنفسه بالدور الاول لكانت البطلة ·

ولندخل توا فى القصة ولنجلس معه هو وساميه فى شرفة الفيلا ·· عصر احد الايام من شهر مايو عام ١٩٤٩ ··

ولنسأله لم جاء اليوم ·· ولم يجلس مع ساميه ؟ واين افكار؟ انه يقول :

ـ ما دار بخلدى قط ان آتى الى دار افكار اليوم ولكن ساميه هى التى دعتنى ·

وهو يحس بتشككنا فى صدق كلامه فيقول :

ـ اجل ·· ساميه هى التى دعتنى لقد سافرت افكار الى لبنان مع زوجها الجديد منذ ايام وكنت قد لقيتها هى وساميه فى احد المتاجر قبل سفرها بايام فاوصتنى بساميه وطلبت الى ان ازورها لاطمئن على احوالها ·

ولم احاول ان اتصل بها او اسأل عن صحتها ، حتى كان

ضحى اليوم وكنت جالسا الى مكتبى ودق جرس التليفون ·· اخر مخلوق كنت اتوقع صوته هو ساميه ·· بل انى لم اعرف اولا صوت المتكلم ، وكانت هى تعاتبنى لانى نسيت وعدى لامها ·

ـ فقلت لها ساتى اليوم ·· لم اقل شيئا ·· هى التى قالت ·· فإنت انها تريدنى لامر هام ، وسألتنى ماذا افعل اليوم فقلت لا شيء فطلبت منى ان ازورها ان امكننى بعد الظهر ·· وما المانع ؟ فتاة فى سن الثامنة عشرة لو انى تزوجت لانجبت مثلها !

ومررت على جروبى فاشتريت قليلا من الحلوى وجئت لازورها وهأنذا اجلس اليها كما يجلس الاب الى ابنته ·

ذلك صحيح ··

كان فعلا يجلس اليها كما يجلس الاب الى ابنته ·· وكان ينظر اليها ولنطاوعه الان ·· نظرات اب شفيق الى ابنة رائعة الصبا · بل لعله احس بالاسى لانه لم يتزوج فى سن مبكرة لتكون له ابنة مثل ساميه بهاء ونضارة ·

وقد يكون لمس يديها اكثر من مرة ، وقد يكون ربت على خدها اكثر من مرة ، ولكنه مع ذلك ، كما يقول ، لم يحس بها غير فتاة فى سن ابنته ·حتى نهض لينصرف ··

وكان الليل قد بدأ يرخى سدوله فى رفق ·· وكانت اضواء الشارع تعكس ظلا باهتا على الشرفة ونم تكن ساميه قد أضاءت النور ، وقالت سامية :

ـ اتنصرف الى موعد ؟

وأجاب :

ـ أبدا · سأتسكع حتى يحين موعد السينما ··

ـ أى سينما تقصد ·

ـ لا اعرف بعد ··

ومرت فترة وقالت سامية :

ـ هل تصطحبنى فى نزهة قصيرة ؟ · انى لا أجرؤ على الخروج وحدى ووجد نفسه معها يوغلان بالسيارة فى طريق الصحراء ·

وبدت انوار المطار ·· مطار فاروق ·· من بعيد ··وكانت سامية تثرثر فى شتى الموضوعات وكان هو ينصت وقد وضع يده ·· عفوا حول كتفها ·

ولندعه يمضى فى طريقه ·· لو سألناه شيئا الان لانكر ·· ومن حقه ان ينكر فالقصة ما زالت غامضة الخطوط··غموض افكاره السابحة فى شتى الخواطر القلقة ··

لندعه حتى يصل الى المقهى المنعزل وحتى يجلس هووسامية فى احد اركانه يحتسيان عصير الفاكهة ·· بل لندعه حتى ينهضا ويعودا الى السيارة ·· ويقفلان راجعين ·

عادت يده تلتف حول كتفيها ·· وعادت هى الى الثرثرة · وفجأة تساله · ·ولنلاحظ ان يده ما زالت تحنو على كتفيها كأب شفيق :

ـ كيف كنت تراني قبل اليوم ؟

ويجيبها فى بساطة :

ـ كما اراك اليوم زهرة ناضرة جديرة بالاعجاب ·

وتعود الى السؤال :

ـ الاعجاب فقط ·· الا اثير شيئا غير الاعجاب ؟

ـ هل هناك اكثر من الاعجاب ؟

ـ الحب ، مثلا ؟

وفى سرعة تنسحب يده ·· من حول كتفها ويعتدل فى جلسته كأنما رأى خطرا فى طريق السيارة ، ثم يجيب :

ـ قطعا تثيرين الحب ·· لكن عند من فى مثل سنك شبابا ونضارة وتساله وهى تضحك :

ـ لماذا سحبت يدك هكذا ؟

ولا يجيب ·· ولكنه يعيد يده فى تراخ وتقترب هى قليلا ويحس جسدها دافئا الى جواره ·

ولننصفه فنقول انه حاول ان يتزحزح قليلا ليجعل بينها وبينه فراغا · ولننصفه مرة ثانية فقد وقف موقفا مشرفا حين هبطت من السيارة وقالت :

ـ متى سأراك ؟

انه اجابها فى حزم كما يقول :
ـ انت تعلمين ان شواغلى كثيرة ٠٠ اذااحتجت لشىء فاتصلى بى بالتليفون وسوف اطمئن عليك من حين الى حين
ولكنها لا تدعه يمضى حتى تطلب اليه امرا
ـ الا تقبلنى قبلة المساء ؟
وتستطرد ضاحكة ٠
ـ الا تقبل ابنتك
ويطبع قبلة مرتعشة على جبينها ٠٠ ثم يطلق العنان لسيارته ٠
ولو سألناه الان فيم يفكر لانكر ٠٠ أنكر أنه كان يفكر فى سامية ولن نستطيع أن نصل الى أفكاره ٠٠ انه سيزعم انه لا يفكر فيها ٠٠ هذه الطفلة ٠٠ ولكن شفتيه مع ذلك تهمسان ٠٠ وهو وحيد فى السيارة
ـ هذه الطفلة ! ماذا تريد ؟ آه لو سألناه الان ماذا يعنى ٠ انه لن يستطيع الجواب ٠٠ واذا أجاب فهو يقول
ـ وماذا أعنى ؟ لا شىء طبعا لا أعرف ماذا أعنى ٠٠ اننى أسأل ماذا تعنى هى هذه الطفلة ٠٠٠٠
هل ٠ ؟
ولكنه لا يتم السؤال بل يصيح فى غضب
هذا سخف ٠٠ سخف ٠٠ معقول أن أغازل أمها ٠٠ أما هى بنت الثامنة عشرة فطفلة ٠٠٠
ويدرك شيئا فيستدرك
ـ لكن ما هى الثامنة عشرة بالضبط وما هى الاربعون التى أحملها ، ويكون قد وصل الى داره وفى رأسه عشرات الخواطر التى لا يستطيع أن ينكرها وان استنكرها ٠٠
استنكرها كما استنكر فى الصباح تصرفه الاحمق حين طلبها بالتليفون ليسألها عن صحتها وليطمئن عليها وكانت النتيجة ٠٠٠
كانت النتيجة أن واعدها على اللقاء فى المساء ٠٠
ومع ذلك ، مع أنه هو الذى طلبها بالتليفون فهو ينكر انه سعى الى موعد معها ، ينكره مقسما أغلظ الايمان ٠٠

ـ أقسم ما فكرت فى موعد ولا كان فى بالى أن ألقاها لكنها هى .. هى التى أخرجتنى .. سألتها عن صحتها فاذا بها تجيبنى
ـ كل شىء على ما يرام .. لم يضـــايقنى الا أنك تركتنى مبكرا والا خوفى من ألا أراك قريبا ..
وأجبت كالابله
ـ ولم لا ؟
فاذا بها تقول .. متى أراك ؟ .. اليوم ؟ ... غدا .. ؟
وأجبت بالجواب انطبيعى
ـ كما تريدين !
ـ اليوم .. هل تأخذنى للسينما .. او الى ذلـك الركن الهادىء الجميل ؟
ألم أقل أنى كنت ابله ؟
أقسم انى ما فكرت فى لقائها .. ولاحتى فى طلبها بالتليفون ... لكن الذى حصل ... الذى حصل ... ويسكت
يسكت لانه لا يعرف تفسيرا لما حصل .. التفسير الوحيد هو انه زارها بعدئذ ثلاث مرات ..
وفى كل مرة خطت العلاقة بين الاب والبنت التى فى سن ابنته خطوة الى الامام ..
فى المرة الاولى قال لها فى أثناء حديثه معها
ـ اننى أحس بسعادة حين أكون معك
وأجابته وهى تضحك
ـ سعادة الاب حين يحتضن ابنته ..
وفى المرة الثانية لم يقل لها شيئا ولكنها هى التى قالت له فى ضيق:
ـ لماذا تصر على خداع نفسك حتى الان ؟ ألا ترى ان مسألة الابوة هذه أصبحت مضحكة انت لا تفعل هذا مثلا مع ابنتك .. وهذا الذى أشارت اليه هو قبلة آثمه طبعها على خدهـــا الايمن وهو يراقصها على نغمات لحن حالم ..
انه لم يرد عليها ولكنه ضمها بشدة الى صدره وكان صمته تسليما بأنه تخلى الى الابد عن لقب أب
أما فى المرة الثالثة فقد بدا صراحة فى ثياب العاشق وفى

حديث العاشق .. في هذه المرة لم يكن ثمة انكار ولا استنكار .. ولا تمنع . بل كان هناك تمنع .. كذلك الذى يبـــذله الطفيلى اذا دعوته على الغذاء واذا كان هو متهافتا على دعوتك تمنع خير منه قبول الدعوة فى امتنان ـ لقد قالت له

ـ هل فكرت يوما فى اننا سنصبح هكذا ؟

وأجابها حائرا

ـ صراحة لم أفكر من قبل .. ولكننى أفكر الان وأفكر جديا ..

ـ وما رأيك .. هل أنت سعيد ؟

ـ أنا ... ؟ أنا طبعا سعيد لكن انت وقاطعته

ـ أو لم تدرك بعد انى سعيدة ؟

ـ بلى ولكن ..

وقاطعته مرة ثانية ..

ـ او لم تدرك شيئا آخر .. او لم تدرك انى أحب

وقاطعها هو هذه المرة ، وانه ليفخر بانه قاطعها قائلا :

ـ هذا هو الموضوع يا سامية .. لقدأدركت منذ ايام انى أحبك ولم يكن هذا مهما وأرجو ألا تعيريه التفاتا .. أما المهم حقا فهـو اننى أدركت أنك تحبيننى ... وهـذا ما يقلقنى

ـ يقلقك ... لماذا ؟

ـ سامية .. كم عمرك الان ؟

ـ عشرون عاما

ـ أتعرفين كم عمرى أنا ؟ خمسة وأربعون عاما .. أكبرمن والدتك وربما فى سن أبيك .

ـ هل تعود ثانية لقصة الابوة ؟

وأجابها (وهذا ما اسماه تمنعا) ـ أبدا يا سامية ولكنى أريد فقط أن ترى كل شيء فى وضوح ... أنت فى حدود العشرين وانا فى الخامسة والاربعين .. هل يسعدك مثل هذا الحب ... أتعرفين ماذا تعنى الخامسة والاربعون ؟

ـ ماذا تعنى ؟

ـ تعنى انى .. بالنسبة لك صفقة خاسرة .. انت الان

فى نضارة صباك .. أنت تنهبين ظهر الارض وثبا وعدوا .. وأنا الان أخطو فى حذر ، لا أقول انى عاجز عن السير .. لكننى لا أستطيع العدو . ماذا تفعلين بى لو أنى لهثت فى الطريق ..

وقالت ضاحكة ..

ـ ومن قال لك انى سأعدو . سأسير فى مثل خطواتك .. انى أوثر السير البطىء من الان ..

وصمت فترة ثم قال :

ـ سامية .. سأكسب أنا كل شىء صبا ونضارة وشبابا .. ولن تكسبى أنت شيئا .. مجرد رجل على أبواب الكهولة

ـ سأكسب رجلا كامل الرجولة !

وكان هذا غاية تمنعه .. رضى غروره بهذا الوصف الرائع رجل كامل الرجولة ..

ولنتركه الان يقص بقية قصته .. اننا الان بعد ذلك اليوم بعام ... لقد هدأ كل شىء ونزل الستار .. هدأت اعصابه وخفت حدة طبعه . انه يروى الان بقية القصة كأنه فيها طرف ثالث لا يعنيه الامر

ـ أجل !! لقد أرضانى هذا الوصف .. انه ليس جديدا .. ما الذى يمنع أن تكون سامية التى نضج جسمها مبكرا ، قد نضجت أيضا عقليا بنفس النسبة ...

.. ما الذى يمنع أن يكون عقلها قد أفرط فى النضوج ؟

ولم لا ؟ أليست تتحدث الى بأسلوب امرأة ناضجة ؟

كل الفرق بيننا هو شعراتى البيض .. ومع ذلك فهى تحب الشعر الابيض لقد وجدت فى الايام التى تلت ذلك اليوم مصداق ما قالته لى ، فقد أفاضت على من حبها ، ماذا أقول ؟ .. ما دفع فى جسدى دماء الشباب ، وجدتنى ارضاء لها ، أحيا حياة شاب فى مقتبل العمر .. أرتاد دور السينما وأشغف بأناقة ملابسى وأعنى بمظهرى وأتلقى دروسا فى الرقصات الجديدة وأحسست بميلها للرياضة ففاجأتها ذات يوم بتذكرتى العضوية فى ناديين من أهم أندية القاهرة الرياضية .

وما كان أسعد ذلك اليوم الذى وقفت فيه أبادلها الكرة على

ملعب التنس ! خيل الى أنى شاب وان الشباب ليس سوى قوة ارادة وعزيمة ..

وانصرفت سامية الى الرياضة وأحبتها حتى أنها كانت تقضى أغلب أوقاتها فى النادى تلعب التنس معى طورا ومع صديقنا الشاب المهذب ... حمدى وكان حمـــدى مهذبا فعـــلا .. ورياضيا فعلا وكان أحد ثلاثة يعلق عليهم النادى الرياضى أمله فى الفوز ببطولة هامة وكأس تذكارية

ولم تكن سامية أقل تحمسا منى لحمدى الذى ما قصر فى تدريبنا على اللعب وتصويب أخطائنا ، حتى كنا ، أنا وهى ، نرقب يوم المباراة التى سيلعب فيها لبطولة النادى ..

فى يوم المباراة ذهبنا نحن الاثنين .. وكانت سامية ترتدى ثوبا ورديا أراه لاول مرة وتضع فوق رأسها قبعة أنيقة حليت بدبوس من الذهب على شكل مضرب الكرة ..

وجلسنا نرقب المباراة فى حماسة .. ولعب حمدى لعبا يفوق حد الوصف من البراعة والاتقـــان حتى أحرز بمفرده انتصارات كفلت للنادى الفوز بالبطولة ونيل الكأس .

وانتهت المباراة وهبطنا من الدرج لنحيى حمدى ونصافحه .. وما كان أحر تهنئة سامية له حتى صنعت مثلى .. قبلته فى خديه ... واقترحت .. أنا .. أن نحتفل بهذا النصر احتفالا رائعا

وقالت سامية :

ـ اذهب لاحضار السيارة من المكان النائى الذى أوقفناها فيه وسأنتظر أنا فى الشرفه حتى يبدل حمدى ثيابه .

وتركت سامية عند شرفة النادى ، وسرت وسط جمـــوع المتفرجين المندفعة نحو باب الخروج ..

و .... و

انه يتوقف عن الحديث لحظة كأنما يستعيد ما حدث اذ ذاك أو يستجمع أطراف جأشه الثائر

ـ وفى الطريق الى الباب سمعت هذا الحديث.. لم أر وجوه الذين قالوه لكننى سمعته فقط ..

ـ كان حمدى عجيبا اليوم ٠
ـ لقد لعب لعبا مدهشا
ـ كان ضروريا أن يلعب هكذا ٠ كانت حبوبته الجديدة تشاهده لاول مرة فى مباراة ٠٠
ـ من هى حبوبته الجديدة ؟
ـ ألم ترها معه قبل اليوم ٠٠ انها كل يوم فى النادى ٠٠ انها تلك التى قبلته بعد المباراة
ـ آه رأيتها ٠٠ انها رائعة ٠٠ تلك التى قبلته فى خده
ـ نعم هى ٠٠ ان اسرتها سبور جدا كما ترى ٠٠ لقدقبلته أمام والدها
ـ والدها ؟
ـ أجل ٠٠ هو هذا الذى كان معها ٠٠ انه يأتى معهاكثيرا الى النادى ٠٠ انه رجل رياضى جدا ما زال يلعب التنس الى اليوم
رياضى جدا ؟؟ والدها ؟ ٠
وأحببت أن أكون رياضيا لاخر لحظة ٠٠ فذهبت وأحضرت السيارة واستصحبت حمدى وسامية وانطلقنا نحو فيلاسامية على شاطىء النيل
فى الشرفة حيث جلست منذ شهور قليلة مع ساميةلاول مرة بدأ الليل يرخى سدوله ٠٠ وأخذت اضواء الشوارع تعكس ضوءا باهتا علينا ٠٠ بالضبط كذلك اليوم الاول
كنا صامتين نحن الثلاثة ٠٠ ولا أدرى ماذا كان يملأ رأس سامية ولا رأس حمدى من خواطر وانما أعرف فقط انصورة واحدة تملأ رأسى أنا ٠٠ صورة ميدان سباق تجرى فيه ثلاثة جياد ٠٠ فيتقدم اثنان منها ٠٠ أما الثالث فان الاعياء يغلبه وتتخاذل ساقاه ويتصبب عرقا ولما يمض من الشوط ثوان ٠٠ بينما أخذ الناس يصيحون به من كل مكان ٠٠ اخرج أيها الحصان العجوز
ولا أعرف ماذا فعلت اذ ذاك لاخرج من الميدان ٠ ويستدرك قائلا :

ـ أقصد من الفيللا ،لقد اختلطت الصورة بالواقع فاعذرونى .. اننى أعرف فقط انى خرجت ، استأذنت بضـــع دقائق لالقى صديقا قلت انى نسيت موعده .. ووعدت بالحضـــور مسرعا وما كدت أغادرهما حتى تنفست الصعداء ، ووجدتنى أخرج منديلى ، لاجفف عرقى وخيل لى أن الصورة التى ملأت رأسى بدأت تتلاشى .

وتركت السيارة تسير على مهل على شاطىء النيل ..كانت صفحة الماء قد بدأت تعكس فى وضوح صورة المصابيح المتناثرة على الشاطىء .. وكان كل ما يشغلنى اذ ذاك فكرة واحدة.. سؤال واحد كان يدور بخاطرى :

هل أدركت سامية اننى لن أعود ؟ ..

لقد أتانى الجواب فى اليوم التالى وفى الايام التى تلته .. ان سامية قد كفت عن عادتها التى ألفتها منذ شـــهور ولـم تعد توقظنى بصوتها العذب كل صباح

قولوا ما شئتم عنى .. لكننى أقسم وأنا صادق انى ماندمت على هذا الفراق ...

ولنصدقه هذه المرة .

الشعرات البيضاء

كذب عليها .. وكانت تحبه ..
ولا يقتل الحب غير الكذب ..
فمات حبها له وبقى له الندم الى
الابد ..

٢٢ يناير سنة ١٩٢٩

فندق كتاراكت بأسوان ..

رأيت اليوم الانسة « ر » فى شرفة الفندق ، كانت جالسة وحدها تحتسى فنجالا من الشاى والى جانبها على المقعد بضع مجلات وسلة بها أدوات « تريكو » ..

انى أعرف الانسة « ر » من القاهرة .. تعرفت بها فى منزل شقيقى منذ بضعة شهور عصر احد الايام ، كانت مع ثلاث فتيات من صديقات أختى وتجاذبنا أطراف الحديث مدة نصف ساعة وكان يروقنى الحديث معها ، ومع أن الجلسة كانت لطيفة والانسة « ر » كانت جذابة الا أننى اضطررت أن أترك المنزل لارتباطى بموعد سابق ، موعد هام كان من الصعب ان أخلفه ... ومنذ ذلك اللقاء لم أرها الا اليوم ..

وتركت مكانى وذهبت فحييتها ويظهر اننى تركت فى نفسها ، منذ لقائنا الاول ، نفس الاثر الذى تركته فى نفسى ، فقد عرفتنى للفور وأحسست انها سرت برؤيتى ولكنها ،على ما بدا لى ، كانت محرجة ولا تستطيع دعوتى للجلوس معها ، ولكنها قالت وهى تنظر حواليها ، انهم عائدون ، هى واسرتها بقطار المساء الى القاهرة ، ولما قلت لها اننى سأعود بعد أربعة أيام قالت وهى تبتسم ..

ـ سنراك فى مصر ان شاء الله ..

وما زال رنين هذه الكلمات فى أذنى الى الان .. وأنا أكتب هذه السطور فى مذكراتى بعد منتصف الليل وقد سكن كل شىء ...

٤ فبراير سنة ١٩٢٩

قابلت اليوم الانسة « ر » وهى خارجة من محل شيكوريل وكانت مصادفة لطيفة فقد خطرت بفكرى هذا الصباح وكنت أفكر فى طريقة للاتصال بها ..

وقالت لى « ر » ونحن نسير فى شارع فؤاد انها تخرجت من المدرسة منذ عامين وانها تضيق بحياة المنزل وأنها تقرأ كثيرا

وأحسست أنا أنها لا تضيق بحديثى معها وانها ليست مرتبطة بأى موعد فدعوتها لتتناول فنجان من الشاى معى فى جروبى

عندما تتحدث الفتاة عن نفسها يكون معنى ذلك فى نظر الرجل انها تدعوه للتعارف ...والرد الطبيعى على هذا الحديث هو أن يتحدث عن نفسه ... وقد لبيت هذه الدعوة وأخذت أتحدث عن نفسى ..

لكن يعلم الله اننى لم أقل اليوم للانسة « ر » كلمة صدق واحدة ، بل ولم أتحرك حركة طبيعية واحدة ..ان اليوم الاول فى بدء علاقتنا كان تمثيلا رائعا ... من جهتى أنا على الاقل..

ولاضرب مثلا على سلسلة الاكاذيب التى سردتها هذا اليوم، لقد تحدثت عن دراستى وقلت أننى أتممتها بالجامعة واننى سافرت فى صيف العام الماضى الى أوربا وأننى أبحث عن عمل وأريد أن أقضى عاما أو عامين أدرس فيهما الخطط للمستقبل.. هذا الجو الذى خلقته عن نفسى والذى يتلخص فى الكلمات الثلاث ، شاب متعلم ، مهذب ، غنى .. لم يكن حقيقيا ..

أما التعليم فاليوم بالذات دفع والدى القسط الثانى لى فى كلية الحقوق وهو متبرم وعلى حد تعبيره « فلوس رايحه فى الهوا » ذلك لانه كان العام الثانى الذى أرسب فيه فى السنة الثانية .

أما أوربا فلم تذهب قدماى الى الان الى أبعد من البراميل المنتشرة على الشريط الضيق من ساحل البحر الابيض الذى نسميه البلاج .. والتى وضعت لامثالى لتنبئهم بأن الاوان لم يئن بعد ليعبروا البحر بطريقة ما .. واما أنى مهذب فتلك مسألة فيها نظر ، وأنا شخصيا أعتقد اننى مهذب وسوف اجتهد أن يصدق هذا انشطر على الاقل فى علاقتى مع الانسة « ر »

طالت جلستنا انا والانسة « ر » وأدركت ونحن نغادر جروبى أن على أن أقول شيئا .. وأجابتنى « ر » وهى تمنحنى احدى ابتساماتها الهادئة :

ـ فليكن بعد غد .. هنا فى جروبى ...

لا أدرى لم أحس وانا أكتب مذكراتى اليوم بشىء من الغبطة وأتخيل بعد غد حين ألقاها ؟؟ أعترف أن الانسة « ر » شغلت فكرى طول اليوم .. وأعترف أيضا اننى أنظر اليها نظـــرة تختلف عن نظرتى لغيرها من الفتيات ..

٩ ابريل سنة ١٩٢٩

لماذا فعلت ذلك ؟ ..

سألت نفسى هذا السؤال منذ الصباح الى الان أكثر من مر ولم أستطع الاجابة عليه .. حدث كل ذلك بسرعة ودون ا تتاح لى فرصة للتفكير وجدت نفسى خارج حياة تلك المخل التى راقتنى والتى كنت أتمنى أن أرتبط بها الى الابد .

انها ان كانت أخرجتنى من حياتها فاننى لن أستط أخرجها من حياتى .. لا اليوم .. ولا غدا .. بل سـ دائما الفردوس المفقود

آه من الفردوس المفقود!! .. ان مرارة ذكراه أقسو فردوس الاماني التى لم يرها الانسان بعد !! أجل فردوس مفقود ! فردوس كان بين يدى خلال الشهو كما تقول محجوزا للزوج .. الذى هو أنا بالطبع مذكراتى ، وماذا كنت أستطيع أن أكتب فيها . سعيدا .. يبدأ بصوتها بالتليفون فتحيينى الجميل وتحدثنى عن أحلامها التى كنت أنا ؛ وينتهى بالقبلة اللذيذة التى أطبعها على خده كما تقول محجوز للزوج ... الذى هو أنا

وبالامس دق جرس التليفون ورددت ا

ـ لابد أن ألقاك اليوم لامر هام ..

وعندما التقينا واجهتنى بالحقيقة !!

ـ عندما انصرفت أمس بعد أن لا السؤال ؟ . متى سأشعر بقبلته ؟

ودار رأسى وهى واقفة فى ان أفكر فيه الان انه ليس الزواج الان الاوتاد لنصب سرادقه فت

روعة ..

نيتك سألت نفسى هـــذا

لى فمى ؟

ظار جوابى .. وتخيلت مـا

وانما الامتحان الذى يدقـــون

هبط كل دقة كأنها حجر يسقط

على قلبى أنا !
متى سأذاكر ؟ .. وكيف أذاكر ؟ ..
أجل كيف أذاكر .. أنا الشاب الذى أتم تعليمه وسافر الى أوربا وحالته المالية تسمح له ان يستريح عامين ليضع خطط المستقبل ؟ ..
وقلت وأنا أغالب ضميرى ..
ـ قريبا يا حياتى ..
وأجابتنى
ـ .. انك لم تفهمنى ..
ـ .. قلت :
ـ كيف لا أفهمك ؟ انك تتعجلين موعد الزواج !
وقاطعتنى بسرعة ..
ـ لم يخب ظنى فأنت لم تفهمنى .. اننى لا أتعجل موعد الزواج وانما أريد أن أعرف أسباب ارجاء زواجك بى ؟ لم يعد بيننا ما تخفيه على .. لقد صارحتك بكل ما يحيط بى .. وأنت صارحتنى بكل ما يحيط بك .. أظن ذلك .
وتوقفت لحظة عن الحديث
ولسوء الحظ أن عقلى قد توقف بدوره عن التفكير والا لما أجبت بسرعة ودون أن ألحظ انى أكذب من جديد
ـ أجل يا حياتى .. لقد صارحتك بكل شىء
ـ وما من شىء أخفيته عنى ..
ـ وهل كان يجب أن أخفى عنك شيئا ؟ .
وهنا أجابت وهى تتحامل قليلا خشية ان تسقط
ـ اذن فقد خاب أملى ، ليتنى لم أعرفك !
وعبثا حاولت أن أهدىء ثورتها ، واقتربت لكى أربت على خدها ولكنها صاحت فى صوت ارهبنى
ـ اياك أن تمسنى .. أريد أن أقول لك شيئا لاخر مرة .. لقد أتحت لك الفرصة لتصارحنى بظروفك .. فتحت لك باب الاعتراف لتتحلل من أكاذيبك لكنك رفضت .. رفضت كمن يصر على الخداع حتى النهاية .. لو أنك قلت لى أنك ما زلت

طالبا وانك لا تستطيع الزواج .. لو انك قلت لى انك ستنتهى دراستك ثم تمهد سبيلك لنعيش معا .. لكنك كذاب .. كما قيل لى عنك .. لم تفكر فى انزواج ولن تفكر .. هل تفهمنى الان ؟ .. هل تفهم لماذا سألتك .. هل صارحتنى بكل شىء أولا ؟

وبالطبع فهمت .. حدث ما كان يجب أن يحدث .. عندما تسير مع فتاة فى الطريق فلابد أن تلقى صديقا لك او صديقة لها ولابد ان ينتقل لقاؤكما من فم عزول المصادفة الى عشرات الافواه .. وانى أذكر الان اننا رأينا بالمصادفة الانسة ـ ج ـ صديقة شقيقتى وصديقة ـ ر ـ ايضا ذات مساء ونحن خارجان من السينما .. وأستطيع أن أتخيل الان ما حدث بعد ذلك ، ان « ر » كما أعرفها صريحة وغير ملتوية .. ولا شك انهـــا قابلت « ج » بعد ذلك وقالت لها ما تعرفه عنى .. وما قلته أنا عن نفسى .. فأفهمتها « ج » ان كل ما قلته كذب ..

وما زلت أذكر مرة قالت فيها « ر » أثناء الحديث ..

ـ انى صريحة لا أخفى شيئا ، هل تصدق انى خاصمت اختى شهرين لانها كذبت على مرة ! ..

أرجو ألا يكون عقابها لى أقصى من عقابها لاختها

٣٠ يونية سنة ١٩٢٩

سافرت اليوم الى الاسكندرية وانا اكتب مذكراتى هذه فى الغرفة المطلة على البحر وقد نام شقيقى حامد ، اننى لاأستطيع أن أنام من حزنى الجاثم على قلبى فقد اخبرتنى شقيقتى ونحن فى القطار بنبأ خطبة « ر » الى ابن عمها . وقالت لى ما هـو أقسى من ذلك . قالت لى أنها قابلت ـ ر ـ فى الطريق وانهـا هى التى أنبأتها بذلك وسألتها عن أحوالى وأبدت اسفها لاننى خدعتها ولم تنكر انها كانت تفضل ان تتزوجنى ..

بهذه الصراحة !

أجل .. وأنى أعيد ما قالته لاختى بانحراف الواحد ..

ـ كنت أنتظر أخاك عامين او ثلاثة لو كان جادا . لكنه كان يلهو . كذب على ورفض ان يصحح موقفه ثم يكن عيـــبا ان

يصارحنى بظروفه لكن العيب أن يخدعنى ويصر على الخداع
لقد خطبنى ابن عمى ورحبت بزواجه والحمد لله ..
أجل ... بهذه الصراحة لا يوجد فى العالم الا فتاة واحدة
وهى : « ر » .
.. كانت تستطيع من باب الزهو ، أن تقول انها لم تكن تهتم بى .. لكنها مع ذلك كانت تفضل أن تنتظرنى عامين أو ثلاثة ، ان المرأة لا تنتظر الا رجلا واحدا . الرجل الذى تحبه.
ما أشد حزنى على ما حدث . وما أشد حماقتى ..

◆◆◆

.. وأغلق مذكراته . ووضعها فى مكانها بين عشرات الكراسات الصغيرة التى تحوى كل منها مذكرات عام كامل من حياته .. ولم يكن بحاجة بعد ذلك الى مذكرات .. انمذكرات الاعوام التاليه بعد عام ١٩٢٩ تستطيع أن تمر بخياله سريعة باردة كما مرت هذه الاعوام نفسها .. لقد اتم دراسته عام ١٩٣٣ وسافر الى أوروبا . ثم عاد الى القاهرة وانخرط فى سلك المحاماة ... ومنذ وضعت الحرب أوزارها وهو يجلس كل يوم يسأل نفسه هذا السؤال ؟
ـ لماذا لا أتزوج ؟
وتمر بخاطره قصته مع «ر» ، ان ذلك الماضى القديم يرتبط فى خياله دائما بفكرة الزواج وما من مرة فكر فى الزواج الا ذكر « ر » وذكر قصته معها وتمنى لو انه تزوجها .. لكنه مع ذلك يفكر فى الزواج تفكيرا جادامنذ بضعة شهور .
منذ أن أخذت بضع شعرات بيضاء تتسلل الى رأسه ..انه لم يبلغ الاربعين بعد .. ان هذه الشعرات توحى اليه فى رقة وأدب انه لم يعد طفلا .. وحين يتجاهلها تخاطبه فى المرآة .. وقد تغيرت لهجتها من الادب الى الخشونة لانه قد أصبح رجلا .. وهى أحيانا تستعير لسان أحد أصدقائه لتنطق فى قحة ساخرة
والله عجزت يا أبا السباع ؟!
وفى أغلب الاحيان تترجم خواطر هذا المزاح السخيف الى

صرخة ملحة :

لم يعد هناك مجال للتسويف ولابد ان تتزوج ..

وهو لا يعارض فى الزواج وما عارض فيه من قبل ابدا وانما كان يتوقع الوقت المناسب والوجه المناسب والسن المناسبة

ومنذ أيام كان الوقت مناسبا وانوجه مناسبا !

كان صباحا مشرقا جميلا من أيام ابريل الاخيرة ، وكان يجلس فى حديقة الشاى وكانت الفتاة الجالسة على خطوات من مائدته تحتسى على مهل القطرات الاخيرة من كوب عصير البرتقال حين اهتزت يدها باصطدام طفل صغير بمقعدها فسقط الكوب .. وتناثرت القطرات على الثوب .. قطرات قليلة لكنها أتاحت له فرصة الحديث ، حديث قصير لم يتجاوز الاسف على ما حدث وهو يمد لها يده بكوب ماء لتنظف ما علق بالثوب .. ثم أتاحت له فرصة أخرى حين خرج من الحديقة بعد ساعة ورآها تنتظر على محطة الترام فركب معها ولم يكن هناك ما يمنع حديثهما فقد كانا وحيدين فى المقصورة ..

وقت مناسب ووجه مناسب والسن ..

ان عمر المرأة من حقها وحدها تحديده ، وهو لا يعرف ان هناك امرأة فى العالم قد تعدت الثلاثين ، ان الوجه الذى يراه الان أنضر من أن يثير مسألة السن .. بل لعل السن قد تخيفه . انها تبدو فى العشرين ..

وذكر وجهه فى المرآة ذلك الصباح وخيل له انه يرى شعراته البيض تقترب فى حياء لتلامس خصلات الشعر الاسود الفاحم !

صغيرة !!

قال لنفسه هذا وقد عول على التراجع .. بل لقد هم فعلا أن يغادر مركبة الترام .. وصده عن ذلك شىء واحد ..

انها هى أيضا قد نهضت لتنزل من الترام ! وقالت وقد لحظت حركته ..

ـ هل تنزل هنا أيضا ؟ . وأحس بحرج موقفه فأجاب وهو يعاود النهوض :

ـ نعم فهذا أقرب مكان لى . انى أسكن فى مصر الجديدة

ولكن سيارتى فى جراج قريب من هذا المكان ؟

يقول الفرنسيون أحيانا أن المرأة هى التى تختار رجلها دائما ·· تختاره دون أن يخالجه شك فى أنه هو الذى يختار ··· ان هذا القول لا يصدق فى تعرفه بثريا ، فهو الذى اختارها فى حديقة الشاى وهو الذى كان يفكر طوال الطريق فى أنها هى ، الوجه المناسب

وسيبدأ منذ اللحظة خطته لاتمام ما يريد ·· يعرض عليها أن تلقاه مرة أخرى فتمانع قليلا فى ابتسامة راضية !

ويلقاها بعد ذلك بيومين ·· يلقاها أشجع عزيمة · ولا يكاد ينفرد بها فى المقهى الهادىء على حافة النيل ·· حتى يبدأ حديثه عن نفسه ··

ويلتفت اليها خلال الحديث طالبا أن تخمن كم عمره وتقول فى ابتسامة ··

ـ آه لم تخدعنى شعراتك البيض ·· انك فى حدود الثلاثين ·· اثنتين وثلاثين سنة مثلا !

ويقول وكأنما يحرجه الكذب فى تحديد السن

ـ لا ·· خمسة وثلاثون ·· راجل عجوز أليس كذلك ؟

وتجيب ، وكأنها لا تهتم بما تقول :

ـ بالعكس ·· هذه هى سن الرجولة !

سن الرجولة ؟؟

وتمر بخاطره الان الانسة « ر » فجأة فترتسم على جبينه ابتسامة خفيفة ويخالط فكره ندم ، لقد كذب على « ر » نفس الاكذوبة عكسيا قال لها حين عرفها انه فى الخامسة والعشرين وكان لم يتعد العشرين ليبدو رجلا

ويكذب الان على ثريا فيقول أن عمره خمسة وثلاثون ، وهو يخطو فى الاربعين ·· ليبدو أيضا رجلا ··

ان الحديث يطوى أفكاره فى ركن من عقله ليعود من جديد الى الموضوع ، موضوع الرجل والمرأة ·· انهما يقتربان مما يريد رويدا

ـ هل تعيش وحيدا ؟ ·

ـ نعم لانى لم أكن قد وجدت من يملأ فراغ بيتى ..

لقد علمه الماضى أن يتجنب المراوغة ، وها هو يخطو الى منتصف الطريق فى اللقاء الثانى وتجيبه ، وكأنها لاتجيبه على سؤاله ..

ـ لقد قلت لامى اليوم وأنا أغادر المنزل انى ذاهبة لزيارة صديقة وآلمنى ان أكذب عليها .

ـ كذبة صغيرة !

ـ أنا لا أحب حتى الاكاذيب الصغيرة ولا أدرى لم كذبت عليها ؟ . لعل ذلك لانى أفعل شيئا خاطئا !

ويرفع رأسه فى دهشة ويقول مستنكرا ..

ـ لقاء فى وضح النهار وفى مكان عام شىء خاطىء .. انك تبالغين ؟

وكان يعرف أنها لاتبالغ وانما تتعجل لكنه رأى أن يتريث لم يكن يتردد فى اتخاذ قراره لكنه أحس ،من باب الشكل فقط ، أن أطلب الزواج فى اللقاء الثالث أكثر ملاءمة لرجل .. فى سن الرجولة .. انه على أى حال قد مهد الطريق ..

وكان موعد اللقاء الثالث فجلس الى المائدة ينتظر ..

وانتظر طويلا ومرت ساعة دون أن تحضر ثريا ..

وقضى ليلته لا يصدق أنه رأى فتاة فأعجب بها وقرر أن يتزوجها وأراد أن يخطبها فى اللقاء الثالث فلم تحضر هذه الفتاة للقائه ..

ذلك قد حدث .. حدث له فعلا .. هو الذى ظل طوال الاعوام الماضية يعيش بعواطف راكدة لا تجد ما يحركها .. لقد تحركت عواطفه فجأة تحت طرقات الاعوام ولسعات الشعرات البيض ..

وأخذ عقله يفرض لتخلف ثريا عن موعده عشرات الاسباب .. لكن فرضا واحد من هذه الفروض رفض البقاء فى رأسه .. لقد رغبت عنه وصرفت نظرها لانه لم يرقها .. لقد راقها وما زالت جملتها ترن فى أذنه :

ـ بالعكس .. هذه هى سن الرجولة ...

ما من عقل يستطيع أن يضع لهذه الجملة ترجمة غير الرضا والقبول .. الرضا والقبول الذى يتبعه الايحاء بطلب الزواج .. انه لا يصدق .. وعقله لا يقبل غير فرض واحد. لقد حدث لثريا شيء .. وانتابه القلق وتمنى لو يطمئن الى أنها سليمة لم يمسسها سوء وأن شيئا لم يعقها عن لقائه .. ثم ..

ثم لا يبقى غير الفرض اللعين الذى لا يطيق رأسه أن يتحمله طويلا . لقد صرفت نظرها عنه لانه لم يرقها ...

عاش ليله يطوف عقله فى حلقة مفزعة حتى ترنح ونام فى أعياء نوم أجفانه المتعبة !!

وفى الصباح تلقى رسالة .. رسالة أخذ يقرأ سطورها الاولى بصوت مسموع

سيدى ...

يؤسفنى أن أكتب لك نيابة عن ابنتى لاتم حديثا قصيرا بدأته معك منذ عشرين عاما

وخفت صوته تدريجا وهو يمضغ الالفاظ وكأنما خشى أن تسمعه جدران الحجرة .. وكأنما خشى أيضا أن تراه هذه الجدران فقد رفع رأسه وأجال بصره فى أنحائها ، ثم عاد الى الرسالة لتقرأ عيناه فقط :

« اننى أحاول أن أفهم من أى معدن انت فلا استطيع .. تكذب على منذ عشرين عاما لتتسلى بى بعض الوقت .. فينكشف لى كذبك وخداعك وينقذنى الله منك ... ثم تأتى لتخدع اليوم ابنة العشرين .. ان مصيبة الجيل الجديد هى أنه يحرص على أن يبدو أكبر مما هو .. ان ثريا فى العشرين يا ابن الخامسة والاربعين .. انك قد تنسى أكاذيبك على ولكنك لن تنسى كلمة الصدق الواحدة التى قلتها اذ ذاك وهى أنك فى الخامسة والعشرين .. فتاة فى عمر ذكرياتك تريد أن تربط حياتك بها يا قاس .. انك مسلح بهذه القسوة ضد الزمان فلا تبدو عليك سنواته .. قالت لى ثريا كم أنت لطيف وشاب وصريح .. انها عرفتك كما عرفتك انا أول يوم رأيتك .. لكنها لم تعرفك كما عرفتك آخر يوم الا الان ..

ولكم كنت أتمنى لو رأيت نظرة الخيبة واليأس والاحتقار معا في عينيها .. انها نفس النظرة التى صرحت بها لك عيناى منذ عشرين عاما ..

من المؤسف حقا أنك لم تر هذه النظرة ولن تراها .. لكن ربما استطاع خيالك ، وما أوسع خيـــال من يكذبون .. أن يصورها لك ..

انى لست بحاجة الى أن أعتذر عن تخلف ثريا عن لقائك بالامس ، انك لن تراها بعد اليوم .. ولعلك لست بحاجة الى امضاء لتعرف ممن هذا الخطاب ؟ . »

◆◆◆

... انه لم يكن بحاجة فعلا الى امضاء ..

كان بحاجة لان ينهض من مقعده ويترك حجرته الى الشرفة الصغيرة ليتنسم الهواء ...

وكان بحاجة الى فضاء واسع ينثر فيه خواطره المهتاجة ..

ووجد نفسه يميل الى حافة الشرفة وينظـــر الى أرض الشارع ، ينظر اليها دقائق طويلة كأنه يبحث عن شيء ،وجده آخر الامر ، فآب الى حجرته وفتح أحد أدراج مكتبه ، وأخذ يقرأ فى مذكراته :

.. ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩

فندق كتاراكت بأسوان ... قابلت اليوم الانسه « ر » فى شرفة الفندق ...

سبعة في صورة

ويل للمقدسات الزائفة من
لحظات الشك ! انها تلقى ضلالها من
الذين آمنوا بها أكثر مما تلقى من
أعدائها !!

عشرة أعوام مرت لم أر فيها هذه الصورة ...

لقد كانت اذ ذاك تحتل اطارا جميلا وتتخذ مكانها على الحائط بين عدد من الصور الاخرى ، صورة عهد التلمذة التلذيذ .

ولامر ما تغيرت الحال .. فاذا بيد الزمان ، لا يـــدى أنا ، تنتزع صور ذلك العهد . ومن بينها هذه الصورة ، وتلقى بها جميعا فى صندوق خشبى .. يضم ، مع هذه الصور ،عشرات من الرسائل وقصاصات الصحف والمذكرات .

وانتقـل الصـــندوق الخشبى معنـــا من منزل الى منزل كأنه قطعة من الاثاث ، حتى فكرت زوجتى ، آخر الامر ، فى أن تزين حجرة مكتبى ببعض صور صباى ، ففتحت الصندوق ونفضت ما تراكم على محتوياته من تراب ، واختارت ثـلاث صور .

الصورة الاولى ، أبدو فيها ، وقد أمسكت بكمان وتهيـأت للعزف !

وصاحت زوجتى :

ـ قل لى اذن أنك كنت موسيقيا ! لم أخفيت عنى ذلك ؟ أهذا هو سر حبك للموسيقى الى الان ؟

والصورة الثانية أبدو فيها ممشوق القد فى ثوب رياضى ، ممسكا بمضرب التنس .

وصاحت مرة أخرى :

ـ يا مضروب !! كان من الممكن أن تصبح بطلا متقاعدا .. ؟ لماذا هجرت الرياضة ؟؟ ..

وأمسكت بالصورة الثالثة وصاحت وهى تغالب الضحك :

ـ أنت تتسلق الجبال وتضرب الخيام ؟؟ .. فى الكشافة كنت ؟ وترفض الان الذهاب الى رحلـــة قمرية الى الاهـرام بالترام ؟ ...

وصمت حتى فرغت من الاسئلة ثم شرحت لها الامر

قلت لها : اننى ما أمسكت فى حياتى بمضرب التنس ولا حنوت على كمان ولا ذهبت الى رحلة فى الجبل الامرة واحدة ..

المرة التى التقطت فيها هذه الصور
فقالت فى نظرة مستفهمة :
ـ كيف ؟
ـ كنت أمثل دور عضو جمعية الموسيقى .. وعضو جمعية انتنس .. وعضو جمعية الكشافة ..
ووجدتها غارقة فى صمتها ودهشتها فزدتها ايضاحا ...
ـ كنا فى مدرسة أهلية .. وكانت الحكومة تعطى اعانة للمدارس الاهلية وكان من شروط الاعانة أن تكون المدارس التى تطمع فى الاعانة تباشر ألوانا من النشاط الاجتماعى والرياضى والفنى .. فجمعنا الناظر ، ذات يوم قبيل نهاية العام والتقطت لنا هذه الصور .. ليقبض هو الاعانة ..
ولم أعرف هل اقتنعت زوجتى أم لا ، ولكنها اجابت :
ـ على أى حال .. ان هذه الصور ، تظهرك فى احسن أوضاعك ... سأعلقها هنا فى حجرتك لتوهم البسطاء ممن لا يعرفونك بأنك كنت فتى متعدد النشاط .
ثم صاحت فجأة وقد امسكت بصوره :
ـ يا حفيظ ! مالكم واقفين هكذا وكأنكم قد قتلتم قتيلا ؟.
سبعة شبان يحملقون فى المصور بصرامة !!
وامسكت بالصورة .. الصورة التى كانت تحتل اطارا جميلا فى حجرة مكتبى منذ عشرة اعوام ، وتأملتها ... ثم قلت لزوجتى :
ـ قال لنا المصور انظروا الى العدسة فنظرنا جميعا ، وجمعنا رجولتنا فى نظرة صارمة .. آه لو عرفت كم ضحكنا بعد ان التقطت الصورة ..
ـ على أى حال لن اعلقها . هذه الصورة مكانها هنا كما كانت .. فى الصندوق
وخرجت زوجتى وقد حملت معها الصور ، الثلاث . وامتدت يدى الى الصندوق فأخرجت الصورة من جديد .. الصورة التى كانت تحتل اطارا جميلا ذات يوم .. صورة « الشلة » التى جمعها الزمان منذ عشرين عاما .. ثم ..

لقد احسنت زوجتى صنعا .. هذه صورة مكانها قبو الذكريات
لو ان زوجتى علقتها اليوم فى حجرة مكتبى لما وجدت جوابا
لمن يسألنى وهو يتأمل الصورة : واين هؤلاء الاصدقاء ؟ ..
واين ذهبت هذه الصداقة ؟

اين ذهبت ؟ اى وربى ! اين ذهبت هذه الصداقة ؟ هل استطيع ان اجيب ؟ هل اروى قصة لا تشرف احدا من السبعة الواقفين فى الصورة ، وكأنهم ، كما تقول زوجتى ، قد قتلوا قتيلا ؟

اننا لم نكن بعد قد قتلنا قتيلا حين انتقطت هذه الصورة، لكننا قتلناه بعد ذلك !! قتيلا غاليا عشنا فى ظله عشرين عاما وانى لاذكره الان . وكأننا ، انا وحمدى وعبد القادر وسعيد ومصطفى وعلى ومحمود ... كأننا ما زلنا بعد فى ظلال هذا القتيل .. صداقة الطفولة والصبا والشباب .. حمدى واقف فى اقصى اليمين ، ومحمود فى اقصى اليسار وفى وسط الصورة سعيد .. وحول سعيد من اليمين واليسار انا وعبد القادر ومصطفى وعلى .. ولا ينقص الصورة شىء لتروى قصة حادث القتل الفظيع ..

هؤلاء هم ابطالها .. من عجب ان تضعهم الاقدار فى الصورة كما وضعتهم فى القصة تماما . ان حمدى ومحمود كانا فى القصة .. كما هما فى الصورة على الهامش .. وسعيد ، انه فى وسط الصورة .. ولقد كان ايضا مركز القصة . وانا على مقربة من سعيد .. بالضبط كما شاءت الاقدار ان اكون فى القصة . لقد كنت على مقربة من سعيد وان لم اقم باى دور ، كن شاهدا كمرتاد الحانة التى ينشب فيها عراك فيأخذ البوليس بتلابيب كل روادها وغالبيتهم لم تشترك فى المعركة .. اجل شهدت القصة .. لا مع الجمهور وانما على المسرح مع الابطال .

ولو ذكر ممثلو القصة بحسب ظهورهم على مسرحها ، لذكرت انا قبل اى واحد من هؤلاء . انا الذى عرفت سعيد بمصطفى ودعوتهما الى دارى غداة يوم التقينا فيه لاول مرة بعبد القادر ، وعن طريق عبد القادر تعرف كل منا بعلى وحمدى

ومحمود ٠

فى اليوم الذى التقطت فيه هذه الصورة ، كان قد مر على هذا التعارف بضعة اعوام ، وكان اول فصول القصة واجملها لم يهبط عليه الستار بعد ٠٠ الفصل الحافل بالبهجة والمرح والهناء ٠٠

لقد هبط عليه الستار ذات يوم ، ونحن نغادر باب الجامعة شبانا قد اتموا دروسهم وشرعوا يتهيئون للحياة العملية ٠ لقد كان فصلا سعيدا وتلاه الفصل الثانى ولم يكن اقل منه بهجة فصل قضيناه نشاوى بخمر الرجولة الباكرة ٠ فرقتنا سبلنا فى الحياة وجمعتنا السهرات الجميلة فى بيت عبد القادر ٠٠ والمائدة الشهية فى « شقة » على ، والنزهات المرحة فى سيارة سعيد ٠٠

ونزل الستار عن هذا الفصل ايضا ذات مساء ٠٠ نزل على نهاية سعيدة هى زواج سعيد بالفاتنة الناعمة سهام ٠ وقلنا جميعا حين قدمنا الى خطيبته قبيل نزول الستار ٠٠ قلنا فى غبطة وغيظ معا :

ـ فزت يا وغد ٠٠ انها قطعة فنية !

وقال سعيد وهو يضحك :

ـ وقطعة ثمينه ايضا ٠٠ انكم لم تعرفوا من اخلاقها ماعرف انها آية فى الادب والذكاء ٠

وبدأ الفصل الثالث ، وقد دخل فى القصة بطل جديد هو سهام ٠ وبدا فى أول الامر ، ان دورها لن يكون هاما ٠٠

كانت كما وصفها حمدى ذات يوم كطاقة جميلة من الزهر ستتخذ مكانها من المنظر لتزيد فى بهائه ٠٠ ولكن طاقة الزهر تحركت ذات يوم من مكانها فى صدر المنظر ٠٠ وما دار بخلد واحد منا ٠٠ حتى سعيد نفسه ، انها ستكون البطل الوحيد الذى سينزل عليه الستار ، واننا سنصبح فى نهاية القصة مجرد صورة مكانها قبو الذكريات ٠٠ نحن الذين صفقنا لها حين تحركت من مكانها ٠٠ وحين قامت بدور البطلة ٠ البطلة التى اعدت لنا موائد اشهى من كل الموائد التى نعمنا بها فى

دار صديقنا على ، وسهرات انستنا سهرات عبد القادر ..

مر عام على زواج سعيد بسهام واحتفلنا فى نهايته بذلك اليوم السعيد الذى وهبنا الله فيه هذه الطاقة الجميلة من الزهر

ومرت بعد العام بضعة شهور وذهبنا جميعا ذات يوم الى السينما .. كانت سهام تجلس بين سعيد وبينى . والى جانبى جلس عبد القادر والى جانب سعيد جلس على ، وانتهى الفيلم . نهاية حزينة طوتنا جميعا فى صمت خانق .. وقلت ممزقا هذا الصمت :

ـ مارأى سهام فى الفيلم ؟

واجابت :

ـ نهايته فظيعة .. مسكينة البطلة لم تكن تستحق هـذا المصير .

ولم أعلق على رأيها . ولكن عليا اندفع كعادته ، فى تبرير نهاية الفيلم ،لقدانتهى الفيلم بانتحار البطلة ، وكانت القصة تدور حول طموحها ورغبتها فى أن تصل الى الجاه والثراء ، حتى لقد لفظت فى سبيل اطماعها ، الحب الوحيد الصادق فى حياتها .

اندفع على يقول :

ـ ماذا كنت تتوقعين وقد علقت آمالها باطماع كبيرة لم يكن فى مقدورها ان تنالها .. لقد كانت تعيش حياة هادئة وكان « جاك » البطل يحبها وكان سيسعدها حتما ، لكنها آثرت ان تلقى بنفسها فى تيار المغامرات .

فقالت سهام :

ـ هل تعيب عليها رغبتها فى حياة افضل ؟

واجاب على :

ـ ومن قال ان الحياة الافضل لاتوجد الا فى القصور الم تترك جاك لتذهب مع ذلك المليونير لمجرد انه غنى واسع الثراء ... تذكرى منظرها وهى تدير نظرها فى انحاء قصره مبهورة بما حولها ولم يمض على موقفها القاسى مع من أحبها غير ساعات ..

وتقاطعه سهام :

ـ انك عاطفى اكثر من اللازم ·· ان الذى احبها هذا كان خاملا كل مايملكه حديث الحب ·

وكان من الممكن ان يمضى نقاشنا على هذا الوجه ، لا ثمرة له ، نقاش يدور حول قصة سينما ·· قصة لم تحدث ··لولا ان عبد القادر نظر الى سهام قائلا :

ـ ماذا كنت تفعلين ياسهام لو كنت مكانها ؟

ونم تتردد سهام طويلا ، ولم يبد ايضا انها تمزح ، وان طغى الضحك على صوتها فقالت ··· :

ـ كنت افعل مافعلت ، لكننى كنت احتاط للمستقبل · لاحظ أنها لم تنتحر الا حين ذهبت الى الشاب الذى احبها بعد ان طردها المليونير ، فطردها هو ايضا بدوره ·· انا ماكنت ادع الامر يمضى الى هذا الحد ابدا ···

وانى لاذكر الان رنين صوتها ، وهى تقول هـــذه الكلمة باســتنكار ···· وانى لاذكر الان حديثنا انا ومصطفى بعد ان ودعنا سعيدا وسهم والاخرين وسرنا وحـدنا نثرثر بعد منتصف الليل ··

دار حديثنا اذ ذاك كله عن ســـــعيد وسهام ، ولا ادرى بالضبط كيف بدأ الحديث ، ولكنى اعرف ان سهام لم تكن فى تلك اللحظة من مكانها من نفسى ·· كانت قد تزحزحت قليلا · وقد اكون انا الذى بدأت الحديث · فخطأت رأيها ·

على اية حال لقد تطـرق بنا الحديث حتى تغلغل فى بيت سعيد وأخذ يزيح بلا سبب الغلالات الجميلة التى كسونا بها سهام ·· ولم يكن هذاغريبا·· ان فى حياة كل انسان لحظات يصبح فيها أشد ما يكون تهيؤالفحص عقائده ومقدساته بقسوة قد لا يجرؤ عليها غيره ·

والويل للعقائد والمقدسات الزائفه من هـــذه اللحظات !! انها تلقى اذ ذاك منا نحن الذين !منا بها حينا مالا تلقاه من الذين كفروا بها طوال الحياة !!

ولقد كانت سهام احدى مقدسات الشـــــلة ، وكنا ، انا

ومصطفى نجتاز احدى هذه اللحظات .. نجتازها فجـــأة بلا مقدمات .. حديث السينما التافه من الصعب أن يكون أساسا وآراء سهام فى الحب والحيـاة قد تكـــون مجـــرد ثرثرة فى الطريق ...

ما الذى جعلنا اذن نتحدث عن ســـــهام ؟ وبالطريقة التى تحدثنا بها ؟ بل ما الذى جعلنى أنا ، اســـتمع لكل ما قاله مصطفى تلك الليلة كأنه صادف هوى فى نفسى ؟

من المؤكـد أنه ليس حـديث السـينما ولا ثرثرة سـهام وآراؤهـــا انجريئـــة ، هى « الكبســولة » التى انفجـرت ففجرت انبارود وملأت الجو بهذا الدوى الرهيب ... لكنها كانت مجرد كبسولة !!

أو لعل الكبسولة كانت قولى :

ـ عجيب هذا الرأى من سهام .. لو أن غيرها يقوله ..لكن هى ؟

واتصل اللهب بالبارود فأجابنى مصطفى ، وكأنه يجاهد كلاما غير ما يقول

ـ ان انعجيب هو أن يكون لها رأى غير هذا ، أليست امرأة

واستنكرت قوله ... وليتنى ما استنكرته ..

ـ امرأة ! هل تنسى أنها سهام ... زوجة سعيد !

ـ ان الذى يقتلنى ، هو أننى لا أستطيع أن أنسى ذلك .

ـ يقتلك ؟ لكن لماذا .. ؟ انك ثائر

لكى مصطفى كان أكثر من ثائر كان كمن يؤوده عبء ثقيل صبر على احتماله طويلا ثم تهاوت أعصابه واسترخت فسقط العبء على الارض ..

ـ لست ثائرا وانما أكاد أجن ... ألا يرى سعيد ما نراه، لقد كان أكثرنا تجارب ... ألا يرى ما تفعل سهام ؟

ـ وماذا تفعل سهام يا مصطفى ولا تقره أنت ؟

ـ هؤلاء انسادة الجدد الذى نراهم فى بيت سعيد .. متى كانوا أصدقاء ؟

ـ هذا سؤال توجهه الى سعيد لا اليها .. ومع ذلك فانا

أجيبك عليه ... عن أيهم تسأل ؟

ـ ذلك السيد المنتفخ م . باشا الذى ملأ صيته انوف الاشراف بما هو أكثر من الزكام .. ما الذى جعله الان قاسما مشتركا فى كل سهرة ... منذ متى كان صديقا لسعيد ؟

ـ ان الرجل صاحب يد جليلة على سعيد ، ألا تعلم أنه صاحب نفوذ ثم أن الرجل يمضى السهرة معنا كأنه احدنا .. انه ديمقراطى الخلق

ـ والسيدالا خر الذى ظهر فجأة ع . بك ، ذلك الامى الذى يقرأ ويكتب بعناء ، ما الذى جمعه بنا وأى حديث راقه من أحاديثنا ، حتى اصبح يشاركنا فى مجلسنا كل ليلة .. ؟ هل هو حديث الخراف والديكة التى انهالت على بيت سعيد ؟

وصحت بمصطفى :

ـ ألم أقل أنك ثائر ومجنون ؟ هؤلاء أصدقاء سعيد ... يروقهم مجلسه كما يروقك ويروقنى .. كيف تعرف اليهم ، ألم تعرف ان ذلك يرجع اليه وحده وهذا شأنه دون سواه .. لقد أنستك ثورتك أكثر مما يجب .

وصمت مصطفى لحظة وكدت أحس بالجو الثقيل الذى نشره ينزاح بعيدا لولا انه عاد يقول فى تراخ :

ـ لو رأيت بعينك ما رأيت لثرت أكثر منى .. هذا اذاكنت تضع سعيدا حيث وضعناه من نفوسنا من زمن .. لو رأيت سهام وهى قابعة فى سيارةصاحبنا المنتفخ ، ولو رأيتصاحبنا المنتفخ نفسه وهو يصعد الى السيارة ويجلس الى جوارها ؟!

واعترف أنى دهشت لهذا الذى يقوله مصطفى .. ومن المؤكد أنى ثرت عليه وقاطعته والتمست لهذا اللقاء الاعذار .

واعترف أيضا انى تخاذلت وأنا اسمع أبعد من هذا الذى رواه ، سهام تلقى هذا وذاك خلال ساعات النهار حين يكون سعيد فى عمله ليس السيد المنتفخ وحده .. وليس الثرى الامى ... وانما ثالث ورابع ؟ !

ويل للمقدسات الزائفة من لحظات الشك . ان هذه اللحظات تستبدل بعيون الحب العمياء عيونا واعية حذرة ذاكرة !!

فى خلال بضعة شهور من هذا اليوم كان كل منا يرى فى بيت سعيد ما لم يكن قد رآه من قبل ، وكان كل منا يلحظ من تصرفات سهام ما يثير أشد الرجال غباء وغفلة

ولكن سعيد كان يفوق أشد الرجال غباء وغفلة ، كان لا يثيره شيء بل كان يبدو انه .. راض بكل شيء

وعلل عبد القادر ذلك ذات يوم فقال :

ـ ان سعيدا قد تغير وانه يريد أن يصل الى الثراء وانجاه معا لان سهام تريد ذلك .

واندفع على كعادته :

ـ أو لم تقل رأيها بصراحة ، ليلة كنا فى السينما ؟ .. انه لا يريد ان يكون العاشق الذى تتركه فى منتصف الطريق .

وخرج حمدى من هامشه فقال :

ـ وماذا أنتم فاعلون ؟ .. هذا هو سعيد ، اما ان تقبلوه كما هو واما ان تدعه فى حاله .. هل فيكم من يجرؤ ان يحدثه بشيء ؟؟

ـ أنا أجرؤ أن أحدثه لو أن لذلك أية فائدة تعود عليه ، انه راض عن ذلك

وكان مصطفى هو الذى يتكلم فى استنكار :

ـ قد يكون سعيد كما تقولون ، يمنح زوجته الكثير من الحرية ، ويفتح بيته لاصدقاء جدد قد يعاونونه فيما رسمه لنفسه من مستقبل .. لكن من يجرؤ منكم على أن يتهمه بأنه يعرف السوء عن سهام ويسكت ؟ ..

وسكتوا جميعا .. وانى لاذكر الجو الخانق الذى عشناه فيه تلك الليلة وأذكر ايضا أن غالبيتنا منذ ذلك اليوم قد آثرت ألا تثير الموضوع ولم يكن يواصل الحديث فيه غير مصطفى ..

حتى جاءنى مصطفى يوما وفى يده رسالة وصلت اليه بالبريد ..

رسالة تحمل توقيع سعيد وفيها يعلن سعيد مصطفى بأنه يقطع علاقته به بعد ما تبين نذالته وحقارته التى لم يكن يتصورها

وتتلخص هذه النذالة وهذه الحقارة فى أن مصطفى قدحاول أن يغرى سهام ، وطارحهاهواه وطلب منها موعدا بالتليفون ..

وفى الرسالة ، ان لم تخنى ذاكرتى هذه الجملة :

« لقد روت لى سهام كل شىء وهى خجلة تبكى ... أما خجلها فيرجع الى المستوى الذى انحدر اليه بعض أصدقائى واما بكاؤها فلانها ربما كانت تنوب عنى فى تدب صداقتنا الطويلة

وطويت الرسالة وأنا مذهول ، ثم انتبهت على صوت مصطفى وهو يقول لى :

ـ توقعت كل شىء الا هذا .. لو انها فعلت ذلك مع احدكم لكان معقولا .. لكن معى أنا ..

ومضت فترة قبل أن أعى كلماته لاسأله ما يعنى ... لم لا يستبعد حدوث ذلك مع أحدنا ويستبعد حدوثه معه هو .. وأعادنى الى ذهولى ، جوابه الجرىء :

ـ ذلك لانى الوحيد بينكم الذى فعل ذلك حقا ..

ـ فعل ذلك ؟ ... انت ؟ . طارحتها هواك وطلبت منها موعدا ؟ هل جننت ؟!

ـ قد أكون جننت .. لكن ذلك حدث ... أما الذى لم يحدث فهو ما قالته لسعيد من أنها رفضت لقائى .. ولم يحدث ذلك أول أمس كما تقول ، بل منذ شهر ...

ولم أفهم شيئا فعاد مصطفى يقول :

ـ صبرا حتى تسمع القصة التى يسبقها اعتراف قصير ، هو أننى أحببت سهام فعلا ليس اليوم ، ولا أمس ، وانما منذ رأيتها أول مرة أحببتها كما يجوز أن تحبها أنت او يحبها غيرك .. أحببتها وطويت على هذا الحب جوانحى فلم يعرفه أحد حتى هى نفسها ... ذلك هو اعترافى القصير .. أما ما حدث فهو اننى لقيتها منذ شهور .. لم أطلب منها موعدا ولم أدبر لقاءنا وانما كان ذلك مصادفة .

وفى هذا اللقاء لا أعرف كيف جرتنى هى الى الحديث عن نفسى . ولا أعرف أيضا كيف واعدتها على اللقاء فى اليوم التالى ، وان كنت أقسم انى ما رتبت ان تمضى الامور على هذا الوضع ..

وفى لقاء اليوم التالى صارحتها بحبى .. فعلت هذا وأنا أكاد أبكى لما يريبنى من تصرفاتها . واعترف انى كنت قد فقدت كل سلطان على عقلى وأعصابى . واعترف أيضا ان شبح سعيد ظل بيننا برغم ما أصابنى من انهيار ، فما لمست غير يدها فى قبلة أحسست أنها أحرقت شفتى . وانتهى لقاؤنا .. لا كما ينتهى لقاء العشاق على وعد باللقاء .. وانما كما ينتهى غرام يائس لا خير فيه . وكل ما فعلته بعد ذلك أننى كنت أحادثها بين الحين والحين بالتليفون ، فأثرثر معها بضع دقائق وما خطر ببالى مرة واحدة أن أطلب منها موعدا .. حتى كان يوم الثلاثاء الماضى ، اذ رأيتها تجلس فى سيارة الى جانب ذلك الشاب الذى رأيناه عند سعيد منذ بضعة اسابيع ،ذلك الشاب الذى قال عنه حمدى أنه قد ورث بضعة ألوف ..كانا وحدهما ، وكان يطوق خصرها بذراعه فى طريق الصحراء .. فجن جنونى ، وما كاد الصباح يطلع على حتى أمسكت بالتليفون أعاتبها فى حسرة على ما رأيت ، فاذا بها تنكر فى شدة واذا بحديثنا ينتهى وقد أغلقت المكالمة فى عنف .. ثم يكون اليوم الجمعة فتصل الى هذه الرسالة بالبريد

ويصمت مصطفى لحظة ثم يقول :

ـ كنت على وشك أن أذهب لسعيد لاقص عليه ما حدث ، لولا خشيتى مما يحل به لو عرف الحقيقة

ـ ماذا ستصنع اذن ؟

ـ لا شىء ، لا أعرف ماذا أصنع

أما أننى أبديت رأيا فيما فعله مصطفى فذلك حق .. لقد صببت عليه سيلا من اللوم والتقريع .. لم أله لانه أحب سهام بل لانه واعدها على اللقاء

لكنى فى قرارة نفسى أحسست ان ما فعله هو قد أفعله أنا وان الفخ الذى وقع فيه .. قد يقع فيه اى انسان ..

ولقد صدق احساسى حين لقيت سعيدا بعد ذلك .. فاذا به يفاجئنى برأيه .. لا فى مصطفى فقط .. وانما فى ثلاثة غيره من أفراد شلتنا ليس فيهم أنا ولا حمدى ولا محمود

نقد اعترفت له سهام .. اعترفت بأن على وعبد القادر قد

حاولا معها نفس المحاولة ، وان لم يصلا الى قحة مصطفى ..
وكان سعيد مقتنعا بما يقول ، لان دموع سهام قد استطاعت أن تنبت في قلبه أقسى الكراهية لهؤلاء الثلاثة .

أما أنا فقد غادرته تلك الليلة لآوى الى دارى مبكرا ولاجلس الى مكتبى اتأمل صورتنا .. نحن السبعة

ومرت أيام .. أيام ثقيلة كالجبال ، لقيت خلالها عبد القادر ومصطفى وبقية الصحاب فى أكثر من مكان .. الا بيت سعيد .. وكان حمدى آخر من لقيت منهم خلال تلك الايام .. لقيته وأنا فى طريقى الى بيت سعيد فدعوته للذهاب معى فاذا به يعتذر فى لباقة فلا أكاد الح عليه حتى يقول :

ـ أو تريدنى أن أصدق ما نسب الى على وعبد القادر .. ان ذهابى معناه أن أصدق ما نسب اليهما وانا لا أصدق حرفا واحدا منه .. أن اضعف الايمان الا تطأ قدماى بيت سعيد ..

ومضيت وحدى .. مضيت لاجد نفسى غريبا فى بيت غريب حتى سعيد نفسه بدا لى غريبا فى حديثه وتفكيره وتصرفاته وما استطاعت بسمات سهام ولباقتها ونعومتها ان تزيل وحشتى من هذا الجو الذى لا أعرف فيه الا وجهها ووجه سعيد

وكان سعيد فرحا فى ذلك اليوم . فقد اشترى حجرة جديدة للمائدة ، وكان حديثه كله عما اعتزمه هو وسهام من اعادة تأثيث البيت .. البيت الذى مر على تأثيثه عامان فقط ، ومضى يصور ما سوف يبدو عليه بيته حين يعمر بالاثاث الجديد

وخرجت قبيل منتصف الليل واستطعت أن أنام بعد ساعة من التفكير المضطرب فى كل ما حدث . وكانت هذه آخر ليلة زرت فيها سعيد .

ظلت الصورة فى مكانها فى الاطار الجميل بعد ذلك . ظلت بضعة شهور حتى سقطت ذات يوم اذ وهن الخيط الذى كانت معلقة به على الحائط فانقطع ، ولم أجد فى نفسى أية رغبة لتعليقها من جديد فوضعتها شقيقتى فى الصندوق الخشبى مع شتى الصور والمذكرات .. وضعتها لتنقل معى الى بيت الزوجية أثرا من آثار الشباب . وهأنذا أعيدها من جديد !

صورة السبعة الذين قتلوا قتيلا ... ويا له من قتيل غال ..

أقوى من الشرف

كان حبه لها كل شيء ! . كان
آماله ! كان نجاحه .. كان أقوى
من الشرف نفسه !!

عندما تحتفظ برسائل أصدقائك فانك تجد عملا مسليا حين تخلو لنفسك وتجلس الى هذه الرسائل وتقلب فيها .. وتقرؤها واحدة واحدة .. ان كل رسالة تستدعى بعض خواطرك عنها وتكون معها صورة لصديق أو قصة له ، ربما كانت قصة حياته كلها أحيانا .. !

انى أفعل ذلك الان وأنا جالس الى مكتبى فى هدأة الليل لا أجد ما أعمله ... أقلب رسائل أصدقاء الزمن الماضى لأفض احداها حتى تنقلنى الى ماض بعيد .. وكأنها عصا ساحر تفعل الاعاجيب .. هذه رسالة من سعيد يزف الى نبأ نجاحه فى البكالوريا .. ان الخواطر تتزاحم فى رأسى .. ليالى المذاكرة فى منزله والصحاب الاربعة الذين كانوا يذاكرون معنا .. ليالى مايو الساخنة تبعث فى سحب الدخان المنعقدة فى الحجرة لهبا .. فيصيح سعيد :

ـ لم لا يكون الامتحان فى الشتاء ؟

ويضحك ابراهيم وهو يقول :

ـ كنا برضه حانعرق لو عملوا الامتحان فى يناير !

وتتوالى الذكريات وتدخل خلالها رسائل سعيد كأنها الاعمدة الحديدية ..

ان المذكرات والرسائل تبدوان معا كبناء ضخم .. وانى لاطوف بهذا البناء .. انى أعرفه تماما ، ان خيالى يفتح ابوابا من الذكريات وكأنه يفتح أبوابا موصدة فى البناء .. انه يجوس فى الحجرات والممرات والدهاليز منذ التقينا فى المدرسة الخديوية عام ١٩٢٩

وفجأة تكتشف الذاكرة ذكرى مطوية وينفرج الطريق .. هذا جناح آخر من البناء .. يقود الى بناء آخر .. الى حياة صديق آخر كان معنا .. هذه رسالة من سعيد تذكر لى الايام السعيدة التى قضاها هو وعبد الجواد بالاسكندرية !

انى أذكر هذه الايام .. كنت قد رسبت فى المجموع فكتب على أن أقضى الصيف فى القاهرة لاستعد لامتحان الدور الثانى

.. ان سعيدا يكتب لى من الاسكندريه قائلا :

« ليتك كنت معنا ..اننانقضى هنا أياما لطيفة وقداستطعت ان ألتقط من فوق رمال الشاطىء ثلاث فتيات أوزع وقتى بينهن بالقسطاس .. وانت تعرف عبد الجواد وطبعه الحنبلى فهو يصر على ان اسكندريه بحر بالنهار ونوم طويل بالليل .. وعبثا حاولت ان « اشبكه » مع احدى الفتيات الثلاث .. وعلى فكرة سيعود عبد الجواد بعد باكر الى البلد وربما عدت انا بعده بأيام .. »

ان ذاكرتى تسوق الى القصة الان من بدايتها .. فعبد الجواد،هو صديق سعيد منذ الطفولة وهما من بلد واحد وقد عرفتهما فى وقت واحد وظلت صداقتنا قائمة حتى بعد ان تخرجنا فى الجامعة وتفرقنا فى طلب العيش .. !

وشاءت الظروف أن تجمع سعيد وعبد الجواد مرة ثانية فقد نقل سعيد الى طنطا حيث كان عبد الجواد قد فتح مكتبه وبدأ يكون لنفسه مكانا ممتازا بين محامى المدينة .. ولأدع احدى رسائل سعيد الى تتحدث :

« وتخيل عبد الجواد حين رآنى أمامه فى حجرة مكتبه بطنطا ، قضينا الدقائق العشر الاولى فى عناق وتحيات ، وقصصت عليه انى نقلت الى طنطا ، وقبل أن يمر نصف ساعة على لقائنا كنا نسير فى الطريق نحو داره ، وبعد الغداء قص على نبأ خطبته لابنة أحد معارف والده من القاهرة ، انه يستعد للزواج فعلا وقد حضرت والدته الى طنطا لتشرف على تأثيث منزله .. ان طنطا بديعة ويخيل لى انى سأقضى فيها أياما سعيدة وان كنت أحس انى مهدد بالزواج لان صديقى الوحيد فيها سيتزوج»

وتزوج عبد الجواد فعلا وحضرنا حفلة زفافه فى القاهرة وكانت ليلة لا ننساها أنا وسعيد فقد كدنا نضرب المطرب الذى غنى فى الفرح لاننا طلبنا منه أغنية معينة فلم يغنها .. وقد

شربنا أنا وسعيد وثملنا ولعلنا أضحكنا الناس فى تلك الليلة أكثر مما أطربهم المطرب الثقيل الظل ٠٠ !

وقال لى سعيد وهو يترنح ونحن فى طريقنا بعد الفرح :

ـ سهرة مدهشة ؟ ٠٠

وأجبته وأنا أكثر ترنحا :

ـ تعرف يا واد ان الجواز لذيذ ؟

وأجابنى وقد وقف متصنعا الاتزان

ـ على أن نحضر مدعوين فقط ! ٠٠

وتعالى ضحكنا وودعت سعيدا عند باب الفندق الذى ينزل فيه وقال لى :

ـ سأصحو مبكرا لاحضر سيارتى من الجراج وسأتولى نقل المحكوم عليهم بالزواج الى منزل الزوجية بطنطا بسيارتى ٠٠ لقد اتفقت مع عبد الجواد أن أمر عليه الساعة ١١ر٣٠ ٠٠

وضحكت لفكرة استيقاظه مبكرا فقد كان الفجر يؤذن حين استأنفت أنا السير الى منزلى ٠٠ وسافر عبد الجواد وعروسه الى طنطا فى سيارة سعيد بعد ظهر اليوم التالى وعاشا حياة هانئة طيبة ٠٠ حياة لمست أنا مقدار بهجتها حين ذهبت الى طنطا بعد ذلك بعدة شهور وتغدينا ومعنا سعيد !

كان كل شىء ينطق بأن عبد الجواد سعيد ٠٠ البيت المنظم الانيق والعذوبة التى يتحدث بها الزوجان ونظرات الحنان التى يتبادلانها ، كل شىء يدل على ان زواج عبد الجواد كان موفقا٠

وقال لى سعيد بعد ذلك انه يقضى أغلب وقته معهما وانه سوف ينتهى به الامر الى الزواج !

واذا ضمنت انى سأجد زوجة مثل منيرة فثق انى سأتزوج فورا ٠٠ ان عبد الجواد زوج مثالى حقا لكنه لم يكن ليحظى بهذه السعادة لو لم تكن زوجته ، بدورها ، زوجة مثالية !

وقص على سعيد كيف فتح زواج عبد الجواد ابواب الرزق أمامه فقد اتسعت أعمال مكتبه ففكر فى أن يفتح مكتبا اخرفى المحلة الكبرى وان منيرة تشجعه على ذلك وستسافر معه الى المحلة لتشرف على تأثيث المكتب !

وبعد الظهر اجتمعنا أنا وسعيد وعبد الجواد ومنيرة فى شقة سعيد لنشرب الشاى ورأى عبد الجواد تمثالا لطيفا من البرونز على مكتب سعيد ، تمثالا لفتاة تحمل قيثارة أعجب به وسأل سعيدا من أين اشتراه ، وصمت سعيد برهة ثم قال :

ـ تعرف لقد كنت أفكر منذ مدة عنمكان هذا التمثالالملائم لقد تذكرت الان ، انه ظهر انبيانو الفخم فى منزل الاستاذ عبد الجواد ، يجب أن نصحح الاوضاع !

وحمل عبد الجواد التمثال بعد الحاح سعيد الى منزلهوقال سعيد وهو يودعنى على محط طنطا :

ـ كنت أبحث عن مكان نظيف أضع فيه هذا الاثر الغالى٠٠ الحمد لله الذى أعجبهم التمثال ٠٠ انت تعرف كم هو غال عندى

وكنت أعرف فعلا قصة هذا التمثال ٠٠ انه الاثر الباقى لسعيد من شقيقه الذى توفى فى باريس منذ أعوام وهويدرس الفن ٠٠ التذكار الوحيد الذى أرسله لسعيد قبيل وفاته بأسابيع ٠٠ وكان سعيد يحتفظ به ويحرص عليه !

ان حياة الزوجين تمضى فى طريقها ورسائل سعيد تصل حلقات الذكريات ٠٠٠ فى كل منها ذكر لعبد الجواد وأخباره، لقد أصبح عبد الجواد من أشهر محامى طنطا ونجح مكتبه فى المحلة ٠ وهو يذهب الى المحلة ثلاث مرات فى الاسبوع ٠٠وفى كل رسالة من رسائل سعيد يأتى ذكر عبد الجواد ، فهو منذ حضرت شقيقته لتقيم معه فى طنطا يرى عبد الجواد وزوجته

كل يوم تقريبا بل ويقضيان معا أغلب الليالى .. وفى احدى هذه الرسائل يقول :

« .. اننا الان كأسرة واحدة وقد كان لمنيرة الفضل الاكبر فى أن تنسى شقيقتى نكبتها فى زواجها فهى تزورها باستمرار وعندما تضطر للبقاء فى المنزل تصر علـــى ان تدعو شقيقتى لتقضى اليوم معها .. كنت وعدتنا ان تحضر فى شم النسيم فأرجو ألا تنسى وعدك وســـوف تحضر شقيقتى الصـــغرى وزوجها وأخى أحمد وربما حضرت والدتى أيضا وســـتكون فرصة لترى أسرتى ما دمت لا تراها ولا تزور أحدا منهم فى القاهرة » !

وقد وفيت بالوعد وذهبت لاقضى مع الصحاب شم النسيم فى حديقة أحد اصحاب سعيد من أعيان طنطا وكان يوما لطيفا وقص على سعيد ما لم يخبرنى به من قصة شقيقته فقد كانت متزوجة برجل محترم يشغل منصبا كبيرا ثم دب بينهمـــا الخلاف أخيرا اذ نقلت اليها احدى صديقاتها نبأ علاقة بين زوجها واحدى الراقصات مما أثارها وعبثا ذهبت الجهـــود لاصـــلاح ما بين الزوجين فقد أصرت على الطلاق وتم الطلاق فعلا وقـــد دعاها سعيد للاقامة معه فترة لتسرى عن نفسها .. فقدكانت المسكينة تحب زوجها برغم كل ذلك !! وبعـــد شم النسيم جاءتنى رسالتان من سعيد خلال شهر ، وانى أعترف انشيئا فى الرسالتين لم يسترع اهتمامى اول الامر ، فى الاولى يجىء ذكر عبد الجواد وزوجته فى سطر واحد .. مجرد ملء خانة تعود ان يملأها سعيد .. !

« .. سافرت شقيقتى الى مصر لان موعد نظر القضية التى

رفعتها لضم طفليها اليهاقد حان وقدزرنا عبد الجواد وودعتهما شقيقتي وهما بخير ، وقد قال لى عبد الجواد انـه كتب لك ليهنئك بالدرجه ٠٠ »

أما الرسالة الثانية فقد كانت بعد ذلك بأسبوعين وكنت قد سمعت أن شقيقته قد ربحت قضيتها وحكمت المحكمة نهابضم الطفلين فكتبت لسعيد أهنئه بهذا النصر السخيف خصوصا وانه كان مهتما بالقضية اهتماما كبيرا مصدره لهفة أخته عـلى طفليها الصغيرين اللذين انتزعهما الاب منها وأخفاهما عنها٠٠ وكتب سعيد يرد على رسالتى وينبئنى بمساعى الصلح التى يبذلها زوج شقيقته وانه كتب لابيه بألا يتشـدد وان الاولى أن يتصالح الزوجان بعد أن رأى بعينيه مدى حالة أخته بعد الطلاق ٠ وفى هذه الرسالة ورد ذكر عبد الجواد مرة واحدة وفى جملة واحدة ! ٠٠

« ٠٠زرت عبد الجواد امس وهو يهديك أزكى تحياته ٠٠»!

أما ما وراء هذا التطور فى رسائل سعيد فهو ان عبد الجواد اضطر الى أن يزيد نشاطه فى مكتبه فى المحلة وأصبح يذهب اليها أربعة ايام فى الاسبوع وبدأ يركز قضاياه فى يومين فى طنطا هما الاربعاء والخميس ثم يسافر السبت والاحد والاثنين والثلاثاء الى المحلة ، يسافر كل يوم بأول قطار ويعود آخر النهار ولذلك وجد سعيد أنه من الارهاق ان يزوره فى غـير أيام الخميس أو الجمعة وكان يحضر الى مصر فى كل اسبوعين مرة فأصبح بذلك لا يزور عبد الجواد الا كل اسبوعين مرة٠٠ ان الحياة مشاغل ٠٠ هكذا قال لى سعيد وهو يحدثنى عن تزايد عمل عبد الجواد وعن انشغاله هو فى عمله المصلحى

« تصور أننى أذهب الى مكتبى صباحا ومساء بعد ان مرض أحد زملائى وتحولت على أعماله » ..

ان كل شىء يمضى فى طريقه طبيعيا حتى تصل الى هذه الرسالة التى أقرؤها الان .. أقرؤها متماسكا شعورى وأكاد أتخيل شعور سعيد الذى تنم عليه سطور رسالته ..

« انى أكتب لك هذه الرسالة وأنا أكاد أحترق من الحيرة والقلق .. ولا أدرى هل لى الحق فى هذه الحيرة او لا .لقد حاولت أنا شخصيا ان أصل الى تفسير فلم أوفق . ودعنى أقص عليك ما حدث أولا .. وأرجوك اذا اهتديت الى حل ان تخبرنى به .. اننى شخصيا لا اجد حلا .. ولا تعليلا .

فى الاسبوع الماضى خرجت يوم الثلاثاء من مكتبى فى الساعة الثانية عشرة ظهرا وكان معى أحد زملائى فى العمل لنقوم بمعاينة منزل تريد ان تشتريه الحكومة فوجدت منيرة تغادر منزلا من المنازل الجديدة التى بنيت فى نهاية شارع « .. » ، هذا ما حدث فى صورته المبسطة .وما رأيته فلم يلفت نظرى بالمرة خصوصا وان منيرة لم ترنى .. وفى عصر ذلك اليوم مر على بالمنزل عبد الجواد ليدعونى للعشاء احتفالا بعيد زواجه زاعما انه قد اخفى ذلك عن زوجته ليفاجئها واخفاه عنى لكيلا اتعب نفسى فى احضار هدية والوقت اخر شهر ، وذهبنا للعشاء وقضينا وقتا لطيفا ، ونسيت بالمرة انى رأيت منيرة فى الصباح نسيت ، لولا ان طرق اذنى صوت منيرة تقول لزوجها :

ـ زرت اليوم اسما هانم وقضيت عندها ساعتين وقد تحسنت صحتها ويقول الدكتور انها ستغادر الفراش بعد شهر على الاكثر .

وانت لا تعرف اسما هانم بالطبع ·· ولكنى اعرف انهـا زوجة القاضى الشرعى وهى سيدة محافظة ، وهذا لا يهمـك بالطبع لكن المهم هو ان اسما هانم هذه تسكن فى ناحية نائية من مدينة طنطا ، فى الطرف الاخر من المدينة ، ذكرت اذ ذاك فقط ما حدث ظهر ذلك اليوم وقفز الى ذهنى مالم انتفت اليـه أول الامر ·· المنزل الذى رأيت منيرة تغادره ؟ اننى اعرفمن يقطنه · فى الدور الاعلى احد تجار المدينة متزوج بسيدة يونانية لا تزور احدا ابدا وهى لا تتكلم العربية ولم يمض على زواجهما شهور · وفى الدور الثانى يقيم عبد الستار افندى كبير كتاب المحكمة الاهلية وهو رجل محافظ حتى ان نوافذه على الشارع لا تفتح أبدا ·· ولا اعرف ان زوجته صديقة لمنيرة ·· ويبقى بعد ذلك الدور الاول ·· ان ساكنه هو الشاب الرقيع الدكتور محجوب ولا اخالك قد نسيته · انه صاحب صديقنا حسـان وصاحب الحديقة التى قضينا فيها شم النسيم والذى كاديقتلنا انا وانت بنظرته ولا ادرى كيف يطيقه حسان ·· هل يمكن ! انك ستقول ذلك ·· وانا ايضا قلت ذلك لنفسى اكثر من مرة، واستبعدته بعنف اكثر من مرة لكنه مع ذلك كان ، وللاسـف الشديد الحقيقة بعينها ·· فمنيرة تذهب الى هذا الوغـد فى منزله ، واليك البرهان ·· فقد دعانى حسان بعد ذلك بيومـين لسهرة عنيفة فى منزله ·· سهرة وجدت فيها الدكتور محجوب واخذنا نشرب ·· انت تعرف انى اقلعت عن الافراط فى الشرب لذلك شربت كأسين فقط ·· اما هو وحسان فقد شربا حتى ثملا واخذا يثرثران ·· وسمعت وسط الثرثرة لسان هذا النـذل يلفظ اسم منيرة ، فاعتدلت فى جلستى ويظهر انه لحظ ذلك

منى فحاول ان يدير الحديث ، ولا ادرى من اين جاءنى اندهاء اذ ذاك ·· لقد ابتسمت ونظرت اليه فى خبث وقلت له :

ـ سبحان الله ·· حانخبى على بعض ·· ما احنا عارفين ·· وكانى بذلك قلت له كلمة السر ·· فقد انطلق فى عنف يمزق الثوب الابيض الجميل ·· ثوب الطهارة الذى كانت تتشح به منيرة امام عينى ، لقد تعرف بها قبل ان تتزوج ، ثم رآها فى طنطا وجددا عهد الصداقة ·· جدداه فى هذه المرة على حساب صديقنا عبد الجواد المسكين ، انه هو الذى يهمنى فى الموضوع اننى اكتب لك هذه الرسالة وانا لا اكاد اتصور كيف سأرى منيرة بعد ذلك وهل سأتمالك نفسى عن احتقارها ·· اليوم هو الاربعاء والمفروض اننى سأراها غدا ·· سأراها وهى تبتسم فى حنان وتتكلم فى عذوبة تفيض على عبد الجواد المخدوع فلا يدرى شيئا مما حوله ·· انى اكاد انفطر حزنا واتفجر غيظا ولن استطيع ان اكتم الامر عن عبد الجواد طويلا · خير له ان يعرفه منى وبطريقتى الخاصة من ان يعرفه قصة فاضحة تملأ كل الاسماع قبل ان تصل اليه · عندئذ سيكون الوقت قد فات لانقاذ سمعته ·· »

انى اذكر الان كيف فجعنى هذا النبأ ، ليس من اجل عبد الجواد ولكن فجيعتى العظمى كانت فى منيرة ··· تلك السيدة التى احترمتها واحببتها لانها زوجة طيبة فاذا بها تنهار امام عينى كما ينهار تمثال من الرمل · وراعتنى فكرة سعيد ولم اكن ارى رأيه فى اطلاع عبد الجواد وكنت اظن ان محاولة مع منيرة ، محاولة لتقويمها قد تجدى ، ولقد كتبت لسعيد فعلا واعترف انى لم اكن مقتنعا بان مثل هذه الزلة ممكن اصلاحها ، لذلك

كانت رسالتى على ما اذكر مجرد دعوة الى التمهل والتريث ،ولم اقترح عليه ان يواجه منيرة بجرمها ·· وتخيلت موقفى انا لوان زوجتى خانتنى فوجدتنى أؤثر الف مرة ان اعرف خيانتها واضع حدا لصلتها بى ·· ذلك خير الف مرة من ان اكـــون انزوج المخدوع ··

وسبق السيف العذل !!! فقد وصلت رسالتى لسعيد بعد أن كان قد قام ، كصديق شهم يغار على عرض صديقه ، باطلاع عبد الجواد على كل شىء ·

واعترفت منيرة ·· وكتب سعيد فى رسالته التالية يقول :

« ·· أؤكد لك انى احسنت صنعا ·· لقد ماتت الفضيحة فى مهدها ·· واجه عبد الجواد زوجته فاعترفت وعرض عليها الطلاق فقبلت ·· وقد تم كل شىء فى هدوء ودون ضجة وعادت منيرة امس الى القاهرة وكان الله فى عون عبد الجواد فى الايام القليلة المقبلة ·· انه سوف يعانى بضعة ايام ثم ينسى ··وانا لا اغادره دقيقة واحدة ، لقد كانت الصدمة قوية عليه لكن عبد الجواد رجل وسوف يفيق منها » ··

هل افاق عبد الجواد ؟؟

لقد ظننت ذلك كما ظن سعيد ، ولكن ما حدث بعد ذلك كان مروعا ·· لقد اخذ يصفى اعماله فى مكتب المحلة بحجـــة ان اعصابه لا تحتمل كثرة السفر ·· وفى طنطا ظل مكتبه ناجحا ولكنه اختفى عن انظار اصدقائه فكان يأوى كل مساء الى منزله فلا يغادره ·· وقد احس سعيد نفسه بعد مدة ان عبد الجواد يؤثر ان ينفرد بنفسه فكتب الى فى احدى رسائله يقول :

« لا ادرى ماذا حل بعبد الجواد ·· انه انقطع عن كل الناس

حتى عنى انا .. انه يزعم ان وراءه عملا كثيرا وانه يشتغل فى المنزل .. لقد زرته مرتين فأحسست انه يتمنى لو تنتهى زيارتى سريعا .. »

وقابلت عبد الجواد بعد ذلك فى القاهرة فراعنى لقاؤها الفاتر وتحيته السريعة وشرود ذهنه . ثم تعجله الانصراف .. ان الحوادث التالية كشفت عما تطور اليه حال عبد الجواد فبعد عام واحد كتب الى سعيد :

« لقد صفى عبد الجواد اعماله فى طنطا لكى يفتتح مكتبا ، فخما فى القاهرة ، وانا لا ارى فى ذلك خطأ فعبد الجواد محام ناجح وميدان القاهرة اوسع ومنه ينتقل لميادين كثيرة من النشاط .. ربما كان النشاط السياسى احدها .. وهذا الميدان يوصل كما تعرف الى الوزارة احيانا ، ولعلك تذكر ان عبد الجواد كان يتمنى دائما ان يصبح وزيرا للعدل لان قوانين كثيرة فى حاجة الى الاصلاح والتعديل وسوف يكون هو الوزير الذى يجرؤ على اجراء هذا التعديل .. »

هذا ما قاله سعيد فى رسالته اما ما رأيته انا فقد كان عبد الجواد نفسه .. بعد هذه الرسالة بايام رأيته يجلس على مقهى فى شارع عماد الدين .. لقد هب للقائى وبعكس لقائه الاول احسست انه يريد ان يثرثر معى فجلست واخذ يحدثنى عن مشروعاته .. انه سيفتح مكتبا كبيرا فى القاهرة فى افخم حى من احيائها . وسيشتغل الى جانب ذلك بالتجارة ويحشر نفسه فى الاوساط الاقتصادية . لقد كان نجاحه فى طنطا سهلا وسوف يكون نجاحه فى القاهرة اسهل .. وتركت عبد الجواد تلك الليلة وانا مغتبط حقا بقوته واحتماله وروحه المتجددة وتمنيت

له التوفيق فى حياته الجديدة ٠٠ وقابلت عبد الجواد بعد ذلك ثلاث مرات فى نفس المقهى وكان كما قال لى بعد العدة لانشاء مكتبه الجديد واخذ يذكر لى الاماكن التى رآها والاحيـاء التى سيختار فى احدها مكتبه ٠٠ وكان يحمل فى جيبه رسوما٠٠ لتصميم حجرة المكتب وغرف الموظفين وصانون فاخر لاستقبال زوار المكتب ٠٠

ومر عام ورأيت عبد الجواد فى نفس المقهى ، كان يجلس الى ثلاثة من اصدقائه قدمنى اليهم واعترف ان اسما منهم لم يسترع انتباهى وانما استرعى انتباهى هيئة هؤلاء الاصدقاء ملابسهم الرثة وطريقة حديثهم ، ليس فيهم محام واحد من زملائه ٠٠ كلهم اساتذة ولكننى لم اعرف فى أى شىء ٠٠ ان طريقة حديث عبد الجواد نفسها لم تعجبنى ٠٠ ثم كؤوس الخمر الفارغة على المائدة واطباق المزة ، ان الجو كان جـــو سهرة لا جو حديث عن العمل

ومال على عبد الجواد هامسا ـ الاستاذ الانصارى ده تاجر مهول وحا يشترك معايا ٠٠٠

وكنت على وشك ان اسأله عما تم بمكتب المحاماه لولا ان استطرد هو :

ـ وعلى فكرة انا قررت ان اترك المحاماه !

ونهضت بعد مدة وجيزة وقد تملكنى الاسى ، الى أين يسير عبد الجواد ؟ ترى هل هو يحطم حياته الان ؟ او هو يبنى حياة جديدة حقا ؟؟

انه كان يحطم حياته اذ ذاك ٠ كان يقوض البناء الضـخم الذى شاده منذ ولج باب المدرسة طفلا ٠٠ الى يوم اصـــبح

محاميا ممتازا ·· كان يقوضه فى نوبة يأس كما يقوض المثال التمثال الرائع حين يجهد الناس عمله ··

اجل كان يهوى على ماضيه المجيد بالمعول ·· كان يهوى ببطء ولكن فى قسوة وعنف ·· لم يستأجر مكتبا للمحاماه وانما ظل يقضى يومه على المقهى وتدرج من الكأس الى الكؤوس وتهاوى ما جمعه من مال والتف به هؤلاء الاوغاد الذين اسماهم اساتذة فعجلوا بافلاسه ··

ان الثقافه والعلم والمدنية وكل صفاة الفضيلة ·· بل كل ملكات العقل نفسه ليست سوى عادات تقتلها عادات مضادة· لنأخذ النظافة مثلا ··رباط الرقبة الانيق ··وانى لاذكر كيف كان عبد الجواد يعنى برباط رقبته واذكر كيف كان يعنى بوضع منديله الحريرى فى جيب الصدر · ان عبد الجواد هذا اختفى بعد عامين ليحل محله شخص مهمل الهندام قد تعقد رباط رقبته وتدلى الى صدره وتكوم منديل الصدر كانه خرقة تطل من ايلجب · ان سحب الفاقة لم تجر ذيولها على ثيابه فحسب وانما مشت الى عقله ·· عقله المرتب المنظم الذى يسكب افكاره على نسانه فى اناقة وتمهل قد استحال خلية نحل اختلطت بها معارفه ·

لكأن عقله قد اهتز هزة عنيفة خلطت ما فيه خلطا فظيعا وأسالته فى عنف على لسانه ·· انه يثرثر ·· عبد الجواد المنطقى المحاذر قد اضحى ثرثارا مشوش الحديث ·· حتى لغته المهذبة قد حلت محلها لغة سوقية لا يتكلم بها المتعلمون ·

كذبت نفسى حين لقيته بعد ذلك عدة مرات فى ان الذى اراه واحدثه هو عبد الجواد وفى كل مرة كنت اراه احس ان

شيئا قد اختفى من معالم الصديق القديم . حتى استحالت على معرفته ذات يوم وحتى اضطر ان يناديني مرة وهو يعبر الطريق قائلا :

ـ انت نسيتني .. ؟! وقلت في حرج :

ـ أنا ابدا .. انني لم أرك .

وكاد نسياني يقول : لم أعرفك ، وكرر وهو يرتعش :

ـ لا ابدا انت نسيتني ، نسيت عبد الجواد

وكدت أقول له انه هو الذي نسي نفسه .. بل نسي عمره، او أنسي هذا العمر ، فاخذ جسده يرتعش كأنه شيخ محطم بال ..

ـ انت معاك فكه .. ؟

وترنحت لحظة .. هذه اللهجة اعرفها .. اعرفها من طبقة معينة من الافاقين .. طائفة تجلس احيانا الى جانبك في المقهى او تلقاك في الطريق .. او تزورك في مكتبك . طائفة تعرف واحدا منها بلا شك اذا كنت من رواد المقاهي او الملاهي .. بعضهم انيق وجيه ، وبعضهم مهلهل الثياب . لكنهم جميعا يتساوون في الاستجداء . بنفس التعبير الانيق الوجيه

ـ معاك فكه ؟

لكن عبد الجواد ليس افاقا .. ومددت يدي فاخرجت حافظة نقودي وفتحتها لعبد الجواد . وقال عبد الجواد وهو يمد يده:

ـ لا .. انا عايز خمسين قرش بس .. متشكر .

ولوى وجهه وسار ، واستطعت ان المح قطرات الدم الاحمر الباقية في عروقه وهي تصعد الى وجنتيه ضعيفة باهتة ... انها قطرات خجل على اي حال .. ما زال هنـــاك . . . وراءها .. اثر من عبد الجواد الصديق ..

لكن هذا الاثر اختفى على مر الايام .. واصبح عبدالجواد اقل حياء وخجلا . واعترف انني بدأت اضيق بسطواته ..

وانني قصرت محفظتي وبدأت احدد بنفسي ما اعطيه له ... ثلاثين قرشا .. عشرين قرشا .. عشرة . خمسة .

ثم !! ثم وجدته يترنح من السكر ذات مرة ، واشفقت على امعائه من السم الزعاف الذى تستطيع أن تقدمه له القروش الخمسة فقلت :

ـ ليس معى فكه يا عبد الجواد !

ولم يكن فى العروق قطرات باقية من الدم الاحمر . ولم يلو وجهه .. وانما قال :

ـ ولا قرشين صاغ ..

ودفعت له بضعة قروش ، وسرت فى طريقى .

بدت لى الحياة اذ ذاك شائهة دميمة .. دمامة حاضر عبد الجواد المعتم القذر .. الحمد لله .. هكذا يدفعنا حب الذات احيانا كلما قارنا بين انفسنا وبين غيرنا من المنكودين احيانا لان نقول . انحمد لله .. ان الله يعلم ان فى هذا الحمد احيانا من الملق اكثر مما فيه من الايمان . انى اجمع الان حزمة الرسائل من جديد . رسائل الاصدقاء ، واضعها فى الصندوق وكأنى اضع الماضى خلف ظهرى .. واحاول ان انسى قصة عبد الجواد بعد ان انتهت .. بعد ان جست خلالها . مااعتم حجراتها الاخيرة وما أفسد هواءها ! . انى لاحس حاجة لكى اخرج الى الحياة .. الى الهواء والنور بعد هذا الظلام ..

وربما ظن من يقرأ هذه السطور انى قصرت فى سرد انقصة لقد الف الناس ان يطووا ابطال القصص فى الاكفان ، او يكسوهم ثياب الزفاف .. او يصعدوا بهم الى اعلى درجات المجد او يهبطوا بهم الى اسفل دركات الحضيض .. الف الناس دائما ان يعرفوا مصير ابطال القصص . ان مصير عبدالجواد هو هذا الحضيض حيث خلفته تلك الليلة يجر قدميه المرتعشتين ويتجه وقد امسك بالقروش فى يده المتدلية نحو

اقرب حان . وحين خلفته بعد ذلك عشرات المرات يسير فى نفس الطريق وقد ازداد انهيارا ... وانى لاذكر .. اخر ذكريات شبحه المتداعى ، يوم مر على عبد الجواد ساعة الغروب وانا جالس اقطع الوقت فى انتظار موعد .. كان المقهى خاليا فدعوته الى الجلوس وطلبت له فنجانا من القهوة واخذت استمع الى ثرثرته .. ثم سألته وقد حان موعدى وتأهبت للخروج ..

ـ الا ترى منيرة ابدا يا عبد الجواد ..

انه لم يجب على سؤالى ، وانما ضحك .. ثم مرت بجبينه سحابة كئيبة سرعان ما اختفت وعاد الى ضحكه .. وما زلت اذكر نظرته التى صحبت هذه السحابه .. لقد كانت نظرة رأيت فيها عبد الجواد الذى اعرفه .. نظرة فيها معنى هائل نظرة تجعلنى الى الان كلما ذكرت عبد الجواد اسأل نفسى هذا السؤال ، ترى الى اى مدى اصاب سعيد حين صارح عبد الجواد بخيانة منيرة ؟؟ .. انى لاشك احيانا انه أصاب !!

جاء الخريف

عبث بربيع حياته ..حتى اذا جاء
الخريف وجد نفســـه وحيـدا ..
كالورقة الذابلة ...

فى سن الثامنة عشرة قد تتجرد الفتاة من الجمال ولكنها مع ذلك ككل فتاة ، تحتفظ بشىء نادر ، يضفى ، على الدمامة نفسها أحيانا شيئا من السحر ! ولقد كانت اقبال من هذا النوع مع تعديل بسيط هو انها ليست دميمة ... كانت تتمتع بالشباب وبعدم الدمامة معا ، وكان فيها هذا السحر اللازم لغير الموهوبين من شبان الطبقة المتوسطة .. مجرد فتاة وعاطفة تسند الغرائز وتقف الى جانبها اذا ما صرخت..

وقامت اقبال بمهمتها فى الحياة خير قيام ، وكانت المدرسة تتحدث عن اقبال ومغامرتها كما تتحدث عن اعلام السياسة ونجوم السينما ، مخلوق غريب ليس من طينة الطالبات وانما هى عجينة اخرى .. عجينة مرنة كالمطاط .. تسمح بتسلق الاسوار والقفز من النافذة والخروج من عنبر النوم فى أعماق الليل زحفا على اطرافها كما تزحف الافاعى عندما يدفأ جو الغرفة بانفاس الطالبات الغارقات فى الرقاد .

وفى يوم من ايام الشتاء الباردة زحفت اقبال من عنبرالنوم وخرجت الى الحديقة وتسلقت السور وهبطت عند الشجرة الملاصقة للحوش الخلفى للمدرسة وقابل آدم حواء وخرجا . لا من الجنة .. وانما من القاهرة وضواحيها ، فى مغامرة كانت اخر مغامرات اقبال المدرسية ، مغامرة عادت منها الى بيت آدم ذليلة كسيرة ، لتلقى مصير كل امرأة تسلم نفسها الى رجل قبل عقد انزواج . . وقال آدم واسمه الحقيقى حسين ، لحواء المخدوعة ذات يوم :

ـ رفضت امى ان تزورنى لقضاء بضعة ايام عندى

وسكت ٠٠ ٠ وفهمت اقبال لانها لم تكن غبيـــة ما يعنى ، وقالت :

ـ سأذهب عند سميرة بضعة ايام ٠٠

وعلقت فى انكســـار وأسى وقد غاص صوتهـــا فى اعماق نفسها الجريح ٠٠

ـ ان أمك على حق ، كيف تأتى وســـيدة البيت امرأة غـير مشروعة ٠

ومن الانصاف لحسين ان نقول انه تأثر لتعليقهـا ورثى لحالها ، دون ان يربط فى هذا الرثاء بين حياته وبينها ٠٠٠ حتى لقد فزع من مجرد تخيلها سيدة مشروعة ، لبيتـــه هو ٠٠٠ انه تخيل ذلك لكن كما يتخيل الانسان حلما مفزعا سوف يمر به خلال الليل ٠٠٠ حلما لا يراه ويتمنى الا يراه ٠ ومع هذا فقد تحقق الحلم المفزع بعد هذا الحديث بايام على ثلاث خطوات ٠٠ كانت الخطوة الاولى يوم قالت له امه حين ودعته فى طريقها الى القرية :

ـ لكم اتمنى لو تستقر حياتك يا ولدى ٠٠٠ ان رائحـــة بيتك تنقصها انفاس امرأة ٠٠

وأوشك أن يقول لها أنه كره رائحة هذا البيت لكثرة ماتردد فيها نفس اقبال ، ولكنه ابتسم وسكت وكان هذا جوابه منذ سنوات كلما حدثته عن المرأة انتى يجب ان تملأ فراغ البيت وتغمره بانفاسها الزكيه ٠٠

ولكن عندما احتواه البيت وحده اخذ يتأمل موقفـــه من اقبال وقد احس فعلا خلال اليومين اللذين قضاهما وحيدا بعد سفر أمه وقبل أن تعود اقبال ، أحس ان اقبال كائن ،فى حياته

انها تغنيه عن خادمة طوال ايام الاسبوع ، وتغنيه عن الغسالة يوم الثلاثاء ، وتغنيه عن خائط الثياب ... اجل انه الان فعلا يرتدى جلبابا من صنع يديها .. وجواربه لا يحس يوما انها تمزقت ..

ما اعظم فوائد اقبال ! وكانت هذه الجملة التى دارت فى رأسه دون ان تخرج على لسانه اول خطوة فى تحقق الحلم المفزع ...

اما الخطوة الثانية فقد كانت بعد ذلك بشهور قلائل ، فلأمر ما غضب حسين من اقبال فطردها من منزله ، وأوت اقبال الى منزل خالتها بضعه ايام ثم انتقلت الى منزل شقيقتها ولم تجد غير ما وجدته عند خالتها من فتور وجفاء ، فلم تلجأ الى حسين تواً وانما لجأت الى احد اصدقائه وانى صديق ثان . ثم الى صديق ثالث وتجمع اصدقاء حسين عليه يدافعون عن حق الفتاة المهضوم وشرفها المضاع ...

قال احد اصدقائه : انه ليس رجلا ان ترك اقبال تتضور وهو الذى خرج بها من مدرستها وفرق بينها وبين اهلها ..

وقال الثانى : انه لو كان منه لما تردد فى الزواج منها لحظة!

وقال الثالث :

انه يستطيع ان يحتفظ بها فى منزله ثم يعيش بعد ذلك الحياة التى يريدها ! .

وكان الثالث أقرب أصدقائه الى منطقه .. منطق الرجل ذى الخامسة والثلاثين الذى أشرقت له الحياة وطلعت عليه شمسها باندفء ، الحياة التى يريدها خارج المنزل ، والزوجة التى يريدها رجل فى مثل تحرره وانطلاقه ، ان اقبال فعلاهى

مثال هذه الزوجة ، وهل تستطيع أن تكون غير ذلك ؟ غير الزوجه من الجانب المادى البحت ؟ المرأة التى تعمل بالنهار فى المنزل وتأوى آخر الليل قريبا من الفراش تنتظر بجوار النافذة عودة السيد ؟

لقد عاش حسين سيدا فعلا ، اذا كان السيد هو الرجل الذى يملك كل الحقوق وتخطئه كل الواجبات ·· كما عاشت اقبال الرقيق الذى يشتريه الرجل بمغامرة فى الغابات او بدفع ثمنه نقدا على يد مأذون !

وكانت اقبال من النوع الاول · رقيق مغامرة ، صك امتلاكه غير مكتوب · !

حتى جاء يوم نقل فيه حسين الى وظيفة تفرض فى صاحبها حسن السمعة ، فقضى فيها عاما يقدم فيه اقبال الى أصدقائه على أنها زوجته ، فلما لم يجد غضاضة على مسمعه من تلقيبها بالزوجة ، ذهب بها يوما الى المأذون وعاد بها زوجة شرعية قد تم تدريبها على أن تقوم بدور الرقيق الذليل ··

ولم يغير عقد الزواج شيئا من أوضاع البيت فقد ظلت اقبال فى مكانها ، على هامش حياة حسين ، والسهم الاخير فى جعبة غرائزه والمخلوق الاخير الذى يفكر فيه ··

وكان الذين يعرفون حسين جيدا يدركون مسرحياته المزدوجة ، حياة الزوج الذى يعيش كالعزاب ، أما الذين لا يعرفونه فكانوا يرون فى اقبال زوجة مثالية يحتاج الى مثلها كل زوج متحرر يحب الانطلاق · !

وفى ظلال هذه الزوجيه الفريدة عرفت حسين ، عرفته فى احدى السهرات ، وكانت تجذبنى الى معرفته مقالاته الرنانة

فى الصحف عن الفن والحياة الفنية ، وحديث مغامراته التى لا يخلو منها مجلس ، وازداد تعلقى به حين عرفته فوجدت فى حديثه ومجلسه أكثر مما يسود ما يكتبه من مرح ، وحببه الى ميله الى الدعابة فى كل شىء والسخرية بكل شىء ..

كنت اذ ذاك فى شرخ الشباب ، وكانت الحياة فى نظرى ميدانا فسيحا من العبث أن نملأه بالجد ، وطريقا طويلا لن نقوى على قطعه صامتين ، وأمثال حسين بلا شك يفهمون جيدا ان الطريق طويل ممل لن يؤنس وحشته الا رنين الضحكات ، وأمثالى أنا ، وانا أصغر من حسين ببضع سنوات ، فى حاجة الى دراسة فلسفته وحياته لينسجوا على منوالها ! ..

وقلت لحسين ذات ليلة : أنت تعجبنى فى الحياة ، وانى لأعجب كيف تسوس حياتك ، ألا تحاسبك زوجك عندماتعود الى البيت ساعات الفجر ؟ قل لى بالله ماذا تفعل عندما ترى وجهك فى الصباح ؟

فأجابنى وهو يضحك :

– تفعل ؟ تعد لى طعام الافطار وتتسلم منى مصروف البيت وتقص على ما فعلت فى أمسها وتسألنى بين الحين والحين ثوبا او حلية ماذا تريدها أن تفعل ؟

– تغضب مثلا او تحاسبك ؟

تحاسبنى على ماذا ؟ على أنى استمتع بربيع حياتى ؟

ولم ينتظر جوابى بل مضى يضحك حتى اذا أفرغ من صدره قدرا من المرح مضى يقص على قصة زواجه

باقبال .. تلك القصـــة التى رويتها لك والتى ينزل عليهـا ستار الفصل الاول من حياة حسين !

أما الفصـل الثـانى فانه يبـدأ دون جلبـة ولا مقـدمة بل حتى ولا استراحة قصيرة .. انه مجـــرد امتداد لنهاية الفصل الاول فحسين يعيش كما هو ناعما بكل ما فى الحيـاة من متعة يستطيع أن يهبها له المال والاسم اللامع . ان عيب هذا الفصل هو انه طويل وممل ومناظره متكررة .. بل هـو منظر واحد يتكرر ، حسين ينتقل من مغامرة غرامية غريبة الى أخرى مثيرا حول اسمه دائما ضجه ولمعانا ، والفضائح كمـا نعرف جميعا تضفى على الافراد ثوبا يجعلهم فى نظرنا شيئـا غير البشر ، ثوبا من النور يجذب فراشات الليل الضـالة .. وكم من فراشة احترقت عـلى حافة الثوب المنير ، ولم تلبث على غلالته الا ريثما تمر بها ريح عابرة ، او تطؤهاأقدام فراشه أخرى ضالة ..

هـذا هـو الجزء الايمن من المنظر ، الجزء انواقع بعد باب منزل حسين مباشرة ..

أما الجزء الثـانى فهـو اقبـال فى البيت تتلقى كلمغامرة من مغامرات حسين على أفواه صديقاتها وفى صـفحات الصحف وهى أقل اكتراثا من خادمة ، تسمع بأنباء غرامياته صـاغرة ساكنة وكأنما تؤمن ايمانا راسخا بأن كل مزاياها كزوجةهى خضوعها كرقيق ليس عليه ان يحس او يتألم ..

انك ستلحظ بعض التغيير قبل نهاية هذا الفصل ، لقـد استغرق فعلا اثنى عشر عاما رتيبة تمضى على منوال واحد ، لكن العام الاخير فى هذا الفصل طويل تدب فيه الشـــعرات

البيض فى مفرق حسين ويمضى دبيبها الى جسمه وبشرته فى بضع نفضات تعلو جبينه وتنتشر على صفحته ..

ليس هذا فحسب .. لقد بدا حسين يعود الى المنزل فى ساعة مبكرة،وبدأت اقبال ، تقضى لياليها ،لا الى جوار النافذة تنتظر وانما الى جوار حسين تتحدث معه .. حتى صوته نفسه بدا يتخذ لهجه ارق ونغمة غير نغمه الامر والنهى التى ألفتها خلالاعوام الماضية !

هناك تغيير آخر لم تلحظه اقبال وانما أحسه حسين ،هذه العاطفة التى بدأت تشغل قلبه وفكره نحو اقبال .. انه لم يستطع أن يسميها حبا !

وفى نهاية هذا الفصل تبدو هذه العاطفة غامضة غير واضحة ، ان مظهرها الوحيد هو هذا الميل الطارىء فى الركون الى المنزل والحديث الى اقبال والهدايا الصغيرة التى بدأيحملها اليها . ونستطيع نحن ان ندع حسين وقد بدأ يعتمل فى صدره هذا التغيير ، واقبال وقد بدأ يطرأ عليها تغيير آخر .. تغيير من الصعب علينا ان نتبينه لان مظاهره لم تخرج بعد الى عالم الوجود ..

وفى هذا الجو ينزل الستار على الفصل الثانى ويرفع عن الفصل الثالث .. ان أثاثه هو نفس اثاث منزل حسين فى الفصلين السابقين ، وسنلحظ أول ما نلحظ قطعة واحدة قد زادت فى الاثاث هى التليفون .. وربما عاوننا على استساغة الحوار والحوادث فى هذا الفصل الاخير ان نعلم ان حسينا قد أدخل التليفون تحقيقا لرغبة نفسه فى أن يتصل باقبال فى ساعات عمله ليسمع صوتها .. ان صوتها أصبح ضروريا لتنتعش نفسه .

أما ملابس هذا الفصل فقد تغيرت فعلا . فاقبال اصبحت شيئا آخر بما طرأ على ملابسها من تغيير .. ان الصنبور الذى كان يصب الذهب فى الحانات والسهرات قد انتقلت فوهته وبدأ يصب الذهب فى أماكن أخرى عند حائكة ثياب اقبال وعند صائغ الحلى الذى ملأ معصمها وجيدها بالحلى والجواهر.. انك لن ترى هذا الصنبور بالطبع ولكنك سترى اقبال نفسها غارقة فى السيل الذى انهمر من فوهته .. وليس هذا هو كل ما طرأ على اقبال من تغير ، لقد احتفلت منذ شهور بعيد ميلادها الثلاثين وقدم لها حسين حلية ثمينة ودفع لها ثمنا يزيد كثيرا على ما صرفه عليها فى السنوات الاولى لحياتها معه ، وأقام مأدبة لاصدقائهما كلفته بضع عشرات من الجنيهات..

وفى هذه الحفلة أنكرت أنا اقبال كما أنكرت حسين .. انكرت اقبال المتعالية الانيقة التى كستها أناقتها جمالا وأفاضت عليها انوثة الثلاثين جاذبية وسحرا وهى تتنقل بين المدعوين وتوزع دعابتها عليهم ، ليس دعابتها فقط .. وانما نظراتها أيضا ، وانكرت حسين .. حسين الذى أضحى الان على أبواب الخمسين .. الخمسين لرجل افرط فى الاستغراق فى متعته .. افرط فى استهلاك حواسه وجسده فطغى الكلال والجهد على كل شىء فيه .. حتى بدت الخمسون حين بلغها وكأنها نهاية العمر لكهل فان ! .

ومضت الايام على حفل عيد الميلاد حاملة فى كل يوم حدثا جديدا من احداث الفصل الاخير .. تلك الاحداث التى لم أعرفها للاسف .. الا بعد ان نزل الستار على هذا الفصل ! .

ورأيت بعين رأسى حسين ، قابعا فى الدار يتسلى بتحريك

أحجار النرد جاعلا من احدى يديه لاعبا ومن الاخرى اللاعب الاخر مما يقطع الوقت انتظارا لاقبال ، وربما ـ لسخرية القدر ـ كان موضعه نفس الموضع الذى كانت تقبع فيه اقبال منتظرة أوبته من احدى مغامراته !!

ان أحداث هذا الفصل تروى لى صباح تلك الليلة التى رأيته فيها ، وقد يهمك ان تعرف ما الذى دفعنى الى زيارته فى وقت متأخر من الليل .. ان اقبال هى السبب ..

كانت الساعة الحادية عشرة مساء وكنت اشترى علبة سجائر عندما وقفت سيارة أعرفها أمام باب العمارة التى يقع فيها حانوت السجائر .. نفس العمارة التى يقطن فيها حسين .. وأدرت رأسى أتأمل صديقى صاحب السيارة ولكنى وجدته مشغولا بفتح باب السيارة لسيدة . سيدة خرجت مسرعة واتجهت نحو باب العمارة ، ووصلت اليه فى نفس الوقت الذى وصلت أنا اليه متجها الى أقصى الشارع .. والتقى وجهى بالسيدة .. اقبال . أما أنا فقد اضطربت .. وأما هى فقد ضحكت فى ثبات .. ضحكت ومدت يدها الى فى دلال طغت عليه صورة وجهها الخالى من الجمال .. الوجه الذى أعرفه منذ أكثر من خمسة عشر عاما . تلك الصورة التى لم تمحها كل مظاهر الاناقة ، والمساحيق والعطور التى تستعملها .. تلك الصورة العالقة فى ذهنى لزوجة الذليلة الشاحبة ، الرقيق فى أحدث نماذجه .. هذه الصورة هى التى ملأت رأسى وهى تمد يدها الى كما كانت تملؤها حتى فى ليلة عيد ميلادها منذ شهور ومددت يدى وحييت اقبال وفاجأنى صوتها وهى تقول فى عتاب :

ـ بجوار البيت يا أستاذ! وتمضى هكذا؟ هل نسيت الاصدقاء؟

وقلت مضطربا :

ـ ابدا ٠٠ انما الوقت متأخر !

ـ وهل بيوت الاصدقاء تغلق أبوابها فى ساعة معينة ؟٠٠ هيا ٠٠ تعال معى لنشرب كأسا مع حسين !

وتسمرت قدماى لحظة ، ودار برأسى الموقف كله منذ وقفت السيارة وطاف بمخيلتى هذا السؤال :

أأكون أنا كبش الفداء لعودتها فى هذا الوقت المتأخر ؟؟ ماذا يقول حسين حين اصـــعد معها الان ؟ وهل هو ؟ ٠٠ ولكننى لم أكد أتم خاطرى فقد قالت :

ـ هل تخشى الا تجد حسين ؟ انه لا يتأخر حتى مثل هـذه الساعة ، أراهنك على انه جالس الان الى احجار النرد يلاعب نفسه ٠٠ كالمجانين ! ٠٠

وضحكت ضحكة اسكرتنى عن الموقف كله ٠٠ وسحبت يدى فى اصرار وتبعتها انا ٠٠ تبعتها لأرى حسين كما قالت تماما ٠٠ ورفع حسين رأسه ونظر الى متهللا ودعـــانى الى الجلوس ٠٠ لالعب معه « عشرة طاولة »

وسرت انا كالمذهول وجلست أمامه وانتظرت عتاب الزوج للزوجة العائدة عند منتصف الليل تقريبا ، وأدركت ما يجب على أن اقوله حين تزعم مثلا اننى قابلتها عند منزل خالتهـــا وأوصلتها بسيارتى ، ولكن انتظارى ذهب عبثا ٠٠ فقد قال حسين وليس فى صوته اثر للغضب ، بل لعله يفيض حنانا وانكسارا :

ـ أعجبتك السهرة ٠٠ ؟

وأجابت دون تردد :

ـ اجل كانت لطيفة .. الذى لم يكن لطيفا هو صاحبك هذا .. فقد رأيته الان يسير أمام العمارة دون ان يفكر فى الصعود ليشارك صديقه فى كأس من الوسكى او عشرة طاولة ..

وادهشنى صدقها الجرىء الذى لم اكن اتوقعه ..ادهشنى حتى صباح اليوم التالى ، اليوم الذى زالت فيه دهشتى ونزل الستار على القصة ..

انك تذكر بلا شك يوم طرد حسين اقبال من منزله ويوم لجأت الى اصدقائه ، وتذكر ان هؤلاء الاصدقاء كانوا ثلاثة ، احدهم الدكتور مراد الذى وصف تركه لها بعد ان خرج بها من أسرتها ومدرستها نذالة تجرده من رجولته ، ان الدكتور مراد نفسه هو الذى يروى لى احداث الفصل الثالث الاخير.. يرويها لى فى اسهاب .. يقص على كيف اصبح حسين اليوم متيما باقبال متهالكا على ارضائها وكيف اصبحت اقبال تضيق بهذا الحب ، تتدلل على حسين وتسخر به ، ويمضى الدكتور مراد فيروى اكثر من هذا ، من مغامرات اقبال ، مع اناس لا يعرفهم حسين ومع ذلك فهم مدعوون الى داره فى كل مأدبة يقيمها ، وما اكثر ما يقيم حسين ،او اقبال على الاصح من مآدب ومغامرات اخرى مع بعض اصدقاء حسين انفسهم .. ولعل صاحبنا الذى رأيته يوصلها تلك الليلة بسيارته هو آخر تلك المغامرات .. ؟

ظل الدكتور مراد يروى لى من هذه القصص حتى أحسست انه لم يبق من اصدقاء حسين من لم يغامر مع اقبال الا انا

والدكتور مراد ..

وكانت كل مغامرة لاقبال ترتبط عـــلى الرغم منى باحدى مغامرات حسين انتى عفى عليها الزمان ..

وانتهى مراد من أقاصيصه ..

وقلت أنا فى اسف :

ـ وحسين . ؟ ماذا يفعل ؟ ..

ولكن مراد لم يجيبنى بل زاد السؤال تعقيدا فى نظرى ، وقال وهو حائر :

ـ حسين ؟ من المؤكد انه يعرف جيدا فى أى طريق تسير اقبال .. لكنى مع ذلك اشك فى انه يعرف الى أى مدى تمضى فى هذا الطريق .. انه كما يخيل لى يعتقد انها تمرح وتلهو . فقط .. دون ان تقارف خطيئة .. انه بالصورة التى حفرتها الايام لاقبال فى خاطره لا يمكن ان يتصورها امرأة خاطئة .. انه كالاب الذى ربى طفله وليدا صغيرا . يعز عليه ان يعتقد حين يكبر طفله انه يصبح قاتلا او سارقا ..

ولكننى مع ذلك لم ارض هذا التعليل .. ولعل لى الحـق ان اتخيل القصة من أولها منذ بداية الفصل الاول لارى مـا يرسمه القدر من مبررات لهذا الختام ..

انى فعلا اتخيل القصه الان .. اتخيل اقبال فى السابعة عشرة وحسين فى الخامسة والثلاثين وهو يعبث ويمـرح ، او على حد قوله يستمتع بربيع حياته واتخيلهما الان ..اقبال فى الثلاثين وحسين على ابواب الخمسين .. رجل قد قطف بيديه كل زهور ربيعه واعتصرها وما ترك على غصن حيـــاته زهرة واحدة منها .. أجل اتخيلها الان فأستبعد تعليـــل الدكتور مراد .. وانما اجد فى اختلاف الفصول .. وتوالى الليل والنهار تعليلا اوضح .. ان احدهما يعصر أزهـــار ربيعه ، أما الثانى ، فانه يلعـق أغصـــان الخـــريف الجافة باحثا ـ دون جدوى ـ عن العصارة .

نادى القصة

طه حسين ·· توفيق الحكيم ·· محمود تيمور ·· فريد أبو
حديد ·· احسان عبد القدوس ·· بنت الشاطىء ·· محمد
عبد الحليم عبد الله ·· أمين يوسف غراب ·· على أحمد باكثير
نجيب محفوظ ·· عبد الحميد السحار ·· يوسف السباعى ·

يقـــدم

عبدالحميد جوده السحار

- فى -

ارض الله

الكتاب الذهبى العدد التاسع
يصدر فى مارس - الثمن ١٠ قروش

الكتاب الذهبى

العدد التاسع ـ فبراير ١٩٥٣

يصدره نادى القصة

عن دار روز اليوسف

١٨ شارع محمد سعيد

تليفون : ٢٠٨٨٦ ـ ٢٠٨٨٧ ـ ٢٠٨٨٨

الاشتراكات :

مصر ١٢٠ قرشا عن سنة ـ ٦٠ قرشا عن نصف سنة .

الخارج ١٨٠ قرشا عن سنة ـ ٩٠ قرشا عن نصف سنة .

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

رئيس التحرير المسئول : سعد الكفراوى خليل

الكتاب الذهبى

قرش		قرش	
١٠	خان الخليلى	١٠	بعد الغروب
١٠	وا اسلاماه	١٠	النظارة السوداء
١٠	وراء الستار		
١٠	يوم الثلاثاء		

تطلب من دار « روز اليوسف » ١٨ شارع محمد سعيد

(تليفون : ٢٠٨٨٨)

ومن مكتبة الخانجى بشارع عبد العزيز (تليفون : ٤٣١٤٨)

حديث الشهر

هذا المؤلف

كتب الى أحد القراء يسألني الكتابة عن الكتاب أنفسهم وينبئني بان القراء اشوق الى قصص حياتهم

ولقد هممت بتقديم كل منهم بما يرضي حب استطلاع القراء . ولكن تملكني التردد واستحييت أن اقدم لهم كتابا قد يعرفونهم أكثر مما يعرفونني

وعلى ذلك اكتفيت بأن اقدم في أول الكتاب مختصرا موجزا لحياتهم يوضح للقراء النقط البارزة فيها ولكن ذلك لم يرضي حب استطلاعهم

وهممت بأن أكتب عن صلاح ذهني بعض ما أعرف . ولكن مرة أخرى وجدتني أتردد في استحياء لاني واثق أن القراء يعرفون صلاح أكثر مما يعرفونني ..

ان معرفتي الشخصية به لا تتجاوز الاشهر فهي معرفة في عمر نادي القصة ولكن معرفة القراءة معرفة قديمة . وكنت أعرف فيه ككاتب وناقد خفة الدم وسداد الرأي وصدق النظرة ودقة الحكم وحسن الذوق .

وعندما عرفني به الصديق امين يوسف غراب عند أول اجتماع لنادي القصة في مكتب احسان وجدتني أقبل عليه اقبال صديق قديم ووجدت الكلفة التي تخيم عادة بين حديثين تعارف تبددت كسحابة صيف . والتقينا بعد ذلك كثيرا وتوثقت عرى الصداقة في قوة دون أن أسائل نفسي عما أرضاني به كصديق

والان عندما أحاول ان اعلل السبب أجده منحصرا في لفظ واحد . وهو أن صاحبي فنان أصيل .. وان به من صفاء النفس والذهن والمشاعر مايجبره على أن يكون كما كان . وانه عاشق للادب والموسيقى وكل أنواع الفنون . وانه ان لم يكن كاتبا لاضحى موسيقيا أو رساما أو مثالا .. ناجحا

ولست أدري بعد هذا هل استطعت تعريفه الى القراء في تلك الكلمات القلائل أم أنه من الخير ان أترك كتابه يعرف به لمن لا يعرفونه .

يوسف السباعي

محلات

سعيد

مدينة الكونستان : شارع فؤاد الأول

ت ٤٨٠٦٦

س ب ٦٤١٧٣

كبرى محلات الصيني والنجف والفضيات والكريستال والهدايا

4104

VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI SVB NVMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
Nov.-Dec. 1988
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 077551982